الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان -

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم : التاريخ

تخصص : تاريخ المغرب الإسلامي

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ

بعنوان:

العلاقات الزيانية المرينية سياسيا وثقافيا

إعداد الطالبة :

هوارية بكاي

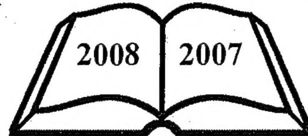
إشراف الأستاذ :

د. بودواية مبخوت

لجنة المناقشة :

- أد. عبد الحميد حاجيات	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
- د. بودواية مبخوت	أستاذ محاضر	جامعة تلمسان	مشرفا
- د. لخضر عبدلي	أستاذ محاضر	جامعة تلمسان	عضوا
- د. بوداود عبيد	أستاذ محاضر	المركز الجامعي معسكر	عضوا
- د. بسنوسي الغوتي	أستاذ محاضر	جامعة تلمسان	عضوا

السنة الجامعية



اجتمعت عوامل عدّة لإضعاف الموحدين وإسقاطهم ، فظهرت على إثرهم ثلاث دويلات في المغرب الإسلامي وهي : الحفصية ، الزيانية ، والمرينية ، دخلت كلّها في صراع مستمر وتنافس لفرض السلطان وتوحيد المغرب الإسلامي تحت لوائها باعتبار أحقية كل واحدة منها في وراثة الموحدين.

وقد كان الصراع على أشده بين الزيانيين والمرينيين خاصة ، لجوارهما في الموطن والملك ، ومنافستهما على الاستقلال برئاسة زناتة.

ولتحقيق ذلك كانت تاريخهما السياسي حافلا ، حيث استمرّت علاقاتهما السياسية بين مدّ وجزر ، تارة حرب وتارة سلم ، إلاّ أنّ علاقاتهما الثقافية لم تتأثر بذلك الصراع ، وتاريخهما الثقافي الزاخر خير شاهد على تلك الروابط الثقافية والفكرية الّتي جمعتهما ، والّتي ترجمتها تلك الرحلات العلمية والمناظرات الفكرية وتبادل العلوم والمصنفات فيما بينهما ، وخلدتها تلك المنشآت العلمية الّتي خلفها بنو مرين في تلمسان من مساجد ومدارس ودورها الفعال في نشر العلوم وتوطيد هذه العلاقات.

<u>الكلمات المفتاحية</u> : الزيانيين – المرينيين – تاريخهما السياسي – تاريخهما الثقافي – علاقاتهما السياسية – علاقاتهما الثقافية.

Plusieurs concepts se sont réunis pour affaiblir les Mouahidites d'où l'apparition de trois petits états dans le Maghreb islamique :Hafcilla-Ziania et Marinite ,ces derniers se sont disputés le pouvoir ente eux pour unir le Maghreb islamique sous son patronat car chacun de ses états s'avouait le droit d'héritage des Mouahidites.

Le conflit était principalement entre les Zianides et les Marinites particulièrement du voisinage de l'état et du règne car ils étaient en compétition pour l'indépendance sous la direction de Zénata.

Et pour aboutir à cette fin, car leur histoire politique était riche , leurs relations politique étaient comme la marée tantôt guerre ,tantôt paix .

Alors leurs relations culturelles ne se sont influencées de se conflit et leur histoire culturelle éclatante est le meilleurs de leur liens culturels et intellectuels qui les groupaient ont était traduit par les missions scientifiques ,les avis intellectuels et l'échanges des sciences et des écrits entre eux. Ce qui a été éternisé par les infrastructures scientifiques des Benni Merines à Tlemcen à travers les mosquées, les écoles et leurs rôle éminent l'expansion des différents sciences et le renforcement de leurs relations .

<u>Mots clés</u> : Les Zianides- Les Marinites-Leur histoire politique te culturelle- les relations politiques et culturelles.

The world had witnessed the collapse of Almohads wish has due to many factors .That led to the existence of three main city states –in the Islamic Maghreb regions . That are Hafsists, the Zianids and the Marinids. Each of these lasts lived a harsh conflict and competition to impose its authority, to unify and to govern the Islamic Maghreb as well under the notion of priority.

The fact that the Zianids and the Marinids were neighbours sharing the same properties made them fighting for governing independently Zenata shine.

Therefore, to reach that target they had to have a tide relationship between war and peace. However that political conflict had no negative effect on the cultural side, that was the greatest evidence for their close intellectual and cultural relationship. This one was interpreted in their scientific and educational cooperation as well as the knowledge exchange.

The historical sites in Tlemcen built by the Marinids such as mosques and schools which they played an important role in the spreading of sciences, confirmed the good relations existence.

<u>Key words</u>: The Zianids – The Marinids – Their political history – Their cultural history – Their political relations – Their cultural relations

شكر وتقدير

أشكر الله العلي القدير الذي وفّقني إلى إنجاز هذا العمل راجية منه سبحانه وتعالى أن يجعله نافعا في الدنيا ويجزيني ثوابه في الآخرة.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذي الفاضل الدكتور مبخوت بودواية الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث، وكان لي عونا ومرجعا، ولم يبخل علي بتوجيهاته القيمة.

كما أتقدم بالشكر إلى كل من ساعدني ووقف إلى جاني من قريب أو بعيد أساتذتي الكرام وزملائي الطلبة وعمال مكتبة قسم التاريخ بجامعة تلمسان على التسهيلات التي منحوني إياها ليخرج هذا البحث إلى النور.



إلى أعز ما أنعم به الله عليّ من نعم بعد نعمة الإيمان

- إليكما أبي وأمي الغاليين حفظكما الله وأطال في عمركما.
- إلى وطني الحبيب الجزائر.
- إلى الذي تحمل معي مشقة هذا البحث وكان لي عونا وسندا.

  زوجي ورفيق دربي السيد تواتي حسين.
- إلى الذي أضاء حياتي وملأها فرحا وسعادة ابني وقرة عيني محمد سيف الإسلام.
- إلى الذين لم يبخلوا علي بالعون المادي والمعنوي والدعاء والنصح: إخوتي وأخواتي يوسف ، سيدي محمد، نادية، سليمة وأبنائها، سهام وابنتها مروة.
- إلى عائلة تواتي وعلى رأسهم الوالدة بختة أطال الله في عمرها.
- إلى كل صديقاتي: زهور، لامعة، أسماء، سهام ، أمينة، سهيلة....
- إلى من أدين لهم بالفضل في نجاحي إليكم أساتذتي الكرام.
- وإلى كل طلبة قسمي التاريخ والآثار بجامعة تلمسان.

مقدمة

بعدما تظارفت العديد من الظروف والعوامل الداخلية والخارجية انهارت أركان الدولة الموحدية وتفككت عراها، فبدأت حركة الانفصال باستقلال بني حفص بتونس وبني عبد الواد بتلمسان، وبني مرين بالمغرب الأقصى، وقد تميزت هذه الفترة – النصف الأول من القرن السابع الهجري– بالتقلب والاضطراب نتيجة اشتداد التنافس والمؤامرات والتحالفات والصراعات بين قبائل المغرب من جهة وبينها وبين الموحدين من جهة أخرى مما عجل بانقسام هذه الأخيرة إلى ثلاث دويلات متنافسة تعتبر كل واحدة منها نفسها الوارث الشرعي والحقيقي لملك الموحدين، فكانت كل دويلة تسعى للقضاء على الأخرى طمعا في السيطرة وبسط النفوذ على كامل المغرب الإسلامي، غير أن ما عرقل غاية هذه الدويلات هو حال القبائل والعشائر – بني توجين وبني منديل ومغراوة. ..– التي أصبحت متقلبة في مواقفها، فهي تنحاز حسبما تمليه عليها مصالحها، فتارة مع بني مرين وأخرى مع بني عبد الواد.

ولعل تموقع بني عبد الواد وسطا جعلها محصورة بين شقّي رحى، لذلك توالت عليها الحروب من كل الجهات، فكانت حدودها بين مد وجزر حتى آخر أيامها، ضف إلى ذلك أهمية العاصمة تلمسان، باعتبارها ملتقى لعدة طرقات وشبكات تجارية بين البحر والصحراء من جهة وبين المغربين الأدنى والأقصى من جهة أخرى، لذلك كانت محل أطماع جاراتها في التوسع، وكذا غارات النصارى في فترة لاحقة، لكن وعلى الرغم من هذا الصراع والتنافس اللامحدود إلا أن ذلك لم يمنع من وجود علاقات سياسية وثقافية وحتى تجارية بينها وبين جاراتها.

– أهمية الموضوع وسبب اختياري له:

منذ أن اخترت تخصص التاريخ كان اهتمامي بالغا بتاريخ المغرب لما عرفه هذا الجزء من تطورات سياسية واجتماعية، وثقافية واقتصادية هامة، خاصة وأنه قامت على أرضه العديد من الدويلات التي اختلفت توجهاتها ومذاهبها وسياساتها واهدافها.

وما شدني أكثر هو ذلك التعايش الذي تم بين هذه الدويلات على اختلافها ولفترات طويلة، والذي يؤكد بالضرورة وجود علاقات قائمة بينها، شملت مختلف المجالات والميادين، غير أن ذلك لا ينفي حتما وجود صراع بين هذه الدويلات ومنافسة قوية رغبة من كل واحدة فرض سيطرتها على أرض المغرب وبسط النفوذ وتحقيق الريادة.

ومن خلال دراستي لتاريخ المغرب الإسلامي منذ قيام أولى الدويلات المغاربية (الرستمية، الأغلبية، الإدريسية، المدرارية) أدركت ذلك الصراع السياسي الذي شاب تلك العلاقات بين هذه الدويلات، ليستمر هذا الصراع قائما في ظل الحماديين والزيريين والمرابطين وكذا الموحدين ليزداد حدة على عهد الدويلات المستقلة(الزيانية المرينية والحفصية) ولعل ما شد انتباهي ذلك التحامل اللامحدود على الدولة الزيانية من جيرانها خاصة من قبل المرينيين أبناء عمومتهم، الأمر الذي جعل علاقاتهما بين مد وجزر بعدما تمكنت الجيوش المرينية من اكتساح تلمسان وحصارها لفترات طويلة رغم ما كان يجمعهما من روابط مشتركة.

- إشكالية الموضوع:

من خلال هذا الموضوع تراودني العديد من التساؤلات والإشكاليات التي تطرح فيما يخص علاقة الزيانيين بالمرينين.

- فما الذي طبع وميز تلك العلاقات؟ وما سبب ذلك الصراع السياسي الذي ظل قائما بينهما وما خلفيته؟ وما هي النتائج التي ترتبت عنه؟

وهل ما طبع علاقات الدولتين هو صراع وتنافس فحسب أم كانت بينهما فترات صفاء ومودة؟ وما هي العوامل التي ساعدت على ذلك؟

وهل كانت للعلاقات السياسية تأثير على باقي المجالات الحيوية خاصة على الروابط الثقافية بين الإقليمين؟ وعلى العلاقات الإنسانية بين شعبيهما؟ وهل كان للعلماء والرحلات العلمية دور في تزكية هذه الروابط وتحقيق التواصل الثقافي ؟ وما هي مظاهر هذا التواصل وما هي أشكاله؟

كلها تساؤلات سنحاول الإجابة عنها قدر المستطاع في بحثنا الموسوم بالعلاقات الزيانية المرينية سياسياو ثقافيا.

وللإجابة عن هذه التساؤلات قمت بتقسيم هذه الدراسة إلى مقدمة ومدخل وثلاثة فصول. مهدت للموضوع بلمحة وجيزة عن أوضاع المغرب الإسلامي قبيل سقوط الموحدين، وتناولت في الفصل الأول التاريخ السياسي للدولتين، فكان المبحث الأول خاص بالدولة الزيانية متعرضة فيه إلى أصل ونشأة الدولة وحدودها السياسية وعلاقاتها

بالحفصيين ودورهم الفعال في تطور هذه العلاقات بين الزيانيين والمرينيين.أما المبحث الثاني فخصصته للمرينيين منذ ظهورهم إلى قيام دولتهم فسقوطها وكذا حدودها السياسية.

أما الفصل الثاني فقد تناولت فيه التاريخ الثقافي للدولتين متعرضة لأهم المؤسسات الثقافية والتعليمية (المساجد، المدارس، الزوايا، الكتاتيب والمكتبات)، وأصناف العلوم النقلية والعقلية وأهم العلماء الذين برزوا فيها.

أما الفصل الثالث فحاولت فيه إبراز العلاقات القائمة بين الدولتين في المجالين السياسي والثقافي فخصصت المبحث الأول للعلاقات السياسية بينهما، موضحة منشأ الخلاف وبداية الصراع، وكذا أهم المعارك والحصارات وفترات الصلح والتعاهد التي عرفها الإقليمان.

أما المبحث الثاني فخصصته للعلاقات والروابط الثقافية، حيث تناولت فيه دور العلماء والرحلات العلمية في إثراء هذه الروابط بالإضافة إلى دور المؤسسات الثقافية والمناظرات العلمية في تزكية هذه العلاقات.

لأختم هذه الدراسة بمجموعة من النتائج المتوصل إليها.

- المنهج المتبع:

إن هذا النوع من الدراسة يحتاج إلى المنهج التاريخي، الوصفي، التحليلي، الإستنتاجي الذي يعتمد على الدراسة والتحليل والمقارنة بين المصادر خاصة وأن للدولتين نفس المقومات والخصائص، وتجمعهما الكثير من المراحل التاريخية المشتركة، ولعل ذلك لا يتم إلا بالوقوف عند بعض المصادر القديمة المتعلقة بالموضوع من كتب التاريخ والجغرافية والرحلة والطبقات والتراجم وغيرها، مقتبسين منها المادة اللازمة، إلى جانب الدراسات الحديثة العربية والأجنبية التي حاول مؤلفوها إبراز تاريخ الدولتين وعلاقاتهما ببعضهما البعض.

- صعوبات البحث:

يعد هذا النوع من الدراسات المتعلقة بالعلاقات السياسية بين الدولتين الزيانية والمرينية من المهمات الصعبة لحساسية الموضوع من جهة وقلة المصادر من جهة اخرى، والمتوفر منها فيه نوع من التحيز واللاموضوعية يحتاج إلى حرص كبير والكثير

من الدقة في استقصاء الحقيقة التاريخية؛ إضافة إلى تضارب الآراء حول بعض الأحداث التاريخية.

- أهم المصادر المعتمد عليها في البحث:

اعتمدت في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر التي تناولت موضوع بحثي من قريب أو بعيد، فكانت متنوعة بين تاريخية، جغرافية، ومصادر الرحلة، بالإضافة إلى مراجع ودراسات حديثة عربية وأجنبية اهتمت بتاريخ الدولتين الزيانية والمرينية، والتي استقيت منها مادتي، ومن أهم هذه المصادر نذكر:

1- **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس:** لصاحبه علي بن محمد بن أحمد بن عمر بن أبي زرع الفاسي، ويتناول في هذا الكتاب تاريخ المغرب الأقصى من سنة 145هـ إلى 724هـ، والملاحظ أن ابن أبي زرع اعتمد في كتابه على عدة مصادر أخرى أغفل ذكر معظمها، كما اعتمد على وثائق رسمية خاصة عندما يتحدث عن الأسرة المرينية وحكامها.

2- **بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد** لأبي زكريا يحيى بن خلدون حوالي(743هـ/ 1333م- 780هـ/ 1378م): نشره ألفريد بل في جزأين بالجزائر بين (1904- 1911)، حيث حقق الجزء الأول الدكتور عبد الحميد حاجيات بالجزائر سنة 1400هـ/ 1980م.

وقد بدأت الحياة السياسية ليحيى بن خلدون سنة 757هـ/ 1356م في خدمة بني حفص أولا ثم انتقل إلى خدمة بني زيان فاتخذه أبو حمو موسى الثاني كاتبا للرسائل في ديوانه، ثم التحق بخدمة بني مرين ثم عاد إلى خدمة أبي حمو ، حيث استمر إلى أن قتل في شهر رمضان سنة 780هـ.

وتكمن أهمية مؤلَّفه " بغية الرواد " في غزارة مادته التاريخية المتعلقة بتاريخ دولة بني زيان منذ نشأتها إلى عصر المؤلف، ويتناول بشكل خاص فترة حكم أبي حمو موسى الثاني وصلته بالقبائل العربية والزيانية وغيرها من الإمارات المغربية.

وقد خوّله منصبه الهام ككاتب سر أبي حمو موسى الثاني إلى الاطلاع على وثائق رسمية، بل ذكر بعضها كاملة في مصنفه، وقد حاول ابن خلدون الجمع بين الحياة

السياسية والثقافية للدولة الزيانية، حيث عرض الكثير من القصائد لشعراء البلاط الذين عاصروه والذين سبقوه.

3- كتاب **روضة النسرين في دولة بني مرين** لأبي الوليد إسماعيل بن الأحمر النصري الأمير الغرناطي الكاتب الشاعر المتوفَّى سنة 807هـ/ 1404م: يتناول هذا الكتاب تاريخ بني مرين بشكل خاص، فهو بمثابة سجل يتضمن أسماء ملوكهم وألقابهم وأنسابهم وتواريخ ميلادهم وولايتهم ووفاتهم، مع وصف ملامحهم الخلقية وذكر رجال دولتهم من وزراء وحجّاب وقضاة وكتّاب وما خلّفوه من بنين وبنات فهو يشبه إلى حد ما سجلات الحالة المدنية في أيامنا هذه.

مع العلم أن ابن الأحمر نقل كثيرا من الفقرات عن الذخيرة السنية وروض القرطاس دون إسناد.

4- كتاب **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** لصاحبه عبد الرحمن بن خلدون (732هـ/ 808م) (1332هـ/ 1406م)؛ ويتضمن هذا الكتاب معلومات اهمة عن تاريخ دويلات المغرب الإسلامي بما فيها دولة بني عبد الواد، وبني مرين وبني حفص وما كان قائما بينهم من علاقات، وقد اعتمدت بشكل خاص على جزئيه السادس والسابع لما فيهما من مادة تاريخية متعلقة بموضوع البحث.

5- **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية** لمؤلف مجهول: هو كتاب أرّخ للدولة المرينية وعلاقتها ببني عبد الواد، حيث جاء مشحونا بالأخبار السياسية والعلمية وبعض المعلومات الاقتصادية والاجتماعية وغلاء المعيشة وارتفاع أسعار المواد الغذائية والحالة الصحية.

قسم المؤلف الكتاب إلى عشرة أبواب، أولها في ذكر بني مرين ونسبهم وقبائلهم أما الأبواب الأخرى فخصصها لذكر أمرائهم بدءا بجدهم عبد الحق ثم أبي سعيد عثمان، فمحمد بن عبد الحق، فأبي يحيى بن عبد الحق، فأبي يوسف، فأبي يعقوب فأبي ثابت، فأبي الربيع سليمان، فأبي سعيد الذي خص له الباب العاشر. وتكمن أهمية الكتاب في اعتناء المؤلف بالعلاقات بين ملوك فاس وملوك تلمسان، مع شرح مفصل ومطول

مما يجعل هذا الكتاب من المصادر التي تتعلق بتاريخ الدولة العبد الوادية أيضا، حيث جاء أكثر تفصيلا وتدقيقا للأحداث المتعلقة بالعلاقات المرينية الزيانية.

إذ فاق في دقته روض القرطاس وبغية الرواد وزهر البستان....وغيرها، قام بنشره محمد بن أبي شنب من الجزائر.

6- كتاب **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من كتاب نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان** لصاحبه أبي عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي التلمساني الذي ولد بتلمسان سنة 830هـ ونشأ بها.

قام بتحقيق هذا المقتطف محمود بوعياد سنة 1985، وقد قسمه إلى خمسة أقسام خصص القسم الأول لحياة المؤلف والتعريف بنسبه وذكر بيان شرفه وآثاره. وهو يشتمل على سبعة أبواب، وخص باب منها لعرض تاريخ بني زيان وهذا الباب هو الذي له علاقة بموضوعنا، حيث جاء هذا القسم على شكل تاريخ مختصر لأهم المراحل التي مرت بها الدولة الزيانية، وذلك منذ تأسيسها على يد يغمراسن بن زيان سنة 633هـ/ 1236م حتى سنة 868هـ/ 1464م في عهد السلطان محمد المتوكل، الذي ألف له هذا الكتاب شكرا له باعتباره ولي نعمته.

ولعل ما يميز هذا الكتاب هو أنه المصدر العربي الوحيد لتاريخ دولة بني زيان في فترة تزيد عن سبعين سنة، أي مع نهاية أخبار القسم الثاني من "زهر البستان " وذلك سنة 764هـ/ 1363م، وتاريخ انتهاء يحيى بن خلدون من تدوين"بغية الرواد " سنة 777هـ/ 1376م، وانتهاء عبد الرحمن بن خلدون، من تأليف كتاب " العبر" سنة 796هـ/ 1393م، إلى أن يختم التنسي أخباره سنة 868هـ/ 1464م.

7- كتاب **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان** لأبي عبد الله بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني، وقد نشره محمد بن أبي شنب.

ترجم ابن مريم في البستان لاثنين وثمانين ومائة عالم وولي ولد بتلمسان أو عاشوا بها، وقد رتبهم حسب الحروف الهجائية.

وتكمن أهمية الكتاب فيما يحويه من فوائد خاصة بالحياة العلمية والثقافية في المغرب الأوسط في العهد الزياني، حيث يذكر المؤلف العديد من العلماء والأدباء الذين عاشوا في ذلك العهد مع الإشارة إلى آثارهم، وأسماء شيوخهم وتلاميذهم

والكتب المتداولة في زمانهم، بالإضافة إلى ذكره لأسماء بعض الأمكنة الموجودة بتلمسان وضواحيها من مساجد ومدارس وأبواب وأحياء ومقابر.

8- كتاب **نيل الابتهاج بتطريز الديباج:** لصاحبه أحمد بابا التنبكتي(963هـ/ 1036م)، وقد وضع هذا الكتاب ليكون نيلا على كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون المدني المتوفى سنة 799هـ، فهو مشارك للديباج المذهب في جوانبه الثقافية والفكرية التي ذكرها صاحب الديباج. والكتاب يضم تراجم علماء المالكية وفقهائها الذين فاق عددهم ثمانمائة ،وقد اعتمدت عليه في التعريف ببعض الفقهاء والعلماء الزيانيين والمرينبن الذين ساهموا بشكل كبير في إثراء الحياة الثقافية والفكرية في المغربين الأوسط والأقصى.

بالإضافة إلى مجموعة هامة من المصادر التاريخية الأخرى ككتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى للسلاوي الناصري، وكتاب المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن لابن مرزوق الخطيب والذي استفدت منها كثيرا فيما يتعلق بتاريخ المرينيين السياسي والثقافي، إضافة إلى كتاب الإحاطة لابن الخطيب، وكتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان، ونزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي ورحلة العبدري، وابن بطوطة، والقلصادي، وعنوان الدراية للغبريني، ونفح الطيب للمقري وغيرها من المصادر التي لا يسعني ذكرها كاملة، يضاف إليها مجموعة من المراجع العربية والأجنبية والمجلات التي تناولت تاريخ الدولتين والتي حاولت قدر الإمكان استقاء مادة البحث منها وتوظيفها بالشكل الذي يعمم الفائدة.

وفي الأخير أتقدم بالشكر الخالص إلى أستاذي الدكتور مبخوت بودواية الذي ساعدني بتوجيهاته القيمة وأرشدني بملاحظاته الهامة.

كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر إلى كل من قدم لي يد العون والمساعدة في إنجاز هذه الدراسة فأمدني بالمادة العلمية.

مدخل

ما من شك أنّه من الضروري قبل الحديث عن تاريخ الدولتين الزيانية و المرينية والغوص في تفاصيل العلاقات السياسية و الثقافية بينهما، إلقاء الضوء على الظروف التي ساعدت على ظهور هاتين الدولتين، و الوقوف عند العوامل التي أدّت إلى إنهيار الدولة الموحدية و إضمحلالها، و هي الدولة التي استطاعت بفضل حنكة و قوّة أمرائها وخلفائها أن تحقق الوحدة السياسية للمغرب الإسلامي و الأندلس تحت لوائها فترة زمنية لا يستهان بها، لا بل استطاعت أن تحافظ على استمرارية وحدة ترابها الممتد من برقة شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، و من البحر المتوسط و الأندلس شمالاً إلى الصحراء جنوبًا، تحت نظام إداري مركزي موحدي[1].وبذلك أصبحت دولة الموحّدين قوّة سياسية فاعلة و قوّة عسكرية ضاربة، في الوقت الذي كان فيه العالم الإسلامي يعاني استمرار الحروب الصليبية، والدّمار المغولي والإسترداد الإسباني[2] فكان الموحدّون في ذلك الوقت حماة دار الإسلام في بلاد المغرب و الأندلس، حيث ساهموا بشكل كبير في ردّ العدوان الصليبي على بيت المقدس إلى جانب إخوانهم المسلمين في المشرق.

إلاّ أنّ الأوضاع تغيّرت مع مطلع القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي إذ بدأت عوامل الضعف و التفكك تنهش كيان الموحّدين، لا سيما بعد معركة العقاب، سنة

([1]) تأسّست دولة الموحدين سنة 524هـ/1129م على يد المهدي بن تومرت ، في شكل دعوة دينية، و فكرة روحية تطوّرت إلى كيان سياسي على يد خليفته عبد المؤمن بن علي، الذي بسط نفوذ دولته على كامل المغرب الإسلامي وبلاد الأندلس، بعد مقاومته للإسبان و التصدي لزحفهم المستمر على الديّار الإسلامية، و قد عرفت هذه الدولة العديد من النزاعات الدّاخلية و الخارجية، إلى أن سقطت على يد بني مرين سنة 668هـ/1269م.

للمزيد من المعلومات عن الموحدين راجع، البيذق، أخبار المهدي ابن تومرت، تحقيق و تعليق عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1974، و أيضا الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية لمؤلف مجهول، تحقيق سهيل زكار و عبد القادر زمامة، الدّار البيضاء، 1979 و أيضا، ابن عذاري المرّاكشي، البيان المغرب و أخبار الأندلس و المغرب، ج4، (جزء خاص بالموحدين)، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني، ومحمد بن تاويت، محمد زنيبر وعبد القادر زمامة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985.

([2]) للمزيد من التفاصيل عن حروب الموحدين مع الإسبان انظر، عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد السعيد العريان ومحمد العلمي، القاهرة، 1949، و أيضا، السلاّوي الناصري، الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدّار البيضاء، 1955.

609هـ/1212م[1]، والتي أدخلت المغرب الإسلامي و الأندلس في حالة من الفوضى والإضطربات السياسية و العسكرية، وذلك بعد وحدته التي تحققت على يد ابن تومرت وعبد المؤمن بن علي مؤسس هذه الدولة و من بعده خلفاؤه الأكفاء.

و زاد من تفاقم الأوضاع و تأزّمها، وفاة محمّد الناصر فجأة في ظروف غامضة في السنة الموالية للهزيمة، بعد عودته من الأندلس، و تعيين إبنه المستنصر[2] مكانه وهو لا يزال شابًّا في السادسة عشر من العمر، ليست له دراية بأمور الدولة و سياسة الملك، فاستبد بالأمر دونه أشياخ الموحّدين الذين لم يكونوا كلّهم على اتّفاق، كلمتهم متفرّقة وأهدافهم متباينة، فاستفحل الصراع على السلطة واعتلاء كرسي العرش بين أفراد الأسرة الموحّدية و شيوخها و الطامحين إلى النفوذ فيها، فإختلفت كلمتهم، وتفرقوا إلى فرق متناحرة، فتصدّعت بذلك وحدة القبائل الموحّدية، وانقسمت بين هذه الفرق المتخاصمة فدخلت بذلك الدولة الموحّدية في دوّامة من المعارك المستمرّة، وفي فترة من الانحلال والاضمحلال التدريجي الذي شتت قوى الدولة و مواردها و التي أدّت حتما إلى إنهيارها و سقوطها[3] ثم تلت هذه الصراعات الدّاخلية أزمة أخرى، ساهمت بالتعجيل في سقوط الموحّدين، و هي الثورة التي قام بها بنو غانية[4]. فضلاً عن الحروب المتكرّرة

([1]) دارت هذه المعركة بين الموحّدين بقيادة محمد الناصر الموحّدي (595-610هـ)/(1199-1213م)، و بين الجيش الإسباني المسيحي بقيادة ألفونسو الثامن، حيث انتصر فيها الإسبان، و هُزم الموحّدون شر هزيمة، عن تفاصيل هزيمة العقاب انظر، ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972، ص ص 158-160، و أيضا، مؤلف مجهول، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص 22، و أيضا، محمد عبد الله عنان، عصر المرابطين و الموحّدين، في المغرب والأندلس، ج2، عصر الموحّدين وانهيار الأندلس الكبرى، القاهرة، 1964، ص ص 290- 317.

([2]) لم يحظ يوسف المستنصر بالإجماع، فرفضه البعض، و استصغره البعض الآخر، فانشغل هو بنفسه عن التدبير بما يقتضيه الشباب، راجع عبد الرحمن بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، دار العلم، بيروت، 1968، ص 524، وأيضا السلاوي، المصدر السابق، ج2، ص 204.

([3]) محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 328.

([4]) بنوغانية : ينتمون إلى قبيلة مسوفة الصنهاجية، و قد عرفوا بهذا الإسم نسبة إلى إسم أمّهم غانية، كانوا ولاة على دانية، فامتلكوا جزرا البااليار شرق الأندلس، و استقلوا بها و أعلنوا ولاءهم للعباسيين، ثم ثاروا على الموحّدين محاولين إحياء الدولة المرابطية المنقرضة فغزوا في حركتهم هذه، كل من بجاية، مليانة، قلعة بني حمّاد، قسنطينة=

التي كانت تنشب بين بني مرين والموحّدين وخروج ولاة النواحي عنها، و استبدادهم بالحكم، و في هذه الآونة بادرت بعض القوى السياسية في الدولة، و بعض الزعامات القبلية إلى استغلال هذه الأوضاع المتردّية، للإنفصال وتحقيق كيان سياسي مستقل، فراحت تخطط إلى ذلك سرًّا و جهرًا، إلى أن أعلنت العصيان، فكان أوّل من بادر إليه، أبو زكرياء الحفصي (625-647هـ/1227-1249م) مكوّنا الإمارة الحفصية (625-982هـ/1227-1574م) و منفردًا بحكم ولاية إفريقية متخذًا من تونس عاصمة له[1].

ففتحت هذه الخطوة الباب على مصراعيه لخطوات أخرى مماثلة، كانت فكرة الإنفصال و الإستقلال تجيش في صدور بعض زعماء القبائل و عمّال الدولة، فجاءت الخطوة الثانية للإستقلال عن الدولة على يد يغمراسن بن زيان زعيم بني عبد الواد (633-681هـ/1233-1282م) الذين كانوا يستوطنون نواحي تلمسان، حيث مكنتهم الظروف السياسية و الصراع المستمر من الإنفراد بالسلطة في تلمسان بمباركة الموحّدين أنفسهم ورضاهم، ثم انفرادهم بحكم المغرب الأوسط والاستقلال عنهم سنة 633هـ/1233م، مكوّنين بذلك الإمارة الزيانية (633-962هـ/1233-1554م)، متخذين من تلمسان عاصمة لهم[2].

=وشرق الدولة الموحّدية، و قد أحدثت إضطرابًا كبيرًا في المغرب الإسلامي بأكمله، انظر، عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج6، ص 508، و أيضا، محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص 17 وما بعدها، وأيضا، عبد العزيز سالم، المغرب الكبير العصر الإسلامي(دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية)،ج2، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص ص 803-805.

(1) يعتبر أبو زكريا يحيى الحفصي المؤسس الحقيقي لدولة الحفصيين بتونس، فقد استقل بإمارة إفريقية في سنة 625هـ، و كان سبب استقلاله استياؤه ممّا قام به المأمون الموحّدي من قتل الموحّدين بمراكش خاصة من هنتاتة وتنمل، ومن طعنه بعصمة المهدي و تغييره لرسوم الدعوة الموحّدية،انظر في ذلك، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص ص 593- 595، و أيضا:

G. Marçais, La berberie Musulmane et l'orient au moyen âge, Paris, 1946, P 279.

و أيضا، عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ج2، ص 275.

وعن التاريخ السياسي للدولة الحفصية انظر : ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم و تحقيق محمد الشاذلي النيفر، و عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968، و أيضا، ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية و تونس تحقيق محمد شمام، تونس، 1967، و أيضا، الزركشي، تاريخ الدولتين الموحّدية و الحفصية، تحقيق محمد ماضور، تونس، 1966.

(2) عن وصول قبيل بني عبد الواد إلى تلمسان و حكمها، و تولية يغمراسن بن زيان عليها و استقلاله بالمغرب الأوسط، انظر، يحيى بن خلدون، بغية الروّاد في ذكر الملوك من بني عبد الواد،ج1، تحقيق عبد الحميد حاجيات =

وسار على نهجهم بنو مرين في المغرب الأقصى، حيث كانوا من القبائل الزناتية التي لم تشأ الخضوع لنفوذ الموحّدين فقاموا بعدّة محاولات للإنفصال وتكوين إمارة لهم مستغلّين في ذلك ما طرأ على جسم الموحّدين من ضعف و إختلال، فجرت بينهما العديد من المعارك إلى أن تحقق هدفهم في قيام دولة لهم و ذلك سنة 668هـ/1269م[1].

فكانت إيذانًا بسقوط دولة الموحّدين، وقيام كيانات سياسية جديدة أعادت منطقة المغرب في حياتها السياسية إلى جوّ من الصراع القبلي الذي كان سائدًا قبل عصر المرابطين و كانت عواقبه وخيمة على الأندلس.وعلى الرّغم من أنّ هذه القبائل تكتلت في تشكيلات سياسية إلاّ أنّ الصراع بينهما تفاقم، نتيجة لذلك العداء الدّائم و الحروب المستمرة بين المرينيين و الزيانيين، من أجل بسط النفوذ على كامل المغرب الأوسط، و تزَعُّم زناتة، فراحوا يستغلون كل الظروف والمناسبات، و يستعملون مختلف الطرق و الوسائل لتحقيق ذلك. فظلت العلاقة بينها متوترة على طول تاريخ الدولتين تتخللها بعض فترات السلم والهدنة على حسب اختلاف شخصيات السلاطين و سياستهم و أهدافهم و وسائل الوصول إليها.لكن و على الرّغم من هذا الصراع و النافس المستمر السياسي و العسكري، إلاّ أنه لم يمنع من وجود علاقات ثقافية، و تواصل فكري و علمي بين الإقليمين، و هذا ما سيتم الكشف عنه في هذا البحث.

=الجزائر 1980، ص 199، 200،و أيضا، محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدّر و العقيان في شرف بني زيان، تحقيق محمود بو عياد، الجزائر، 1985، ص 112، 113.

و أيضا :

-Barges, Histoire des Beni Zeiyan, Rois de Tlemcen, Paris, 1852.
-Barges, Tlemcen, Ancienne Capitale du royaume de ce nom, Paris, 1859.
-Barges, Complément de l'histoire des Beni Zeiyan, Roi de Tlemcen, Paris, 1887.

(1) عن تاريخ هذه الدولة أنظر، الذخيرة السّنية، مصدر سابق، و أيضا، ابن أبي زرع، المصدر السابق، و أيضا، ابن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، مطبوعات القصر الملكي، الرباط، 1962، و أيضا، السلاّوي، المصدر السابق، ج2.

الفصل الأول

التاريخ السياسي للدولتين

- المبحث الأول: الدولة الزيانية سياسيا
- المبحث الثاني: الدولة المرينية سياسيا

المبحث الأول: الدولة الزيانية سياسيا

1. نسبهم وموطنهم:

بنو عبد الواد[1] فرع من فروع الطبقة الثانية من قبيلة زناتة[2] البربرية التي كانت قبائلها تعيش حياة البداوة والترحال، تجوب صحراء المغرب الاوسط بحثا عن المراعي الخصبة لمواشيها، تمتد مواطنهم من تاهرت إلى نهر ملوية، وهم ينتمون إلى فرع بني واسين[3] إحدى أهم بطون زناتة، وتضم هذه الطبقة بطون عديدة منها بنو مرين وهم الاكثر عددا والاقوى سلطة، ثم يليهم بنو عبد الواد في المرتبة الثانية من حيث المكانة والقوة ثم يليهم بنو توجين[4].

وينقسم بنو عبد الواد إلى عدة بطون ذكر منها ابن خلدون ستة هي: بنو ياتكين وبنو أرلو، وبنو رهطف، ونصوحة، وبنو تومرت، وبنو القاسم[5].

وقد كان بنو واسين ومن تفرع عنهم يستوطنون الأراضي الممتدة ما بين نهر ملوية وأرض الزاب- الواقعة جنوب الأوراس – فامتنعت عنهم أراضي المغربين التي كانت تحت سلطة قبائل زناتة كبني ومانو،وبني يلوميبالمغرب الأوسط وبني يفرن ومغراوة[6] بتلمسان، فكانت هذه القبائل تقدم المساعدات لبني واسين من أسلحة ومال وحبوب مقابل

([1]) أصله عابد الوادي وهو صفة لجد لهم كان يتبتل بواد هناك، ينظر في ذلك، يحيى بن خلدون، بغية الرواد، المصدر السابق،ج1، ص 334.

([2]) من أقوى القبائل البربرية، اختلف المؤرخون العرب حول أصلها وتسميتها، غير أنهم أجمعوا أن هذا القبيل من ولد زانا أو جانا، ينظر في ذلك، ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 4-5، وقد تفرعت عنها العديد من القبائل ذكر منها ابن خلدون: مغروواة، وبني يفرن، وجراوة، وبني يرتيان، وبني واسين، وبني تيغرس، وبني مرين ، وتوجين، وبني عبد الواد، وبني راشد، وبني برزال، وبني ورنيد، وبني زنداك وغيرهم،، ينظر أيضا، العبر ، ج7، ص 14- 15.

([3]) بنو واسين: هم أبناء واسين ابن يصليتن إخوة مغراوة وبني يفرن، وهذا الفرع من ولد بادين بن محمد إخوة بن توجين ومصاب، وزردال، وبن راشد، وبني مرين، انظر، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص ص 147-114.

([4]) ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص 278.

([5]) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 72.

([6]) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 148-149، وأيضا ، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 179-180.

مساعدتهم في حال الحروب أو المخاطر خاصة مع صنهاجة[1].ت سلطة قبائل زناتة كبني ومانو، وبني يلومي بالمغرب الأوسط وبني يفرن ومغراوة[2] بتلمسان، فكانت هذه القبائل تقدم المساعدات لبني واسين من أسلحة ومال وحبوب مقابل مساعدتهم في حال الحروب أو المخاطر خاصة مع صنهاجة[3].

لكن ومع الزحف الهلالي إلى الشمال الإفريقي قضوا على صنهاجة بالقيروان ثم زحفوا إلى المغرب الأوسط، فدافع الحماديون عن بلادهم بمساعدة بني يعلى ملوك تلمسان من مغرواة، فجمع هؤلاء كل من كان من أحلافهم من بني واسين وهم من بني مرين وبني عبد الواد وبني توجين، وبني راشد، فهموا إلى محاربة الهلاليين بزعامة أبي سعدي خليفة من بني يفرن غير أنهم هزموا فكان لزاما عليهم الانسحاب من المغرب الأوسط بعد طردهم[4]منه، فاضطر بنو مرين وبنو عبد الواد وبني توجين من بني واسين إلى العودة إلى مواطنهم بصحراء المغرب الأوسط، من جبل راشد حتى ملوية وفقيق ثم إلى سجلماسة فاستجاروا بملوك هذه الضواحي من بني يلومي[5] وبني وامانو[6]، الذين قسّموا تلك المنطقة الصحراوية بينهم[7]، فأخذ بنو مرين الناحية الغربية بتكورارين ودبدو إلى سجلماسة[8]، أما بنو بادين فكانت لهم الناحية الشرقية – شرق المغرب الأوسط– ما بين فقيق ومديونة إلى جبل راشد ومصاب، فكانت بينهم وبين بني مرين العديد من الفتن والمناوشات بحكم جوارهم واتصالهم في الموطن، وضم بنو بادين عدة بطون هم:

([1]) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص ص 120–147.

([2]) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 148–149، وأيضا ، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 179–180.

([3]) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص ص 120–147.

([4]) نفسه، ص 128.

([5]) بني يلومي: استقروا على الضفة الغربية لوادي مينا والبطحاء وسيق وسيرات وجبل هوارة وجبل بني راشد، ينظر عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 117.

([6])بني وامانو: ينتسبون إلى زناتة وكانت مواطنهم شرق وادي مينا بمنداس أسفل شلف ويقطن بعضهم قصور توات انظر، ابن خلدون ، المصدر السابق، ج7، ص 204.

([7]) محمد مكيوي، الأوضاع السياسية والثقافية للدولة العبد الوادية منذ قيامه حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول (633–1236)هـــ- (737- 1337)م، رسالة ماجستير ، قسم الثقافة الشعبية، تلمسان، 2000–2001.

([8]) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 128.

بنو توجين بنو زردال وبنو مصاب، وبنو راشد[1]، وبنو عبد الواد، وينقسم هذا الأخير إلى ست بطون حسب ابن خلدون، وهي : بنو ياتكين، وبنو أولو، وبنورهطف ، ونصوحة وبنو تومرت، وبنو القاسم[2].

ويربط بعض المؤرخين [3] نسبهم بالأدارسة العلويين وبالتالي ينفون نسبهم البربري غير أن عبد الرحمن بن خلدون[4]ينكر هذا النسب ويعتبره زعما لا سند له، إذ يذكر في قوله:" ....وحتى يغمراسن عندما أبلغ الخبر لم يستنفعه وكان جوابه: " إن كان صحيحا فينفعنا عند الله وأما الدنيا فنلناها بسيوفنا".

ولما أخلص بنو عبد الواد الطاعة للموحدين أقطعوهم ضواحي من المغرب الأوسط (بلاد يلومي ووامانو) و بالتحديد فيما بين البطحاء وملوية ريفه وصحراؤة[5]. ويذكر يحيى بن خلدون رواية مفادها أن عبد المؤمن بن علي استنجد بشيخ قبيل بني عبد الواد أبو محمد عبد الحق لرد أمواله وغنائمه التي اغتصبها بنو مرين، فلبى هذا الأخير نداءه واسترجع غنائمه فاستحسن عبد المؤمن صنيعهم فأقطعهم تلك الربوع[6] جزاء مؤازرتهم له، أما بنو مرين فبعد دخول بني عبد الواد المغرب الأوسط سيطروا على تلك الصحراء فتوسعوا فيها، ومن ثمة أصبح لبني مرين وبني عبد الواد من بطون واسين كيانان سياسيا بعدما أعادوا مكانة زناتة وأعطوها طابع الدولة ذات السلطان في الأرض لتظهر بذلك

(1) بنو راشد: هم أحلاف بني عبد الواد، وكانت رئاستهم في عهد يغمراسن لونزمار ابن إبراهيم ابن عمران، انظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 121.

(2) والي هذا الفرع الذي آلت الرئاسة خلال عهد الموحدين ويضم عدة بطون هي: بنو يكثيمن، وبني مطهر أبناء عمومة بني عبد الواد ، وبني يعلى، وبني عبد الحق بن منغفان، انظر في ذلك، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص ص 140- 186، وأيضا عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 149 وأيضا يحي بوعزيز، المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزيانية (1236-1554م)، مجلة الأصالة العدد 26، الجزائر، 1975، ص 13.

(3) يتفق كل من يحيى ابن خلدون والتنسي صاحب نظم الدر في أن بني عبد الواد شرفاء من سلالة إدريس بن عبد الله مؤسس الدولة الإدريسية بفاس، ينحدرون من نسل القاسم الإدريسي الذي إنضاف إلى بني عبد الواد وتزوج منهم فكانت له ذرية صالحة، ينظر في ذلك، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 102-103.

(4) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 149.

(5) نفسه، ص 159.

(6) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 101.

منافسة إخوانهم من مغراوة[1] وبني توجين[2] الذي حاولوا مقاسمتهم الملك والسلطة؛ غير أن بني مرين وبني عبد الواد قويت شوكتهم بعدما قضوا تدريجيا على هؤلاء المنافسين.

2.نشأة دولتهم:

أما عن الكيفية التي وصل بها بنو عبد الواد إلى الحكم، فيجمع كل من يحيى بن خلدون[3] وعبد الرحمن بن خلدون[4] والتنسي[5]، بأن أبا سعيد شقيق المأمون سلطان الموحدين[6] كان واليا على تلمسان فاعتقل بعض مشايخ بني عبد الواد، فقصده إبراهيم بن إسماعيل بن علان الصنهاجي اللّمتوني[7] متشفعا فيهم، فلم يأبه له أبو سعيد ورد شفاعته، فغضب لذلك وثار ضده فاعتقله ثم بعدها أطلق سراح مشايخ بني عبد الواد، ولكنه تمادى إلى أبعد من ذلك، إذ خلع طاعة الموحدين وطمع إلى إحياء الدولة اللّمتونية فاعتقد أن ذلك لن يتم له إلا بالقضاء على كبار بني عبد الواد، وتحقيقا لغايته أراد التحايل على مشايخ القبيل لقتلهم، فبعث إلى جابر بن يوسف (عم يغمراسن) الذي كان على رأسهم حينذاك، فأعدّ لهم وليمة دعاهم إليها بغرض تصفيتهم عند وصولهم، لكن المشايخ كان قد بلغهم ما

([1]) ينتسبون إلى زناتة البربرية مواطنهم شمال الونشريس ووادي شلف إلى البر ينتهي شرقا إلى وادي الست قرب متيجة وغربا إلى البطحاء ناحية نهر مينا ، بها عدة مدن منها: مليانة، مازونة،تنس ، شرشال، المدية، عاشت مغراوة حياة البداوة، وظلت في صراع مع الزيانيين، ينظر، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص ص 50-57 وأيضا يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 169- 170.

([2]) ينتسبون إلى زناتة ، استوطنوا شرقي بني عبد الواد وجنوب مغرواة، فيما بين سعيدة والمدية، هم الآخرون ظلوا على حياة البداوة، وفي عدائهم للزيانيين طيلة حكمهم ، وتضم أرضهم قلعة بني سلامه التي أقام بها ابن خلدون أربع سنوات(776- 780هـ)، حيث نظم فيها مقدمته الشهيرة، انظر، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص ص 318-333وأيضا ، لسان الدين بن الخطيب، المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من أعمال الأعلام، فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام، تحقيق أحمد مختار العبادي ومحمد الكتاني دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964، ص ص 167-170.

([3]) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 101 ، وأيضا، بوزياني الدراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص4، وأيضا، عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 872.

([4]) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص152-153.

([5]) التنسي، مصدر سابق، ص 112-113.

([6]) أبو العلى إدريس المأمون بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي، حكم من سنة 624هـ/1226م إلى سنة 630هـ/1232م.

([7]) شيخ اللمتونيين ضمن حامية تلمسان.

عزم عليه، فتوقفوا خارج البلد يأتمرون وبلغه قدومهم، فخرج إليهم مسرعا يستقبلهم فوقع هو وأصحابه أسرى بين أيدي بني عبد الواد[1] فدخل جابر بن يوسف تلمسان وأعلن الدعوة للمأمون وبعث إليه معلنا الطاعة[2] فعهد له المأمون بولاية تلمسان وتسيير أمورها وما يليها من بلاد زناتة سنة 627هـ/1229م[3]، وبالتالي أصبح بنو عبد الواد سادة على تلمسان وضواحيها فكانت بذلك الخطوة الأولى نحو تأسيس دولتهم فحاول جابر بن يوسف توسيع نفوذه، وإخضاع جيرانه فأطاعه كثيرون فقصد أهل ندرومة يطلب منهم الطاعة فأبوا، فحاصر المدينة لكنه قتل حول أسوارها بسهم (يوسف الغفاري التلمساني) فخلفه ولده الحسن الذي تخلى عن الحكم لعمه عثمان بن يوسف بعد ستة أشهر،فعزل من قبل الرعية بعد عام ونصف لسوء حكمه، فآلت السلطة إلى أبي عزة زيدان أوزكران بن زيان بن ثابت بن محمد[4] غير أن بني مطهر[5] رفضوا مبايعته وحاربوه بمساندة بني راشـد[6]وانتهت الفتنة بينهم بقتل أبي عزة زيدان في معركة دارت رحاها خارج تلمسان سنة 633هـ عندها تولى أمر تلمسان أخوه يغمراسن[7] بن زيان بن ثابت بن محمد وذلك سنة 633هـ/1235م الذي تمكن من إخضاع بني مطهر وبني راشد وجمع كلمتهم

---

(1)التنسي، المصدر السابق، ص 112-113.

(2) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 106-107.

(3) عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني (حياته وآثاره)،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982 ص 12.

(4) محمد عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص 79.

(5)هم أولاد عمومة بني عبد الواد وينتمون لمطهر بن يمل بن يزكن بن القاسم بن عبد الواد، ينظر في ذلك، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 150.

(6) يلتقون بيني عبد الواد عند جدهم محمد بن زحيك أو (سجيع) بن واسين بن مسرى أو (مسرا) بن زاكيا بن ورسيك (مسيج) بن اوديت لو مادغيس الأبتر.

(7) ولد يغمراسن سنة 603هـ/ 1206م، ولي وبويع يوم توفي اخوه ابو عزة سنة 633ه /1236م، وكان معروفا عند قومه بدهائه السياسي وشجاعته وحزمه وحصافة رأيه، ومكارم أخلاقه وإيثار ذوي الفضل والعلم، حيث قال عنه ابن خلدون:" كان يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد من أشد بني عبد الواد بأسا وأعظمهم في النفوس مهابة وإجلالا وأعرفهم بمصالح قبيله وأقواهم كاهلا، اشتهر بحصافة الرأي وسداد التدبير وقو ة العزيمة معظما عند الخاصة والعامة، يرجعون إليه في كل الأمور عندما تداهمهم النوازل والنوائب والعوادي"، ينظر في ذلك، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 162.

في ظل الدولة العبد الوادية التي سارع يغمراسن إلى إعلان استقلالها عن دولة الموحدين، مستبدا بالحكم دونهم[1] متخذا تلمسان عاصمة لبلاده.

وبذلك يدخل بنو عبد الواد مرحلة جديدة بعد أن أصبح لهم كيانا سياسيا يمثلهم وقوة يعتدون بها في المغرب الأوسط[2]، مرحلة يشوبها العديد من الصراعات والمؤامرات خاصة من قبل جاراتها الحفصية والمرينية وكذا القبائل المجاورة العربية والبربرية، ومحور هذا الصراع التوسع وبسط النفوذ وتحقيق الريادة بالقوة.

ولعل يغمراسن بن زيان لم يستثن من هؤلاء، فعندما بويع بالإمارة بعد مقتل أخيه أبي عزة اضطلع بالأمر في عزم وقوة، فأخضع إلى سلطانه كل الذين كانوا قد خرجوا عن طاعة أخيه (بني مطهر وبني راشد) فأحسن السيرة في الناس تدبيرا وسياسة، وعمل على تنظيم قواته العسكرية كما اعتنى بتوفير الأسلحة والذخيرة لها، استعدادا للدفاع عن البلاد، كما اعتنى بالجهاز الإداري كاستحداث مجلس وزاري، وكتابا ليساعدوه على تسيير شؤون الإمارة خاصة بعدما ألغى السلطة الفعلية للموحدين ولم يبق لهم سوى التبعية

الأدبية والروحية خاصة في عهد الخليفة السعيد والدعاء له على المنابر أيام الجمعة والأعياد[3].

(1) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 162-163، وأيضا، التنسي، المصدر السابق، ص 113.

(2) عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الثاني، ص 13.

(3) لم يقطع يغمراسن علاقته كليا مع الخليفة الرشيد الموحدي بمراكش، إذ يقول ابن خلدون في هذا الصدد:" ....ومحا يغمراسن آثار الدولة المؤمنية وعطل الأمر والنهي باسمها ولم يترك من رسوم دولتهم وألقاب ملكهم إلا الدعاء على منابره للخليفة بمراكش..."، ينظر في ذلك، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7،ص 162-163، وذكر يحيى بن خلدون أيضافي البغية، ج1، ص 112، أن تقرّب خليفة مراكش من الامير العبد الوادي وإتحافه بالهدايا هو الذي شجع الأمير أبا زكريا الحفصي على الاستقلال بإفريقية كما قال ابن خلدون في العبر، ج7، ص 164 عن توطد العلاقات بين تلمسان ومراكش:" ...وكان يغمراسن منذ تقلد طاعة آل عبد المؤمن أقام دعوتهم متحيزا إليهم سلما وحربا وعلى عدوهم ". كما ذكر ابن خلدون أن سبب تقاربهما هذا هو اتفاقهما على عدواة بني مرين الذين كانوا خطرا على كلا الدولتين، وكان هذا التحالف بين الخليفة بمراكش والحكم الجديد بالمغرب الأوسط هو الحافز الحقيقي للأمير الحفصي ليتنازل عن تلمسان سنة 639هـ/ 1242م.

3. الحدود السياسية للدولة الزيانية:

– يشغل إقليم هذه الدولة رقعة من الأرض كانت تعرف سابقا بالمغرب الأوسط سميت الدولة العبد الوادية نسبة إلى بني عبد الواد إحدى بطون زناتة، كما سميت أيضا بالدولة الزيانية نسبة إلى زيان بن ثابت والد يغمراسن مؤسس هذه الدولة[1].

ويتميز هذا الإقليم باختلاف تضاريسه وتنوع مناطقه وتباين مناخه بين منطقة وأخرى تنتشر عبره العديد من المدن التي كان لها أدوار سياسية واقتصادية وثقافية أهمها: تلمسان[2] عاصمة الدولة وحاضرة ملكها ومركز إشعاعها العلمي والأدبي والفني ثم ندرومة وهنين ووجدة ووهران ومستغانم و مازونة و مليانة والمدية والجزائر ودلس وغيرها[3].

أما حدودها فإنها مرت بحالات مد وجزر طوال حياتها، حيث لم تكن ثابتة ومستقرة بل كانت تتقلص حينا وتتسع أحيانا حسب استعداد بني زيان وقوتهم العسكرية والاقتصادية واستقرارهم وأمنهم ووحدة أمرائهم وانسجام قبائلهم وولائها الصادق[4].

فبعدما تمكن يغمراسن من التوسع غربا كان الحد الفاصل بين مملكته ودولة بني مرين وادي ملوية شمالا إلى إقليم فيجيج جنوبا[5] واستطاع الوصول بمملكته بمساعدة القبائل المنضوية تحت نفوذه إلى ما بعد مدينة وجدة إلى تاوريت[6] والبلاد التي تلي نهر ملوية

([1]) إبراهيم بلحسن، العلاقات الثقافية بين المغربين الأوسط والأدنى من القرن 7 إلى القرن 9هـ/ 13 إلى 15م، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، تلمسان، 2005/2004، ص 17.

([2]) يقول ابن خلدون: " واسمها في لغة زناتة مركب من كلمتين :– تلم، سين– وتقرأ (بسان) ومعناها تجمع بين اثنين البر والبحر، ينظر، عبد الرحمن بن خلدون ، المصدر السابق، ج7، ص 156–157، ويرى صاحب البغية أنها تعني (الصحراء والتل)، ينظر ، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 85.

([3]) بوزياني الدراجي، المرجع السابق ، ص 37.

([4]) عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 43.

([5]) نفسه، ص 23.

([6]) تقع هذه المدينة الآن غرب مدينة وجدة بــ 136 كلم، ينظر، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7 ص ص 227– 454، وأيضا، عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، المكتبة الوطنية، الجزائر 1965، ص 146.

ووادي (صا) أو (زا)[1]، وإقليم فيجيج في الجنوب الغربي، أما من الناحية الشرقية فقد عرفت تطورا ملحوظا منذ اعتلاء السلطان أبي سعيد عثمان بن يغمراسن عرش المملكة.

فتطبيقا لوصية يغمراسن[2] ركز أغلب خلفائه اهتمامهم نحو توسيع إقليم دولتهم على حساب الحفصيين لا سيما في عهد كل من عثمان بن يغمراسن وأبي زيان محمد وأبي حمو الأول وابنه أبي تاشفين الأول، فقد استطاعت الجيوش الزيانية في عهد هذين العاهلين الأخيرين الوصول إلى بجاية وقسنطينة وعنابة من أراضي الحفصيين، حيث حاصرتها عدة مرات إلى أن بلغت عاصمتهم تونس[3] في عهد أبي تاشفين الأول سنة (718هـ- 1318م/737هـ-1337م) لكنها تراجعت إلى أطراف بجاية وبلاد الزاب وهو أقصى اتساع لها في المنطقة الشرقية[4]، كما امتدت حدودها من البحر المتوسط شمالا إلى غاية الصحراء الكبرى[5]التي تفصل المغرب الإسلامي عن إفريقيا السوداء[6]جنوبا. تلك هي الحدود التي استمرت عليها الدولة الزيانية في أغلب الأحيان طوال وجودها على الرغم من تعدد الهجمات والغزوات عليها من قبل المرينيين والحفصيين[7].

([1]) الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص 7، وأيضا، التنسي، المصدر السابق، ص 118-119.

([2]) ذكر ابن خلدون أن يغمراسن أوصى ابنه قائلا: " يا بني إن بني مرين بعد استفحال ملكهم واستيلائهم على الأعمال الغربية، وعلى حضرة الخلافة بمراكش، لا طاقة لنا بلقائهم إذا جمعوا لوفود مددهم، ولا يمكنني أنا القعود عن لقائهم لمعرة النكوص عن القرن التي أنت بعيد عنها فإياك واعتماد لقائهم وعليك باللياذ بالجدران متى دلفوا إليك، وحاول ما استطعت في الاستيلاء على ما جاورك من عمالات الموحدين وممالكهم، يستفحل به ملكك وتكافئ حشد العدو بحشدك ولعلك تصير بعض الثغور الشرقية معقلا لذخيرتك." فعلقت وصية الشيخ بقلبه، ينظر في ذلك، ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 189-190.

([3]) التنسي، المصدر السابق، ص 137، وأيضا، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1ص 218.

([4]) التنسي، المصدر السابق، ص 137.

([5]) الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 7، وأيضا:

- Bouali Sidi Ahmed : les deux grands siéges de Tlemcen, ENAL, Alger, 1984,P.27.

-Brosslard Charles : les inscriptions arabes de Tlemcen, Revue Africaine , N° 14, 3 ^{eme} année, 1859, Alger, P.321-322.

([6]) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المؤسسة المصرية العامة، ج5، القاهرة، 1963، ص 149.

([7]) عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 45.

4. علاقة الزيانيين بالحفصيين:

لمّا تمكن يغمراسن بن زيان من زمام السلطة والملك وعلت مكانته بعد أن استقل بمملكته أصبح الخطر يحدق ببلاده شرقا وغربا، إذ كان لموقعها وسطا أثرا في التنبؤ بمصيرها، فقد كان العرب يسيطرون على وديان الساحل الشمالي ويفرضون الأتاوات على سكانه، ولم تكن آنذاك دولة بني زيان بالقوة التي تمكنها من إخضاعهم، إضافة إلى منافسة بني توجين ومغراوة الذين خرجوا عن طاعتها، مما دفع بيغمراسن إلى محاربتهم ومنازلتهم في ديارهم، الأمر الذي جعل هذه القبائل تتحالف مع الأمير الحفصي أبي زكريا بن أبي حفص[1] الذي استقل هو الآخر بشؤون إفريقية عن سلطة الموحدين، حيث كانت له مطامع توسعية ترمي إلى الاستيلاء على المغرب كله وبالتالي تمكنه من كرسي الدعوة بمراكش وهو الذي كان يعتبر نفسه الوارث الشرعي لمملكة الموحدين الآيلة للسقوط بها[2].

قد كان يغمراسن منذ تقلده الحكم تابعا للموحدين[3]، إذ أنه ورغم استقلاله بمملكته إلا أنه لم يقطع صلته نهائيا بالسلطة المركزية في مراكش، فكانت علاقته بها قوية متينة خاصة في عهد الرشيد بن المأمون الموحدي[4] الذي راح يضاعفه الإحسان والإخلاص ويغدقه بالهدايا والأموال. لمساعدته في صد بني مرين الذين اعتدوا عليه واستولوا على مناطق شاسعة من المغرب الأقصى من جهته وحتى لا يصير حليفا لهم من جهة أخرى وحفاظا على اواصر المودة مع يغمراسن انتهج (السعيد الموحدي) خليفة الرشيد نفس السياسة، حيث بعث إليه بهدية من الخيل العتاق وكتب إليه يعاهده على قتال بني مرين[5].

---

(1) أبو زكريا مؤسس الدولة الحفصية بتونس سنة 625هـ/1228م، ينظر، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 594-595.

(2) ويقول ابن خلدون في هذا الصدد:" كان الأمير أبو زكريا الحفصي منذ أن استقل بأمر إفريقية واقتطعها من بني عبد المؤمن متطاولا إلى ملك الحضرة بمراكش والاستيلاء على كرسي الدعوة"، ينظر في ذلك، ابن خلدون ، المصدر السابق، ج6، ص 607.

(3) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 164، وأيضا، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 205.

(4) محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص 143.

(5) محمد عمرو الطمار، المرجع السابق، ص 80.

الأمر الذي أقلق وأساء الأمير الحفصي أبا زكريا الذي كان يخشى أن يعقد السلم بين يغمراسن وبني مرين ثم يقع التحالف بين هؤلاء والخليفة على محاربته فعزم على محاربة يغمراسن الذي كان يعتبره حاجزا إذا قضى عليه تنفتح أمامه طريق مراكش، فظل ينتظر الفرصة السانحة حتى يكتسح تلمسان، ويقضي على يغمراسن، وقد سنحت تلك الفرصة عندما جاءه وفد من بني توجين وبني منديل (مغراوة) بقيادة عبد القوي التوجيني وأمراء مغراوة، يستصرخونه ضد يغمراسن ويستنجدون به ويعدونه بالطاعة ومساعدته للسيطرة على تلمسان، وجمع زناتة تحت سيادته[1] فقويت آمال أبي زكرياء فاستعد لذلك أحسن استعداد، بعدما حرض على الانضمام إليه من كانوا تحت سيادته من أعراب رياح وسليم[2]، فنزل بمليانة سنة 640هـ/ 1242م[3] ومنها راسل يغمراسن يطلب طاعته فأبى حينئذ تحرك نحو تلمسان وبالغ في التنكيل بأهلها تأديبا ليغمراسن الذي رأى أنه لا يقدر على مقاومة كل هذه الجموع، ولا ينفعه إلا أن يغادر البلاد، وفعلا استطاع أن يحدث ثغرة في الحصار المضروب عليه وأن يفر هو وأهله وحاشيته متوغلا في الجبال[4] فسقطت تلمسان بين أيدي الحفصيين، غير أن هذا الانتصار لم يكن كل شيء لأبي زكرياء الذي واجهته مشكلة من يتولى ولاية تلمسان بعد عودته إلى تونس؟ خصوصا بعدما رفض أمراء زناتة ذلك مؤكدين بأنهم لا يستطيعون مواجهة يغمراسن[5]، وكذا أكابر الحفصيين

([1]) عبد الرحمن بن خلد ون، المصدر السابق، ج 6، ص 608.

([2]) محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص 142.

([3]) أورد الزركشي أن تعداد الجيش الحفصي بلغ أمام تلمسان أربعة وستين ألفا، بينما أورد ابن عذارى أن التعداد بلغ عشرة آلاف، ويختلف الزركشي مع يحيى بن خلدون واخيه عبد الرحمن، حول تاريخ الحملة، إذ جاء في العبر، ج7 ص 165 ، أن أبا زكرياء تحرك نحو تلمسان في عهد الرشيد سنة 639هـ/ 1241م، أما في البغية، ج1، ص 113 فتحرك نحو تلمسان سنة 640هـ/1242م، بينما انفرد التنسي في نظم الدر، ص 117 بتحديد سنة 645هـ/1247 ينظر في ذلك، الزركشي، المصدر السابق، ص 29.

([4]) محمد عمرو الطمار، المرجع السابق، ص 80.

([5]) تخوف الجميع من تحمل المسؤولية لأنهم كانوا يدركون خطورة الوضع إذ على الوالي الجديد مجابهة قوات الخلافة الموحدية إذا جاءت لنجدة تلمسان، وإصرار يغمراسن على استرجاع ملكه خصوصا وأنه ظل يناوش القوات الحفصية في تلمسان لا بل استطاعت طلائع من أتباعه أن تقتحم المعسكر الحفصي وأن تختطف بعض الأسرى، ينظر في ذلك، محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص 143.

الذين لم يقبلوا بولاية تلمسان لعلمهم بأنها ولاية مخسورة مادام يغمراسن قريبا منها[1].

وأمام هذا الوضع اضطر أبو زكريا إلى إنقاذ الموقف بقبول التفاوض مع يغمراسن نفسه، خاصة بعد وساطة والدته سوط النساء فاستقدمه وأمّنه وعقد صلحا معه[2] بشروط أهمها أن يعود يغمراسن إلى تلمسان وأن يعترف بسلطة أبي زكرياء الحفصي عليه، وأن يتخلى عن الخلافة الموحدية، وأن تقام الخطبة باسمه دون الرشيد[3] على أن يدفع يغمراسن مائة ألف دينار للسلطان الحفصي[4].

وبهذا الصلح ظن أبو زكرياء أنه ضمن تبعية تلمسان له لتكون حاجزا بين مملكته وبين المغرب الأقصى حيث المرينيين والموحدين، فعزم على الارتحال، ولكن في طريقه وسوس إليه بعض حاشيته باستبداد يغمراسن بالحكم، فأشاروا عليه بإقامة منافسين له من زناتة وأمراء المغرب الأوسط (مغرواة وتوجين)[5]، حتى لا يخلو له الجو ويقوى نفوذه[6] فقلد القطائع حول تلمسان وأحدث إمارات بني توجين ومغراوة، عندما قلد كلا من عبد القوي بن عطية التوجيني والعباس بن منديل المغراوي ومنصور المليكشي أمر قومهم وعهد إليهم جميعا باتخاذ الآلة، كما جاء ببني سليم إلى نواحي بونة و أسكنهم بها ليضيّق على يغمراسن وتكون حصنا لمملكته[7].

ولما بلغ خبر هذا الصلح إلى الخليفة الموحدي أبي الحسن السعيد تخوف من عواقبه ومن اتحاد بني عبد الواد وبني حفص[8] فخرج بجيوشه قاصدا تلمسان لتجمعه مع

---

(1)عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 609.

(2) بعدما تأكد يغمراسن من إطباق الكثير من سادة المغرب الإسلامي على مبايعة ملك الحفصيين بالخلافة، بعث بوالدته- سوط النساء- إلى أبي زكرياء الحفصي لتقديم مراسيم البيعة نيابة عنه، فتوسطت لابنها مقترحة عليه العفو عنه بشروط والسماح له بالعودة إلى رئاسة قومه تحت طاعة الخليفة، ينظر في ذلك، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 167، وأيضا، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 205.

(3) عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى ، ص 13.

(4) التنسي، المصدر السابق، ص 118.

(5) ابن عذارى، المصدر السابق، ج4، ص 361 .

(6) محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص 146، وأيضا، محمد عمرو الطمار، المرجع السابق، ص 81.

(7) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 166-167، وأيضا، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1 ص 206-207.

(8) السلاوي، المصدر السابق،ج3، ص29.

يغمراسن معركة حامية الوطيس بالقرب من قلعة تامزدكت[1] سنة 646هـ/ 1248م كان الانتصار فيها حليف يغمراسن الذي نصب كمينا له فقتل أبو الحسن على يدي فارس يدعى (يوسف بن عبد المؤمن الشيطان)[2]، وانهزم جيشه فغنم بنو عبد الواد ذخائره، ومن جملة هذه الذخائر المصحف العثماني والعقد اليتيم المعروف بالثعبان[3].

أما عن أبي زكرياء الحفصي فلم يلبث بعد ذلك إلا قليلا حتى فاجأه الموت وهو بمحلته ببونة سنة 647هـ/1249م، فخلفه ابنه أبو عبد الله محمد الأول المستنصر[4] الظرف الذي استغله يغمراسن الذي اجتمع حوله قومه وأخذوا في الانقضاض على العديد من المدن منها مليانة سنة 668هـ/1269م[5].

وبعد وفاة يغمراسن سنة 681هـ/1283م[6] تمت مبايعة ابنه أبو سعيد عثمان الذي أوصاه والده من قبل بمسالمة بني مرين ليتفرغ فيما بعد إلى فتح ما ولاه شرقا من بلاد الحفصيين، ففعل عندما بعث بأخيه محمد إلى السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني الذي كان بالأندلس سنة 684هـ/1285م فهادنه وسالمه[7]، فتوجه حينئذ إلى الجهة الشرقية فصادف ذلك حدوث فتن خطيرة بإفريقية ذلك أن الأمير أبو زكرياء بن أبي إسحاق الحفصي صهر أبي سعيد عثمان بن يغمراسن كان قد زحف بمساعدة العرب الذواودة إلى بجاية التي استنجد سلطانها أبي حفص بأبي سعيد عثمان، والذي كان قد أرسل إليه بيعته[8]، حينئذ رأى أبو سعيد أن بيعته لأبي حفص تحتم عليه قطيعة صهره أبي زكريا

([1]) هي قلعة حصينة تقع جنوب وجدة، قرب جبل العصفور في الحدود الجزائرية المغربية، ينظر، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 168-169.

([2])مؤلف مجهول، الذخيرة السنية، المصدر السابق، ص 78، وأيضا، ابن عذارى المصدر السابق،ج4، ص387-388 وأيضا،ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 58، وج7، ص 82، وأيضا، ابن أبي الزرع،المصدر السابق، ص 102.

([3]) التنسي، المصدر السابق، ص 123-124.

([4]) الزركشي، المصدر السابق، ص 164.

([5]) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 152.

([6]) ورد في المصادر أن يغمراسن خرج للقاء موكب عروس ابنه أبو سعيد وهي ابنة الأمير أبو إسحاق بن أبي زكرياء الحفصي فلقيهم بمليانة وفي طريق عودته أدركه الموت، فأخفى ابنه أبو عامر نبأ موته إلى أن وصل ، انظر في ذلك التنسي، المصدر السابق، ص 128، وأيضا، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 116.

([7]) محمد عمرو الطمار، المرجع السابق، ص 98.

([8]) عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى ، ص 14.

فلبى نداء السلطان الحفصي وربما كان يهدف من وراء هذا التصرف إلى تنفيذ خطته الرامية إلى التوسع شرقا وبالفعل نهض أبو سعيد بجيوشه سنة 686هـ في اتجاه بجاية فاستولى على بلاد بني توجين ومغراوة وما وراءهما من أعمال الحفصيين، فحاصر بجاية لكنها امتنعت عليه، فعاد إلى عاصمته واستولى في طريقه على مازونة وتنس[1].

ورغم الوحشة التي حصلت عندما حاول الأمير عثمان أن يغزو بجاية إلا أنه سرعان ما عادت المياه إلى مجاريها واستمر بنو زيان تابعين للحفصيين إلى أن غزا السلطان المريني يوسف بن يعقوب تلمسان سنة 698هـ/1299م وفرض عليها ذلك الحصار الطويل المشهور، فاستعان عندئذ عثمان بن يغمراسن بأمير بجاية الحفصي الذي قدم نجدة كبيرة لبني عبد الواد التقت بالقوات المرينية في جبل الزاب وأوقعت بها هزيمة كبيرة عرفت بمعركة " مرسى الرؤوس" لكثرة ما تساقط خلالها من رؤوس العباد[2].

وهذه الحادثة زادت من حدة الوضع والمنافسة بين يوسف المريني وصاحب بجاية أبو زكرياء الاوسط الحفصي الذي كان على خلاف مع صاحب عرش تونس الحفصي، ولذلك استقل سلطان تونس أبو عصيدة بن الواثق الحفصي وحاول أن يوطد صلاته بالسلطان المريني فعرض عليه التعاون لإسقاط عرش تلمسان، فرد عيله الامير عثمان بن يغمراسن على ذلك بإسقاط الدعوة الحفصية من منابر تلمسان، وقطع حبل التبعية التي كانت تربطهما ببعض[3].

ومع انشغال المرينيين بمشاكلهم الداخلية عقب رفع الحصار بصفة كاملة عن تلمسان سنة 732هـ/ 1331م وانشغال الحفصيين كذلك بحل خلافاتهم الداخلية والاضطرابات التي كانت تخص أطراف دولتهم الغربية[4]، تمكن أبو حمو موسى الزياني[5] من الاستيلاء على مدينتي دلس والجزائر سنة 712هـ/1312م، في حين فشل أبو يحيى

---

(1) ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 192، وأيضا، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 118-119.

(2) عبد الرحمن بن خلدون ، المصدر السابق، ج7، ص 188.

(3) نفسه، ص 188-189 .

(4) ابن قنفذ القسنطيني، المصدر السابق، ص ص 156-160.

(5) هو أبو حمو موسى بن عثمان ، تولى الإمارة بعد وفاة أخيه أبي زيان محمد سنة 707هـ/1308م واستمر إلى غاية 718هـ/1318م، ينظر في ذلك، التنسي، المصدر السابق، ص 132، وأيضا، عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص 16-17.

زكرياء اللحياني[1] حاكم تونس من استعادة بجاية سنة 711هـ/ 1311م مما دفع بأبي يحيى أبي بكر الحفصي حاكم بجاية إلى توجيه السعيد بن يخلف رسولا إلى أبي حمو الزياني لتوطيد العلاقات بينهما ضد اللحياني، و في عهد أبي تاشفين الأول كان الصراع الزياني الحفصي قد بلغ أوجه عندما قدم أبو يحيى الحفصي بجيش هام لصد الجيش الزياني عن بجاية فانهزم أبو يحيى شر هزيمة حيث استولى بنو عبد الواد على ذخائره وأفلت هو جريحا إلى قسنطينة ثم دخلوا تونس فأقاموا فيها أربعين يوما[2] و أسلموها لابن أبي عمران[3] وحمزة بن عمر السلمي وقفلوا راجعين سنة 730هـ/ 1329م، لكن سرعان ما استعاد السلطان الحفصي عاصمته في شهر رجب من نفس السنة[4].

وأمام هذه الحملات لم يجد السلطان الحفصي أبو يحيى بدا من الاستغاثة ببني مرين الفرصة التي كان يتمناها بنومرين، فبعث أبو سعيد المريني رسلا إلى أبي تاشفين الأول يدعوه إلى الإقلاع عن محاصرة بجاية لكنه رفض وفي تلك الأثناء توفي أبو سعيد المريني فخلفه ابنه أبو الحسن صهر الحفصين الذي أعاد الطلب شافعا للسلطان الحفصي فكان رد أبي تاشفين أسوء من الأول[5].

عندئذ لم يبق أمل في استمرار السلم بين الدولتين فشرع أبو الحسن في غزو المغرب الأوسط وحصاره مرة ثانية سنة 737هـ/1337م[6]؛ وبذلك ينتهي الدور الأول من تاريخ الدولة الزيانية لينتقل عهد السيطرة على تلمسان إلى المرينيين الذين أحكموا قبضتهم على تلمسان وأحوازها مدة طويلة، وظل بنو حفص بمنأى عن المغرب الأوسط إلى أن بدأت

([1]) تولى الإمارة سنة 711هـ و تنازل عن العرش لصالح ابنه سن 717هـ، ينظر، الزركشي، المصدر السابق ص 166.

([2]) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص139.

([3]) هو محمد أبي بكر صهر ابن اللحياني الحفصي و اشتهر بابن أبي عمران و كان يعيش في البلاط الزياني منذ سنوات، ينظر، الزركشي، المصدر السابق، ص65.

([4]) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 218.

([5]) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 226، وأيضا، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1 ص 160، وأيضا، التنسي، المصدر السابق، ص 145.

([6]) محمد عمرو الطمار، المرجع السابق، ص 124-125، وأيضا، عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى ، ص 21 وأيضا، محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1995، ص 89.

بوادر الضعف تظهر على بني مرين حيث برزت أخطارهم من جديد عندما تجددت أطماعهم ضد تلمسان عندما انتصب عليها الأمير أبو مالك الزياني سنة 1411م، الذي اتبع سياسة حازمة سواء في الداخل أو الخارج[1]؛ حيث استعاد من الحفصيين كل المناطق التي استولوا عليها بشرق البلاد ثم توجه نحو بني مرين، فسيطر على فاس نفسها، فنصب عليها سلطانا جديدا مواليا له وكانت هذه محاولة لوضع حد نهائي لنفوذ المرينيين وكذا إنذار للحفصيين الذي جهزوا جيشا بقيادة الملك الحفصي أبو فارس عزوز نحو تلمسان، إذ عجز أبو مالك عن مواجهتهم لضخامة عددهم وعدتهم فتمكن أبو فارس من تلمسان عام 827هـ/1424م، ونصب على عرشها محمد بن الحمرة بن السلطان عبد الرحمن تاشفين الثاني، ثم خرج نحو فاس وعندما بلغها جاءته بيعة بني مرين، فعاد يومها إلى مركزه بتونس، ثم وافته إلى هناك بيعة صاحب الأندلس، فأصبحت بذلك الرقعة الممتدة من تونس إلى الأندلس، تحت رعاية أبي فارس الحفصي[2].

ومن هنا بدأ الحفصيون يتدخلون في شؤون تلمسان مستغلين في ذلك تناحر أمراء بني زيان فيما بينهم، خاصة بعدما توطد ملك تلمسان للسلطان أبي عبد الله محمد الرابع المعروف بابن الحمرة، لكن سرعان ما عاد أبو مالك الزياني طالبا العودة إلى عرشه بعدما أذعن للحفصيين خصومه بالأمس، والذين زودوه بجيش استطاع به دخول تلمسان وفتحها سنة 831هـ/1428م، ثم عاد إلى عرشه لتواجهه ثورة ابن الحمراء الذي جهز جيشا من العرب والبربر وسار بهم زاحفا نحو تلمسان ففتحها سنة 833هـ/1430م وتمكن من قتل عمه أبي مالك، لكنه لم ينعم بنشوة الملك حتى فاجأه الحفصيون مرة أخرى بعد 48 يوما من ملكه، فأسروه ونصبوا مكانه عمه أبي العباس أحمد العاقل ابن السلطان أبو حمو موسى الزياني الثاني سنة 834هـ/1431م[3]، هذا الذي أظهر في فترة لاحقة بأسه للحفصيين وأعلن رفض عهدهم سنة 837هـ/1437م، حيث كان ذلك سببا في تحرك أبي فارس الحفصي لقتاله، والذي احتل جبل الونشريس قهرا ثم ما كاد يصل تلمسان حتى وافته المنية بطريقه.

([1]) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 195.

([2]) محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص 570-571.

([3]) التنسي ، المصدر السابق، ص ص 241-248، وأيضا، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 831.

واستمرت العلاقات بين مد وجزر إلى سنة 866هـ/ 1463م، إذ عزم السلطان أبو عمرو عثمان الحفصي على إخضاع تلمسان وفي طريقه أخضع قلعة حليمة إحدى قلاع جبال الأوراس ثم بني راشد[1]، وفاجأته وفود العرب من بني سويد وبني يعقوب وبني عامر والدواودة وأعيان بني عبد الواد وكلهم ناقم على السلطان الزياني راغب في طاعة الحفصيين، فأحسن إليهم وفرق ولاته عليهم، حينئذ أوفد المتوكل ملك تلمسان وفدا إلى أبي عمرو للمبايعة وعقد الصلح وذلك سنة 868هـ/1464م[2]، وفي سنة 870هـ/ 1466م أعلن السلطان أبو ثابت (محمد الخامس المتوكل) رفض الدعوة الحفصية وطرد ولاتها من أعمالهم(بني عامر وبني سويد) معلنا استقلاله التام والتحكم في مملكته[3]، لكن سرعان ما تراجع عن ذلك بعدما حاصرته جيوش الحفصيين بزعامة أبي عمرو عثمان وأعلن ندمه واعترافه بسيادة السلطان الحفصي من جديد على تلمسان، وقدم المتوكل البيعة مكتوبة ومشهودا عليها جاء فيها: " شهد على نفسه عبد الله المتوكل عليه محمد لطف الله به، ولاحول ولاقوة إلا بالله"[4]، وتأكيدا على صدقه قدم ابنته البكر زوجا للأمير أبي زكرياء يحي بن ولي العهد محمد المسعود الحفصي دون خطبة وقفل السلطان الحفصي إلى تونس في 9 شعبان 871هـ/1467م[5]، وبقي المتوكل على عرشه إلى وفاته سنة 890هـ/ 1485م؛ وخلفه ابنه تاشفين فخلعه أخوه أبو عبد الله محمد الثابتي بعد حوالي 40 يوما، وعجز عن ضبط الإقليم الشرقي فاضطرمت نار الفتنة ومات سنة 902هـ[6].

لم تستطع الدولة الزيانية بذلك طوال ما يقرب من ستين سنة أن تتخلص من السيطرة الحفصية التي ما فتئت تلعب دورا رئيسيا في تاريخ بني زيان، أثناء هذه الفترة ولم تخف وطأتها إلا في عهد أحمد العاقل، غير أن هذا التدخل الحفصي كان آخر تدخل لهم في المغرب الأوسط[7] خاصة بعد سقوط غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس وبعدما

---

(1) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 195، وأيضا، يحيى بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 232.

(2) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 157.

(3) محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص 632.

(4) الزركشي، المصدر السابق، ص 158.

(5) عبد الحميد حاجيات و آخرون، الجزائر في التاريخ، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 433-434.

(6) محمد عمرو الطمار، المرجع السابق، ص 217.

(7) عبد الحميد حاجيات و آخرون، المرجع السابق، ص434.

اشتدت التحرشات الإسبانية والبرتغالية على بلاد المغرب الإسلامي بالإضافة إلى ظهور العثمانيين بالمنطقة مطلع القرن 16م[1].

المبحث الثاني: الدولة المرينية سياسيا

1. نسبهم وموطنهم:

بنو مرين فخذ من قبيلة زناتة البربرية، وهم فرع من البربر البتر، يرجع نسبهم إلى جدهم الأعلى مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن جديج أو حديج بن فاتن بن يدر بن يخفت بن عبد الله بن ورتين أو ورتنيص بن المعز بن إبراهيم بن سجيح أو سحيك بن واسين بن يصليتن بن مسرى بن زاكيا بن ورسيك بن زانات بن جانا بن يحي بن تمزيت بن ضريس وهو جالوت ملك البربر ابن رجيح بن مادغيس الأبتر بن بُر[2].

ومع ذلك فإن بني مرين كمعظم الأسر البربرية الأخرى يرجعون أصلهم إلى العرب المضرية عن طريق الانتساب إلى بر بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[3].

و هاهو الفقيه الأديب مالك بن المرحل يمدح الأمير يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني قائلا:

أنتم لأبناء عبد الحـــق كلهـــم **** فخر وهو للورا فخر إذا افتخروا

فحسبكم شرفا أن كان جدكـــم **** بر بـــن قيس وقيس جده مضـــر[4]

وينحدر بنو مرين كإخوانهم بنو توجين ومصاب من بني واسين[5] وهم أبناء عمومة مع بني عبد الواد، وقد فرضت عليهم حياة البداوة حالة من اللاستقرار، فعاشوا عشائر بدوية

(1) بودواية مبخوت، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، رسالة دكتوراه دولة، قسم التاريخ ، تلمسان، 2005-2006، ص 21.

(2) الذخيرة السنية، ص 14، وأيضا، اسماعيل ابن الأحمر، المصدر السابق، ص 19- 20، وأيضا، ابن أبي الزرع المصدر السابق، ص 218، وأيضا، عبد الرحمن بن خلدون ، المصدر السابق، ج7، ص 343.

(3) الذخيرة السنية، ص ص 14- 20، وأيضا، روضة النسرين، ص 9، وأيضا ، الأنيس المطرب، ص 184- 185.

(4) الذخيرة السنية، ص 14.

(5) ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 343، ويعطي ابن الأحمر تفاصيل دقيقة عن هذه البطون، أنظر، روضة النسرين، ص 11- 12.

متنقلة في صحاري المغرب الأوسط، فكانت منازلهم بزاب إفريقية إلى سجلماسة(1) وقد كانوا يرحلون في فصل الربيع إلى شمال المغرب الأقصى قصد الرعي فيقضون شهورا نازلين بين فيجيج وملوية، كما دفعتهم الحملات الهلالية خلال القرن 5هـ/ 11م إلى صحراء المغرب الأوسط ليستقروا في المنطقة الممتدة بين مصاب وجبل راشد وبالتالي فلم تكن مواطنهم ثابتة لنمط حياتهم البدوية الرعوية القائمة على الترحال بحثا عن موارد الماء والكلأ(2).

2. بداية ظهورهم ونشأتهم:

كانت قبيلة بني مرين تضم أسرتين كبيرتين: بنو عسكر وبنو حمامة، وكانت رئاستهم في بني عسكر، وكان زعيمها الأعدر بن العافية بن عسكر من أقوى رجالها وأشدهم بأسا، وكان يلقب بالمخضب، له جيوش قادت القبيلة إلى انتصارات عديدة، إذ كان يتصرف تصرف الملوك وتقام له المراسيم؛ وقد مكنته انتصاراته على المرابطين والحماديين معا إلى بسط نفوذه في بوادي زناتة بالمغرب وبلاد المرابطين إلى ما يلي تلمسان، وكذا ممتلكات الحماديين في بجاية والقلعة حتى اضطروا إلى مهادنته ومصالحته(3).

فكانوا معه على ذلك إلى أن ظهر الموحدون وتمكنوا من فتح تلمسان ووهران على يد عبد المؤمن بن علي، الذي بعث ما غنمه فيها من أموال وذخائر وسلاح إلى تنملل وكان المخضب حينها قد ملك أكثر بوادي تلمسان وقوي أمره بتلك البلاد، إلا أنه لم يشهد حصار عبد المؤمن للمرابطين إذ كان ببلاد الزاب يخضع بعض قبائل زناتة، وقد كان أهل المدينة ينتظرون قدومه لنصرتهم، خصوصا بعد سقوط تلمسان في يد الموحدين وفرار الأمير المرابطي تاشفين بن علي منها إلى وهران، فلحقت به جيوش عبد المؤمن تطلبه، فتمكنت منه واستخلصت أمواله وذخائره، فبعث بها عبد المؤمن إلى تنملل مركـز

---

(1)عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق،ج7، ص 162، وأيضا، السلاوي، المصدر السابق، ج3، ص 5، وأيضا الأنيس المطرب، ص 187.

(2) أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ب ت، ص 205.

(3) الذخيرة السنية، ص 20، وأيضا، روضة النسرين، ص 21- 22.

دعوتهم، فبلغ نبأ ذلك بني مرين، فنهض لهم المخضب بن عسكر لاستخلاصها والاستيلاء عليها في خمسمائة فارس فاعترضهم في وادي تلاغ واستولى على أموالهم، فأرسل عبد المؤمن جيشا يتزعمه عبد الحق بن معاذ الزناتي العبد الوادي لاستعادتها، فالتقى الجيشان بفحص مسون، فكان بينهما قتال عظيم انهزم على إثره بنو مرين وقتل المخضب، وكان ذلك سنة 540هـ/ 1146م[1].

وبعد هذه الحادثة عاد بنو مرين إلى مواطنهم[2]، حيث انتقلت رئاستهم من بني عسكر إلى فرع من بني حمامة بن محمد بن عم المخضب، فتولى أمرهم أبو بكر بن حمامة وبعد وفاته سنة 561هـ/ 1165م، تولى الرئاسة ابنه محيو الذي شهدت فترة حكمه أحداث سياسية وعسكرية هامة، إذ شارك الخليفة الموحدي المنصور في الجهاد بالأندلس حيث كلفه بقيادة المتطوعين من قومه وقبائل زناتة في معركة الأرك التي انتصر فيها المسلمون سنة 591هـ/ 1195م، غير أن زعيم بني مرين كان قد أصيب بجروح عميقة اشتدت عليه بعد عودته من المعركة إلى بلاده، توفي على إثرها في نفس السنة بالزاب[3].

---

(1) لعل سبب هذه الهزيمة يرجع إلى الإرهاق الذي كان رجال بنو مرين يعانون منه جراء سيرهم الطويل وأحمالهم الثقيلة وضعف أسلحتهم بالمقارنة مع أسلحة الموحدين، أنظر في ذلك، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7 ص 150، وأيضا، الذخيرة السنية، ص 21.

(2) بعدما حاصر عبد المؤمن تلمسان المرابطية ندب أبا حفص الهنتاتي لتمهيد المغرب الاوسط وحرب قبائل زناتة المتكونة من:بني بادين وبني يلومي وبني مرين ومغراوة، وكان أبو حفص يتزعم قبائل منها قبيل بني عبد الواد فاستقرت بجهوده أوضاع المغرب الأوسط، وكانت بني مرين من القبائل الزناتية التي أبت الخضوع لنفوذ الموحدين على عكس أبناء عمومتهم بني عبد الواد، وبذلك لم ينالوا الحظوة التي نالها غيرهم، فأخذتهم عزة النفس إلى مغادرة البلاد إلى القفر وحصار تلمسان على أشده، راجع في ذلك، ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 344، وأيضا، حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته،المجلد الثاني،ج2، ط1، دار العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، 1992، ص 13.

(3) الذخيرة السنية، ص 20– 21، وأيضا، السلاوي، المصدر السابق، ج3، ص 4، وأيضا، روضة النسرين، ص 23، وأيضا، حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 14.

3. الصراع المريني الموحدي وقيام الدولة المرينية:

بعد وفاة محيو تولى زعامة بني مرين أكبر أبنائه أبو محمد عبد الحق، فبدأ به عصر جديد في تاريخ بني مرين[1]، إذ دخل في مناوشات مع الموحدين في سبيل تكوين دولة له مستغلا في ذلك ضعف الخلفاء الموحدين، وافتراقهم وتهاونهم في الدفاع عن الثغور فأخذ يغير بفلول بني مرين على نواحي المغرب وبواديه، ويعيث في البلاد فسادا، مما دفع بالأهالي إلى رفع شكاويهم إلى المستنصر ابن الناصر الموحدي، فعزم على محاربتهم وأعد لذلك جيشا ضخما[2] يقودهم أبو علي بن وانودين وأبو إبراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن والي مدينة فاس، فالتقت الجموع بوادي نكّور في سنة613هـ/ 1276م، لتلتحم في معركة طاحنة انهزم فيها الموحدون وتمزق جيشهم بينما امتلأت أيدي بني مرين بالأسلاب والغنائم بعدما جرّدوا مهزوميهم من ملابسهم فلم يجدوا ما يسترون به عوراتهم إلا نبات يعرف عندهم بأوراق المشعلة، فسميت هذه المعركة بمعركة المشعلة و العام هذا بعام المشعلة[3].

وبعد هذا الانتصار زحف عبد الحق بن محيو بجيوشه إلى رباط تازا[4] فاستولى عليه في انتصار آخر على الموحدين الأمر الذي زاد من حدة الصراع السياسي والعسكري بينهما، تضاف إليه المؤامرات والدسائس التي كانوا يحيكونها ضد بعضهما، يستغل كل منهما نقاط الضعف ومواطن الخلاف في الطرف الآخر حتى يزيد في ضعفه وتعميق الخلاف في معسكره. فقد نشب صراع داخلي في الأسرة المرينية بين بني حمامة وأصحاب مشيخة بني مرين ومنافسيهم بني عمومتهم بني عسكر، صراع قام الموحدون بتغذيته وتقويته، وزاد من تعميق الخلاف لجوء بني عسكر إلى الاستعانة بعرب رياح

([1]) دخل بنو مرين في عهده بلاد المغرب الأقصى، وأقاموا ببلاد الريف سنة 610هـ، وذلك عندما لمسوا ضعف خليفة الموحدين يوسف المستنصر، واختلال حال الدولة، خصوصا بعد هزيمة العقاب النكراء سنة 609هـ/ 1212م، عن تفاصيل هذه الهزيمة راجع، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص 158- 160، وأيضا، الذخيرة السنية، ص 24.

([2]) ضم هذا الجيش عشرة آلاف مقاتل، تضخم عدده في طريقه إلى عشرين ألفا ، بعدما انضمت إليه قبائل الموحدين كمكناسة وتسول والبرانس وسدراتة وهوارة وصنهاجة، وكان هدفهم القضاء على بني مرين وكسر شوكتهم، انظر في ذلك الذخيرة السنية، ص 26-27، وأيضا، السلاوي، المصدر السابق، ج3، ص 6.

([3]) الذخيرة السنية، ص 27- 28، وأيضا، الأنيس المطرب، ص 188، وأيضا، العبر، ج7، ص 348.

([4]) الذخيرة السنية، ص 32- 33، وأيضا، عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 868.

حلفاء الموحدين، وذلك بإيعاز من هؤلاء، فاحتدم الصراع بينهما ليتحول إلى مواجهة عسكرية عنيفة التقى فيها الفريقان بواجرهان بالقرب من وادي سبو[1] على بعد أميال من تافرطاست سنة 614هـ/ 1217م، انتهت بمقتل أميرهم عبد الحق وابنه الأكبر إدريس[2]، فخلفه ابنه أبو سعيد عثمان الذي أقسم وعشيرته على الثأر لقتلاهم والانتقام من أعدائهم، فزحفوا على معسكر بني عمومتهم وحلفائهم عرب رياح، فنالوا منهم قتلا وثخنا وسلبا ونهبا لأموالهم ومتاعهم، وأرغموهم على الإذعان لسلطانهم مع دفع إتاوات سنوية[3].

واستغل أبو سعيد عثمان ضعف الموحدين وأخذ يدعو قبائل المغرب إلى الدخول في طاعته، فبايعه من قبائلهم هوارة وزكارة وتسول ومكناسة، وبطوية ومطلاسة وكزناية وبنو يرتيان و بنو يازغة وغياثة ومجاصة وصاريوت وبنو مكود وبنو سيتان وبنو واسليت وبنو بحر وبنو يوسف، كما فتح بلاد بني كانون، وجبال زرهون وبلاد أوربة وصنهاجة وفشتالة وسدراتة ولمطة وبني واريتين، وبلاد غمارة، ففرض عليهم الخراج ووزع عليهم العمال، وألزم أهل فاس ومكناسة وتازا وقصر كتامة بضريبة معينة يدفعونها إليه كل سنة تأمينا لطرقاتهم واتقاءا لغاراته[4].

فاستطاع بذلك أبو سعيد عثمان وضع كيان سياسي لبني مرين يفرض إقامة دولة فعلية تمثلهم، أصبح لا ينقصها إلى الإعلان عنها شرعا، فاعتبر بذلك أبو سعيد عثمان المؤسس الحقيقي لملك بني مرين الذي أرعب البلاد الموحدية، فدفعه إلى تغيير سياسته وأسلوبه من

([1]) عن موقع هذا الوادي والسهول التي يخترقها انظر، حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 248، وأيضا، الإدريسي، المغرب العربي من نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق محمد حاج صادق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983 ص 99.

([2]) ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 349، وأيضا، الذخيرة السنية، ص 33.

([3])الأنيس المطرب، ص 191، وأيضا الذخيرة السنية، ص 35، وأيضا، محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ط2، الكويت، 1987، ص 12، وأيضا حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 15، وأيضا، عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 868- 869.

([4])الذخيرة السنية، ص 36- 37، وأيضا، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 350.

المواجهة العسكرية إلى سياسة الاسترضاء والتقرب من بني مرين عن طريق مهاداتهم ومهادنتهم وذلك سنة 637هـ/ 13239م[1].

وفي نفس السنة اغتيل أبو سعيد عثمان، فخلفه أخوه أبو معرّف محمد بن عبد الحق[2](637- 642هـ/ 1232- 1244م)، فسار على سياسة سلفه في التمكين لقومه ومواصلة الجهود السياسية والعسكرية لإقامة كيان لهم، يفرض هيبتهم ووجودهم، وذلك بتمهيد مناطق المغرب الشمالية والاستيلاء عليها، وإخضاع قبائلها وفرض الضرائب عليهم[3]. فكانت هذه السياسة كفيلة بتحقيق المزيد من المكاسب لبني مرين خصوصا بعدما سعى إلى إضعاف الموحدين بالتحالف مع خصومهم من المنشقين عنهم، فاستقبل أبو معرف جرمون بن رياح وقومه المنشقين عن الخليفة الموحدي الرشيد، فأكرم وفادهم وأنزلهم أحسن منزل[4]، وبذلك جعل بنو مرين أرضهم ملجأ لكل منشق عن الموحدين والراغبين في الانضمام إليهم كأسلوب ضغط وإضعاف للموحدين[5].

وفي هذه المرحلة شرع بنو مرين في التأسيس العملي لقيام دولتهم، فبعدما استولوا على البوادي في شمال المغرب تحولوا إلى المدن والأمصار، فحاصروا مكناسة ثم سلفات الأمر الذي أقلق الرشيد الموحدي مما دفعه إلى مواجهتهم وإيقاف مدهم، وكان الخلاف والشقاق قد دب من جديد في البيت المريني بين بني عسكر وبني حمامة وذلك منذ اعتلاء أبي معرف الحكم، حاول ابن وانودين الذي عقد له الخليفة الموحدي على مكناسة استغلاله فتحالف مع بني عسكر ونهض معهم لقتال أبي معرف وقومه فالتقى الجمعان بالقرب من سلفات، فانهزم ابن وانودين وأتباعه[6].

([1]) محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 512، وأيضا محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 19، وأيضا، عبد العزيز لعرج، المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية، رسالة دكتوراه دولة، قسم الآثار، جامعة الجزائر، 1998- 1999 ، ص 12.

([2]) الذخيرة السنية، ص 59.

([3]) عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 869.

([4]) الذخيرة السنية، ص 60.

([5]) محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 16.

([6]) الذخيرة السنية، ص 60 ، وأيضا، محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 16.

ولما تولى السعيد بن المأمون خلافة الموحدين سنة 640هـ ، صرف جهوده لمحاربة بني مرين فأعد لذلك جيشا ضخما يتألف من المصامدة والعرب والروم، والتقى مع الجيش المريني في أحواز فاس سنة 642هـ ، وانجلت هذه المعركة عن مقتل الأمير أبو معرف محمد وانهزام المرينيين وانسحابهم إلى جبل غياثة بمنطقة تازا ثم خرجوا إلى الصحراء حتى لا يطولهم الموحدون[1]، وبدا وكأن أمر بني مرين قد انتهى.

لكن الأمور سرعان ما تغيرت عندما تولى أبو يحيى أبو بكر بن عبد الحق رئاسة بني مرين(642- 656هـ/ 1244- 1258م)، ولم يكد يستقر في السلطان حتى راح يسعى جاهدا لتحقيق مشروع سلفه في إقامة دولة فعلية، فأظهر مواهبه في الحكم والإدارة وانكشفت حنكته السياسية بعدما أعاد تنظيم قبائل بني مرين[2] وأصلح ما بينها من خلافات وجعلها لحمة واحدة، كما خلع أبو بكر طاعة الموحدين وجهر بها ، وأعلن اعترافه بسلطة الحفصيين في إفريقية وبيعته لهم، وظل محافظا على ذلك طيلة حياته هو ومن جاء بعده[3] ولعل في هذه الخطوة استغلال للشرخ الذي وقع بين الموحدين والحفصيين وخلافهم حول مبادئ ابن تومرت وتنكر الموحدين لها، الأمر الذي لم يقبله الحفصيون فكان على بني مرين الاستفادة من هذا الوضع لصالحهم في مواجهة أعدائهم، فضلا عن اكتساب حليف قوي في مقابل التقارب الزياني الحفصي والتحالف الموحدي الزياني[4] القائم أساسا على حرب بني مرين.

وبعد هذا التحالف أخذ أبو بكر في التحرك سياسيا وعسكريا باسم الحفصيين، فاستولى على مكناسة صلحا فبايعه أهلها سنة 643هـ/ 1245م، وكان ذلك بمساعدة أخيه أبي

([1])ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 352، وأيضا، الأنيس المطرب، ص 193، وأيضا، الذخيرة السنية، ص 62، وأيضا، محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 522- 523.

([2]) قام الأمير أبو يحيى بتقسيم البلاد والمناطق التابعة له إلى مقاطعات إدارية ولى على كل منها إحدى قبائل بني مرين وأسرهم وأشياخهم، وأطلق يدهم في جباية الأموال وتحصيل الضرائب، وطالبهم بتجنيد الجند وتأليف قلوب الناس حولهم استعدادا لمواجهة الموحدين ، كما اتخذ لنفسه شعائر الملك ومظاهره من تجييش الجيوش، واتخاذ الآلة وضرب الطبول وعرض الجند، انظر في ذلك، ابن خلدون، المصدر السابق، ج7،، ص 353، وأيضا الأنيس المطرب، ص 194، وأيضا السلاوي، المصدر السابق، ج3، ص 11.

([3]) ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 618- 619.

([4]) عن هذا التحالف راجع العبر، ج6، ص 538، وأيضا، ج 7، ص 165- 166.

يعقوب الذي استطاع بفضل حنكته السياسية وعلاقاته الطيبة مع شيوخ المدينة استطاع إقناعهم بأهمية الانضواء تحت طاعة أبي بكر وتأييد المرينيين[1].

وهنا أدرك السعيد الموحدي فداحة الخطر الذي تتعرض له دولته ، فاستنفر الموحدين والمصامدة جميعا فاستجابوا له ، وتمكن من حشد جيش ضخم يقول عنه ابن عذارى " ارتج له المغرب "، وخرج من مراكش سنة 645هـ/ 1247م ليضع حدا لبني مرين بطردهم من بلاده، والاستيلاء على تلمسان والمسير نحو إفريقية من أجل استعادتها.

في الوقت الذي كان الموحدون يستعرضون قوتهم كان المرينيون يراقبون ذلك عن كثب، فأدركوا أنهم غير قادرين على مواجهتهم فاضطروا إلى التخلي عن ما ملكوه في نواحي المغرب، وارتحلوا إلى تازا وبلاد الريف[2].

أما الخليفة السعيد فقد تقدم إلى مكناسة ومنها إلى فاس ورباط تازا، حيث وصلته وهو في الرباط بيعة أبي بكر بن عبد الحق المريني مقترحا عليه العودة إلى مراكش، وأن يقوم مقامه في التوجه إلى تلمسان[3] لإخضاع يغمراسن بن زيان[4]، غير أن الموحدين تفطنوا لمغزى هذا الطلب فشكروا الأمير المريني واكتفوا بمساهمته في الحملة فقط بفرقة عسكرية، فأمدهم بخمسمائة فارس[5].

وبعد دخول بني مرين تحت طاعة الموحدين علم السعيد الموحدي بما تم بين تونس وتلمسان من معاهدة فغضب لذلك وعزم على تأديب يغمراسن وصده عن وجهته هذه، بعد دخول بني مرين تحت طاعة الموحدين سار السعيد نحو تلمسان فحاصرها وبعث إلى يغمراسن يدعوه للمثول أمامه وتقديم البيعة والدخول في طاعته، فاعتذر يغمراسن عن

---

(1) الذخيرة السنية، ص 66- 67، وأيضا، السلاوي، المصدر السابق، ج3، ص 12، وأيضا محمد عبد الله عنان المرجع السابق، ص 524، وأيضا، عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 869، وأيضا، حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 16.

(2) الذخيرة السنية، ص 70، وأيضا، حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 16.

(3) خاطب الأمير المريني الخليفة السعيد قائلا: " يا أمير المؤمنين لا تتعب نفسك في أمر يغمراسن، أنا أكفيك أمره فارجع إلى حضرتك "، انظر، الأنيس المطرب، ص 210- 211، وأيضا، الذخيرة السنية، ص 71.

(4) توجه السعيد الموحدي لإخضاع يغمراسن بعدما سمع بالاتفاق الذي تم بينه و بين الحفصيين، فغضب لذلك وعزم على تأديب يغمراسن وردع تصرفاته، انظر، بغية الرواد، ج1، ص 205- 206.

(5) ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 355، وأيضا، نظم الدر، ص 170.

القدوم وأكد طاعته واستعداده لإرسال بعض الفرسان ليحاربوا في صفوف الموحدين أثناء زحفهم على إفريقية، ولجأ في قلة من أنصاره إلى قلعة تامزجدرت أو تامززدكت[1] متحصنا بها، غير أن الخليفة السعيد ألحّ على وجوب مثول يغمراسن أمامه وظل هذا الأخير مصرا على موقفه، فعزم السعيد على ملاحقته فقصد القلعة التي امتنع بها يغمراسن[2]؛ لكن يغمراسن بن زيان لم ينتظر وصوله، بل خرج إليه وفاجأه في الطريق وهو يعاين بنفسه المكان ويتحرى سبل التمكن من يغمراسن وبينما هو كذلك إذ عاجله كمين من بني عبد الواد، فقتل السعيد الموحدي ووزيره أبو زكريا بن عطوش، وتفرق جنده، فاستولى يغمراسن على محلته أبي الحسن السعيد وذخائره كالعقد اليتيم وغضار الزمرد ومصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي خطه بيده، فساد الرعب والفزع في صفوف الموحدين، الذين فرّوا مسرعين نحو مراكش تاركين محلتهم نهبا مستباحا ليغمراسن، وكان ذلك سنة 646هـ/ 1248م[3].

بلغ خبر مقتل الخليفة السعيد إلى أبي بكر المريني فأسرع إلى استرجاع المناطق التي كان قد أسلمها إلى الموحدين، فاسترد مكناسة وأسرع إلى رباط تازا قبل أن يهاجمها منافسه يغمراسن، ثم استولى على أجر سيف، وجميع حصون وقلاع وادي ملوية وسلمها إلى أخيه أبي يوسف، ثم انتهى إلى الاستيلاء على مدينة فاس بعد أن طرد منها عاملها

(1) تامززدكت: هي قلعة حصينة صعبة المنال تقع في منحدر جنوب وجدة، لا يتم الوصول إليها إلى بعد اجتياز مضايق وشعاب صعبة ملتوية، انظر في ذلك، ابن خلدون، المصدر السابق ، ج7، ص 168- 169ن وأيضا، الأنيس المطرب ص 187، وأيضا، بغية الرواد ج1، ص 206، وأيضا، نظم الدر، ص 118.

(2) ابن عذارى، المصدر السابق، ص 387- 388، وأيضا، الزركشي، المصدر السابق، ص 30-31، وأيضا، السلاوي، المصدر السابق،ج3، ص 247- 248.

(3) حاصر أبو الحسن السعيد تلمسان ثلاثة أيام، وفي اليوم الرابع خرج السعيد في وقت القيلولة على حين غفلة من الناس فعرفه رجال يغمراسن فانقضوا عليه وقتلوه، وبادر يغمراسن إلى السعيد فنزل إليه وهو صريع على الأرض فحياه وفداه، وأقسم له على البراءة من دمه، ولما سكنت الفتنة، حمله يغمراسن على أعواده ودفنه بالعباد بمقبرة الشيخ أبي مدين، انظر تفاصيل هذه الحادثة في بغية الرواد، ج1، ص 206، وأيضا، العبر، ج7، ص 170- 171، وأيضا نظم الدر، ص 170، وأيضا، الأنيس المطرب، ص 293، وأيضا، البيان المغرب،ج4، ص 387- 388.

الموحدي، فأقبلت عليه الوفود من معظم مناطق المغرب تعلن البيعة والطاعة، وكان ذلك سنة 646هـ/ 1248م[1].

و بوفاة أبي يحيى أبي بكر انتهى بنو مرين من مرحلة الاستيلاء على المدن الكبرى[2] وجعلوا من فاس عاصمة لهم، ولم يبق من تحقيق مشروع في إقامة دولتهم إلا الاستيلاء على مدينة مراكش عاصمة الموحدين.

4. ولاية أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق وقيام الدولة المرينية:

خلف أبو بكر على حكم بني مرين ولده عمر، فانقسم حينها بنو مرين على أنفسهم بين مؤيدين ومعارضين، وانتهى الخلاف بتولية أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق[3] الذي واصل سياسة أخيه أبي يحيى في فتح الأمصار ومد النفوذ المريني إلى المناطق والنواحي، وقد واجه في فترة حكمه العديد من الثورات الداخلية والخارجية.

أما الداخلية فمنها ثورة أبي يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق والي سلا، الذي نازع عمه في الحكم فأراد الاستقلال عنه بالاتفاق مع تجار إسبان زودوه بالسلاح، ثم غدروا به وفتكوا بأهله، فاضطر أبو يوسف يعقوب إلى التدخل لحماية المدينة التي عاثوا فيها قتلا ونهبا فلاحق ابن أخيه الذي ظل متنقلا من مكان إلى آخر طريدا حتى قتله القائد المريني طلحة بن علي بساقية غبولة بالقرب من سلا سنة 668هـ/ 1269م[4].

كما واجهت أبو يوسف ثورة أخرى، قام بها أبناء أخيه أولاد إدريس وتزعمها كبيرهم محمد بن إدريس، فأعلنوا عصيانهم بقصر كتامة مستغلين حركة ابن عمهم أبي يعقوب بن عبد الله، غير أن أبا يعقوب تمكن من احتواء هذه الثورة دون قتال، بفضل حنكته وسياسته

([1]) ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص ص 356- 358، وأيضا، الذخيرة السنية، ص 72- 73، وأيضا، محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 532- 532.

([2]) كان بنو مرين قد استولوا على مدينة القصبة وسلا وسجلماسة ودرعة، بعد صراع طويل مع خصومهم الموحدين وبني عبد الواد.

([3]) بويع أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق بمدينة فاس في شوال من سنة 656هـ/ 1258م، بعد صلح تم بينه وبين ابن أخيه عمر الذي ولي مكناسة وأحوازها، انظر في ذلك، الأنيس المطرب، ص 199، وعن شخصية يوسف يعقوب راجع، روضة النسرين، ص ص 27- 30.

([4]) ابن خلدون،المصدر السابق، ج7، ص 368، وأيضا، محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 551.

الحكيمة، وعقد لابن أخيه محمد على حملة عسكرية من بني مرين والمتطوعة لجهاد النصارى في الأندلس لأزر ابن الأحمر واستجابة لطلب العون والنصرة التي كان قد تقدم بها لأبي يوسف لاسترداد بعض ما فقده من أملاكه على يد النصارى، وتعتبر هذه أول حملة وأول جيش من بني مرين عبر إلى الأندلس[1]سنة 659هـ/ 1261م، وبذلك أمن من جهة شر أبناء أخيه إدريس واستجاب لنوازعه النفسية في جهاد العدو بالأندلس والتقرب من بني نصر فيها من جهة أخرى.

وبينما كانت الجيوش المرينية تواصل عملها في الأندلس تقدم أبو يوسف يعقوب فاستولى على ريف تامسنا[2]، وانتصر على الموحدين في معركة أم الرجلين[3] على وادي أم الربيع سنة 660هـ/ 1262م، ومنذ ذلك الحين أصبح وادي أم الربيع الحد الفاصل بين ملك بني مرين وملك الموحدين.

لم ينتظر أبو يوسف يعقوب طويلا للقيام بالخطوة الحاسمة في التوجه نحو العاصمة الموحدية وافتتاحها، فتحرك نحوها سنة (661هـ أو 662هـ)/ (1262م أو 1263م) على الأرجح مستغلا في ذلك الخلاف[4] الذي وقع في البيت الموحدي بين الخليفة المرتضى وأبي دبوس[5] الذي لجأ إلى أبي يوسف يعقوب طالبا منه العون والمناصرة على المرتضى، عاقدا معه اتفاقية فحواها تقسيم ما يستولي عليه أبو دبوس فيما هو مقبل

([1]) الذخيرة السنية ، ص 98- 99.

([2]) السلاوي ، المصدر السابق، ج3، ص 23 وأيضا محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 30 ، وعن منطقة تامسنا بحدودها وموقعها انظر،الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص ص 194- 197.

([3]) وقعت هذه المعركة بين بني مرين والموحدين بوادي أم الربيع في موضع شبيه بجزر صغيرة، ينحصر فيها الماء، فتبدو وكأنها أرجل فسميت بذلك موقعة أم الرجلين، عن تفاصيل هذه الموقعة أنظر، الذخيرة السنية، ص 95- 96، وأيضا، الأنيس المطرب، ص 202، وأيضا، العبر، ج7، ص 369، وأيضا، الاستقصا، ج3، ص 24.

([4]) يرجع الخلاف بين أبي دبوس والمرتضى إلى أن هذا الأخير نقم على أبي دبوس لوشايات فيه وسعايات في حقه، مضمونها القيام عليه وتطلعه إلى الخلافة معتمدا على انحياز الناس إليه لشجاعته وبأسه الشديد، وأيضا لاتصاله ببني مرين ومسالمتهم.

([5]) أبو دبوس هو لقب لأبي العلاء إدريس بن عبد الله بن أبي حفص بن عبد المؤمن، وهو لقب اشتهر به من رفع الدبوس وهو في الأندلس، والدبوس أحد الأسلحة التي كان يقاتل بها، وهو له بها خبرة ومقدر في استخدامها، أنظر في ذلك، محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 555، وأيضا، محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 32.

عليه، مناصفة بينهما، وذلك مقابل إمداده بالمال والجند في حركته للاستيلاء على عرش مراكش[1].

وتأمينا لمشروعه وتطلعا لغايته، لم يتوان أبو يوسف يعقوب في إمداد الثائر الموحدي أبا دبوس بكل ما يحتاجه من مال وجند وعتاد[2]، فسار أبو دبوس بالقوة التي زوده بها بنو مرين في ذي القعدة سنة 663هـ/ 1264م، فمر بمكناس ثم بالمعدن ومنها إلى تادلا ونزل بهسكورة جنوب شرق مراكش على زعيمها مسعود بن جلداسن، وهناك وفد عليه أنصاره من الموحدين والجند الراغبين في خدمته وأطاعته قبائل عديدة لما أصابها من المرتضى نتيجة اتهامهم بالتواطؤ مع أبي دبوس[3]، فانتشرت بذلك الفوضى، وصارت لقمة سائغة تنتظر طريقها وبذلك استطاع أبو دبوس دخول المدينة بسهولة، خاصة بعد فرار المرتضى، ولجوئه إلى صهره ابن بعطوش بمدينة أزمور، هذا الأخير تنكر له ولم يراع صلته به، فرفض استقباله، فلجأ بمن معه إلى مغارات على الشاطئ ورجال أبي دبوس يترصدونه حتى قبضوا عليه في مخبئه، فسلم إلى صهره الذي أوثقه منتظرا أوامر أبي دبوس الذي أمر بالتخلص منه، وبذلك تولى أبو دبوس خلافة الدولة الموحدية تحت لقب الواثق بالله[4]، فوصل خبر دخول أبي دبوس مراكش إلى أبي يوسف يعقوب، فبعث إليه يهنئه بالفتح ويذكره بالاتفاق الذي كان بينهما طالبا منه الوفاء بالعهد، غير أن الواثق بالله تنكر لتلك الوعود، وخاطب أبا يعقوب مخاطبة الملوك لولاتهم، والخلفاء إلى عمالهم والرؤساء إلى خدامهم، على حد تعبير صاحب الذخيرة[5]، فغضب لذلك أبو يوسف وعزم

([1])ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 203، وأيضا، الذخيرة السنية، ص 109.

([2]) عن حجم هذه الإمدادات راجع، الأنيس المطرب، ص 203، وأيضا، العبر، ج7، ص 370، وأيضا، الاستقصاء ج3، ص 25، وأيضا، الذخيرة السنية، ص 109.

([3]) ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 574- 548، وأيضا، الذخيرة السنية، ص 109، وأيضا، محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 556- 557.

([4]) عن تفاصيل فرار المرتضى وتنقله من مكان إلى آخر حماية لنفسه ثم الإمساك به وقتله مع اختلاف في التفاصيل بين المؤرخين، انظر، العبر، ج6، ص 548- 549، وأيضا، ج7، ص 370، وأيضا، الذخيرة السنية، ص110- 111 وأيضا، محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 558، وأيضا، محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 33.

([5]) الذخيرة السنية، ص 111.

على غزو مراكش سنة 666هـ/ 1268م، التي سار إليها في جيش ضخم[1]، فعبر وادي أم الربيع الحد الفاصل بين إمارة بني مرين وخلافة الموحدين واقترب من وادي تنسيفت متبعا في مسيره ما يسمى سياسة الأرض المحروقة من نسف المحاصيل الزراعية وتخريب الضياع، وتهديم الآثار وتخريب الطرقات والجسور والدور، وأغار على القبائل المؤيدة للموحدين بقوة وعنف فاضطربت أحوال المنطقة وانقطعت الموارد عن العاصمة وقلت الأقوات، وغلت الأسعار[2] وكان أبو دبوس عاجزا عن مواجهة بني مرين منفردا فاستصرخ بحليفه يغمراسن بن زيان يستنصره عليهم، فقام يغمراسن بشن الغارات على الأملاك الغربية لبني مرين بوادي ملوية وغيره، متتبعا بدوره سياسة الأرض المحروقة، فاضطربت أحوال تلك المناطق، مما اضطر أبو يوسف للانسحاب ليعد العدة للقاء بني عبد الواد، ثم خرج من فاس ليلتقي بخصمه في وادي تلاغ إلى الشرق من نهر ملوية، في معركة ضارية مني فيها يغمراسن بن زيان بهزيمة نكراء، قتل فيها عدد كبير من أكابر بني زيان وفي مقدمتهم أبو عثمان بن يغمراسن، وكان ذلك في جمادى الآخرة من سنة 666هـ/ 1267م[3].

وقد وضعت هذه الهزيمة حدا لأطماع بني زيان في منافسة بني مرين على زعامة زناتة، وارتد يغمراسن إلى تلمسان مقتصرا على تكثيف جهوده للمحافظة على إمارته في إقليم تلمسان، وركن لموادعة بني مرين خاصة بعد المعارك العديدة التي جمعت بينهم[4].

أما أبو يوسف يعقوب فاتجه بقواه كلها إلى الجنوب للفراغ من أمر الموحدين، فجمع حشوده وخرج من فاس في شعبان 666هـ/ 1268م، وعبر وادي أم الربيع وكالعادة انتسف الزروع وخرب القرى والدور، وغزا القبائل المؤيدة للموحدين، كتادلا

([1]) كان أبو يوسف يعقوب قد سار بحملته الأولى على مراكش لتأديب الواثق بالله، إلا أن هذا الأخير أرسل له رسلا محملة بالهدايا الثمينة، واعدا إياه بالنزول عند رغبته والوفاء بعهده، وتنفيذ ما اشترط على نفسه، فرضي بذلك أبو يعقوب وعاد إلى حاضرته بفاس في انتظار ما يستجد من أحداث، غير أن الواثق بالله لم يكن في نيته الوفاء بالعهد وإنما فعل ذلك مماطلة وربحا للوقت، انظر في ذلك، الذخيرة السنية، ص 111، وأيضا، العبر، ج6، ص 549، وأيضا محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 563.

([2]) الذخيرة السنية، ص 115.

([3])العبر، ج7، ص 371، وأيضا، الذخيرة السنية، ص 115- 116.

([4]) حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 21، وأيضا، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 23.

وصنهاجة[1] وغيرها، فاتخذ خطة عمادها الانسحاب والتراجع التدريجي نحو الشمال وألا يصطدم بعده إلا في المكان والزمان الذي يختاره، وكان الجيش الموحدي يقتفي أثره من مكان لآخر حتى وصلوا إلى وادي غفو، وهناك توقف بنو مرين واستداروا للقاء الموحدين، فنشبت بينهم معركة ضارية، انتهت بهزيمة الموحدين ومقتل أبي دبوس واستيلاء بني مرين على محلتهم، وذلك في محرم سنة 668هـ/ 1269م[2].

ولما بلغت أخبار هذه الهزيمة العاصمة مراكش، فر أقارب الخليفة الموحدي إلى جبال تنملل في حين سار أبو يوسف يعقوب نحو مراكش التي دخلها في موكب حافل استقبله فيها وجهاء القوم من الفقهاء والقضاة والأشياخ مبايعين له ملتمسين له الأمن والأمان فأمنهم وطمأنهم، فاستقرت الأحوال وسادت السكينة والهدوء المدينة، ونزل أبو يوسف في قصبتها[3].

وبمقتل أبي دبوس وسقوط مراكش في يد أبي يوسف يعقوب انتهى عصر الدولة الموحدية، وقامت دولة أخرى في ربوع المغرب الأقصى هي **دولة بني مرين الزناتية**[4].

وبسقوط الدولة الموحدية عادت منطقة المغرب إلى جو الصراع القبلي الذي كان سائدا قبل العصر المرابطي، الذي كانت له عواقب وخيمة على الأندلس[5] بالرغم من أن

([1])الاستقصاء، ج3، ص 26.

([2]) الأنيس المطرب، ص 205، وأيضا، الذخيرة السنية، ص 117- 118، وأيضا، العبر، ج7، ص 375، وأيضا محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص ص 568- 570، وأيضا حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 21.

([3])الذخيرة السنية، ص 118، وأيضا، الاستقصاء، ج3، ص 27، وأيضا محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 35.

([4]) سار أبو يوسف يعقوب على تقاليد كبار مؤسسي الدول في المغرب، وهي تأسيس عاصمة للبلاد، فاختار لمدينته الجديدة هضبة مرتفعة ينحدر سطحها انحدارا بطيئا تمتد إلى غربي فاس القديمة يمر فيها وادي فاس وسماها أول الأمر المدينة البيضاء ثم فاس الجديدة، وبنى فيها مسجدا جامعا وصلى فيه، وأقام فيها القصور ودور الحكومة، والأسواق والمدارس وغيرها، راجع في ذلك، روضة النسرين، ص 29، وأيضا، الذخيرة السنية، ص 161- 162.

([5]) ما إن استقر المرينيون بمراكش وخضعت لهم كل قبائل المغرب الأقصى حتى شرعوا في بسط نفوذهم شمالا نحو الأندلس وشرقا نحو المغربين الأوسط والأدنى، ونجحوا في عهد السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق في العبور أربع مرات إلى الأندلس لنصرة سلاطين غرناطة ضد القشتاليين ، وكانت آخر حملاتهم إلى الأندلس في سنة 684هـ/ 1285م، توفي عقبها السلطان يعقوب بن عبد الحق فخلفه ابنه أبو يعقوب يوسف الذي واصل على نهج والده، انظر في ذلك، الذخيرة السنية، ص ص 143 – 163، وأيضا، حسين مؤنس، المرجع السابق، ص ص 23- 30، وأيضا، عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 870- 871.

هذه القبائل تكتلت في التشكيلات السياسية الثلاثة: الحفصية، الزيانية المرينية، فإن الصراع ازداد شراسة، ترجمته العلاقات العدائية الدائمة بين الزيانيين والمرينيين بصفة خاصة، والتي كانت مختفية وراء ظل الدولة الموحدية بعد هزيمة العِقاب لتبرز بعد سقوطها في شكل مواجهة وصراع سياسي وعسكري مر بمراحل عديدة، كانت الدولة الزيانية وعاصمتها تلمسان مهددة في وجودها خلالها، هذا ما سنتعرض له في الفصل الثالث من هذا البحث.

5. حدودها السياسية:

امتدّت الدولة المرينية أيام أبي سعيد في الجنوب إلى معاقل الصحراء و قصور توات و تيكورارين و تنمطيت[1]، كما امتدّت في فترات إلى خارج المغرب الأقصى فامتلك يعقوب الأندلس. ثلاثة و خمسون مسورًا ما بين مدن و حصون، زيادة على القرى و البروج التي تزيد على الثلاث مائة[2]، و كان الحدّ بينه و بين المملكة النصرية هو حصن ذكوان بمقربة من مالقة[3]، كما أنّ يوسف بن يعقوب بسط نفوذه على نواحي كثيرة من المغرب الأوسط[4]، و في بعض أيام أبي الحسن توحد المغرب الإسلامي تحت قيادته من السوس الأقصى إلى مسراته قرب الحدود النصرية، زيادة على إنفتاح هذه المملكة إلى (رندة) بالأندلس[5]، و في أيام أبي عنان برقت بارقة لاستعادة وحدة المغرب الإسلامي ثم سرعان ما خبت[6].

أما الفترة الواقعة بعد عهد أبي عنان إلى نهاية الدولة فلم يحدث فيها إمتداد منظم نحو شرق المغرب، و لا يستثنى من هذا سوى غارات عابرة إرتجلها ملوك و حكام مرينيون[7]. وقد إمتدت قوة الدولة المرينية حتى أيّام أبي الحسن، ثم أخذت في التراجع

(1) العبر، ج7، ص 244.

(2) الذخيرة، ص 98.

(3) الأنيس المطرب، ص 284.

(4) نفسه، نفس الصفحة.

(5) العبر، ج7، ص 270.

(6) نفسه ص 296، 298،و ص 301، 302.

(7) نفسه، ص 302، 303،و ص 311،و ص 328،وص 348، 349،وص 361، 362.

تأثـرًا بعدة عوامـل منها: الضعف الذي نـزل بالجيش المريني بعد موقعتي طريف[1] والقيروان[2] حيث انقطع العبور المريني إلى الأندلس وفشلت محاولة استعادة الإمبراطورية الموحدية في شمال إفريقيا.

6. سقوطها:

اجتمعت العديد من العوامل التي ساعدت على سقوط دولة بيني مرين التي استطاعت بفضل قوة سلاطينها وحنكتهم أن تبسط نفوذها على أجزاء كبيرة من المغرب الإسلامي.

ولعل أهم هذه العوامل تلك الحروب المستمرة بينهم وبين بني زيان، وبينها وبين بعض القبائل العربية والبربرية، والتي حتما أنهكت قوى الدولة وأضعفتها، بالإضافة إلى الصراعات الداخلية حول العرش، حيث دخلت الدولة دور النزاع بين الوزراء ورجال الدولة على الملك، إذ أن الوزراء استبدوا بالأمر دون السلاطين، مستغلين في ذلك الظروف السياسية المتدهورة، ومنهم الوزير أبو بكر بن غازي الذي قام بأمر السعيد بن السلطان المريني عبد العزيز الذي توفي سنة 774هـ/ 1372م، مخلّفا على العرش طفلا صغيرا يسمى أبا زيان محمد السعيد، فتولى أمره الوزير المذكور وبايعه طفلا في نفس السنة، وعليه وفد الوزير لسان الدين بن الخطيب هاربا من غرناطة، وألّف كتابه المسمى " إعلام الأعلام بمن بويع قبل الاحتلام ".

لم يستطع أبو بكر بن غازي الصمود في الوزارة طويلا لظهور منافس له وهو محمد بن عثمان، الذي نهض يطلب الإمارة لأمير مريني آخر هو أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن علي أبي سعيد، واستمر الصراع العقيم على العرش، واستمرت معه الدولة في الانحلال والتدهور، واستمر الوزراء يستبدون بالحكم إلى ظهور الوطاسيين،

---

(1) موقعة طريف : هي موقعة ريوسلاد، التي يقول عنها ابن الخطيب في الإحاطة : «..فهذه الواقعة بين الدواهي المعضلة الدّاء و الإرذاء، التي تضعضع لها ركن الدّين بالمغرب و قرّت لها عيون الأعداء»، انظر، ابن عماد الحنبلي شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج6، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ب ت، ص 128 وأيضا، العبر، ج7، ص 261- 262.

(2) العبر، ج7، ص ص 273- 276.

وأولهم الوزير أبو زكريا يحيى بن يحيى بن زيان الوطاسي الذي تولى الوزارة سنة 846هـ/ 1442م، وأيده الوطاسيون الذين كانوا يسيطرون على شمالي المغرب الأقصى، ويقول السلاوي بأن وزارة يحيى بن يحيى بن زيان الوطاسي مبدأ الشر ومنشأ الفتنة، وذلك لأنه لما استقل بالحجابة أخذ في تغيير مراسم الملك وعوائد الدولة، وزاد ونقص في الجند، ونقض جل ما أبرمه قبله الوزراء، وعامل الرعية بالعنف، كعزله قاضي فاس الفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد بن عيسى بن علال المصمودي وولّى مكانه الفقيه يعقوب التسولي.

ومما زاد من وهن المرينيين الهجمات البرتغالية والإسبانية على سواحلهم، حيث لم يعودوا قادرين على القيام بأمر المغرب، خصوصا بعد سقوط طنجة في يد البرتغاليين دون أن يحاول بنو مرين الدفاع عنها أو استردادها، حيث بعد أن دخلوها حصنوها وظلت في أيديهم مائتين وخمسين سنة.

وعقب ذلك التفت جماعة حول رجل شجاع يدعى الفقيه أبا فارس عبد العزيز موسى الورياكلي، وكان خطيب مسجد القرويين، فدعاهم إلى خلع السلطان عبد الحق الثالث ومبايعة الشريف عبد الله الحفيد سلطانا، وكان السلطان عبد الحق إذ ذاك غائبا عن فاس، فلما علم بما حدث لم يجرؤ على دخول فاس فأشار عليه بعضهم بدخول مكناس والاستعداد لغزو فاس، غير أنه قبض عليه وقتل في فاس سنة 863هـ/ 1458م، وبموته انقرضت دولة بني مرين في المغرب، ليحل مكانهم- بصورة مؤقتة- شريف أحفاد الأدارسة أبو عبد الله الحفيد.

وبينما كان أهل المغرب مشغولين بأمر السلاطين استولى البرتغاليون على آنفي وأصيلا وغيرها من المدن الهامة بالمغرب.(1)

(1) راجع ذلك بالتفصيل، في الاستقصاء، ج2، ص ص 150- 159، وأيضا، حسين مؤنس، المرجع السابق، ج2، ص ص 55- 72، وأيضا، عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ج2، ص 872.

الفصل الثاني

التاريخ الثقافي للدولتين

- ✧ المبحث الأول: الحياة الثقافية في الدولة الزيانية
- ✧ المبحث الثاني: الحياة الثقافية في الدولة المرينية

المبحث الأول: الدولة الزيانية ثقافيا

تمهيد:

عرفت الحياة الثقافية في المغرب الأوسط على عهد الدولة الزيانية تطورا علميا وازدهارا ثقافيا وفكريا هاما، برزت معالمه من خلال النشاط العلمي الذي عرفته البلاد، والذي ترجمته حركة العلماء وشغفهم في التحصيل وانتهال العلوم وإقبالهم على الإبداع والتأليف، والذي ظهر جليا من خلال المصنفات والكتب التي ألفت في تلك الفترة، والتي تنوه عن المشاركة الفعالة لعلماء بني زيان في مختلف العلوم العقلية والنقلية.

ومن مظاهر هذه الحركة الثقافية والفكرية اهتمام سلاطين بني زيان بالعلم والعلماء والعمل على تقريبهم من مجالسهم وحضور دروسهم وإجراء الأرزاق عليهم، وبناء المدارس والمساجد ومختلف المؤسسات التعليمية للخوض في مختلف العلوم، والسماح لهم بالتنقل لانتهال العلوم واستقدامها إلى بلدهم؛ مما جعل تلمسان الزيانية عاصمة الدولة حاضرة علمية وثقافية هامة تتوافد عليها قوافل العلماء وطلبة العلم من المشرق والمغرب والأندلس، للاستزادة والتحصيل والإجازة من كبار شيوخها وعلمائها.

ومن معالم هذا التطور العلمي تلك المنشآت التعليمية والثقافية التي خلفها بنوا زيان والتي كانت شاهدا على رقيهم وازدهارهم، إضافة إلى حركة العلماء والمناظرات العلمية الجادة وخوضهم في مختلف العلوم العقلية والنقلية.

1- المؤسسات الثقافية والتعليمية الزيانية:

عمل السلاطين الزيانيون على تشييد المؤسسات التربوية والتعليمية من مساجد وكتاتيب وزوايا ومدارس عليا على نمط المدارس النظامية بالمشرق(1)، ليتعلم فيها طلبة العلم والمعرفة مختلف العلوم النقلية والعقلية، وتتخرج منها الإطارات التي تدعم الجهاز السياسي والإداري والمالي والقضائي ومختلف مصالح الدولة ومؤسساتها حتى الجيش.

---

(1)عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 141، وأيضا، عبد الحميد حاجيات وآخرون، الجزائر في التاريخ، ص 438.

أ- المساجد:

كانت المساجد قبل تأسيس المدارس والزوايا في المغرب الإسلامي عموما، هي المؤسسة التي تستقبل الطلبة والمصلين في حلقات دراسية داخل المسجد، فكان بذلك عبارة عن جامعة أو معهد بالإضافة إلى كونه مقر للعبادة تلقى فيه الدروس وتعقد فيه حلقات البحث، وتنظم فيه المناظرات العلمية، والحوارات الفقهية، والمطارحات الأدبية واللغوية ودروس الوعظ والإرشاد والإفتاء، ويجتمع فيه أصحاب المصالح العامة والخاصة، كما كانت تقرأ فيه البلاغات الرسمية للدولة، ويجتمع فيه الأولياء لتدبير زواج بناتهم وأبنائهم، وتمضى فيه العقود التجارية وتؤخذ إليه الجنائز قبل الدفن للصلاة عليها[1].

ورغم أن النصوص والوثائق التاريخية، قد أحجمت عن إعطائنا جميع أسماء المساجد التي شيدت في مدينة تلمسان وضواحيها، إلا أن بعض الإحصائيات تكشف لنا عددها الذي بلغ ستين مسجدا[2].

وقد انتشرت المساجد عبر أحياء المدينة، وضواحيها، منذ دخلها الفاتحون في النصف الثاني من القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) مادتها الأولى تحفيظ القرآن والحديث ثم تدريس النحو والفقه واللغة والأدب، إلى أن أصبحت كشبه المعاهد العليا التي تدرس مختلف العلوم الإسلامية[3]، كالفقه وأصوله والحديث والقرآن وتفسيره واللغة والنحو والأدب، ومن بين هذه المساجد الجامعة[4] نذكر:

1- المسجد الجامع بأغادير:

يبدو أنه أقدم مسجد في المدينة يعود تاريخ تأسيسه إلى ما قبل استيلاء الأدارسة على مدينة تلمسان بقيادة إدريس الأكبر سنة 174هـ/ 790م، الذين أعادوا بناءه ورمموه أكثر

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري(16-20)م، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 34.

Brosslard (Charles) : les inscriptions arabes,p.83

ويبدو أن هذا الرقم لا يعبر عن الحقيقة لأن مدينة تلمسان في العهد الزياني بلغ عدد سكانها نحو 125ألف نسمة، انظر في ذلك يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 211.

(3) محمد منير موسى: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، القاهرة، 1983، ص 221.

(4) للاطلاع على الجانب المعماري للمساجد الجزائرية، انظر، رشيد بورويبة، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية ترجمة شبوح إبراهيم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

من مرة في عهد كل من إدريس الأول [1]، وابنه إدريس الثاني وزينوه ووسعوه وأضافوا له المنبر والمحراب[2]، كما حظي هذا المسجد بعناية الأمير يغمراسن الذي قام بترميمه وبناء مئذنته[3]، وقد استأذن في كتابة اسمه بها فقال بالزناتية " يسنت ربي "، أي عرفه الله[4].

2- المسجد الأعظم بتاجرارت:

من أبرز المساجد المغربية شيده الأمير يوسف بن تاشفين المرابطي، أثناء بنائه لمدينة تاجرارت سنة 473هـ / 1080م، وأعاد بناءه ابنه علي بن يوسف سنة 530هـ/ 1135م[5]، وقد غلبت عليه مسحة فنية أندلسية[6]، حتى صار تحفة معمارية رائعة، وتدل على إعادة بنائه في عهد علي بن يوسف الكتابة الموجودة على المحراب: " بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم، هذا مما أمر بعمله الأمير الأجل...أيده الله وأعز نصره وأدام دولته، وكان إتمامه على يد الفقيه الأجل القاضي الأوصل أبي الحسن علي بن عبد الرحمن بن علي أدام الله عزهم، فتح في شهر جمادى الأخيرة عام ثلاثين وخمسمائة "[7]. وقد أضيف إلى المسجد قسم ثابت في عهد يغمراسن

([1])كتب على منبره: " بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أمر به إدريس بن عبد الله بن حسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه "، انظر، ابن أبي زرع، المصدر السابق ، ص 68.

([2]) ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص 21- 50، ، وأيضا، رشيد بورويبة، جولة عبر مساجد تلمسان، مجلة الأصالة، ع 26، الجزائر، 1975، ص 171- 172.

([3]) يحيى بن خلدون، المصدر السابق ، ج1، ص 207، وأيضا، صالح بن قربة، المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 85، وأيضا، عطاء الله دهينة وآخرون،الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، الجزائر في التاريخ،ج3، ص 362، وأيضا،

Marçais, (G), Tlemcen (ville d'art et d'histoire) , publié par les soins de la société historique Algérienne , Tome 1, Alger, 1936, p34.

([4]) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 207، وأيضا، التنسي، المصدر السابق، ص 125.

([5]) رشيد بورويبة، جولة عبر مساجد تلمسان، ص 172.

([6]) Marçais, (G), Tlemcen (ville d'art et d'histoire), p 34.

وأيضا:

- Marçais, (G) : Tlemcen d'hier et d'aujourd'hui : bulletin de société des amis du vieux de Tlemcen , Alger, 1952, p.20.

([7]) Bourouiba (R) : les inscriptions commémoratives des mosquées d'Algérie, O.P.U, Alger, 1984, p.102

وأيضا، رشيد بورويبة جولة عبر مساجد تلمسان، ص 172.

بن زيان الذي أضاف له الجزء الشمالي من بيت الصلاة والقبة والصحن والمئذنة[1] الشبيهة بالعمارة الأندلسية وزخارفه بحيث تعلو السواري تيجان تشبه تيجان مسجد قرطبة[2].

و كان لهذا المسجد دورا عظيما إذ أصبح يضاهي أكبر الجامعات في تلك الفترة كجامع الزيتونة بتونس وجامع القرويين بالمغرب، فأصبح معهدا للتدريس، خاصة بعد الهجرة الأندلسية، وتوافد العلماء وطلاب العلم، حيث صارت تلمسان حاضرة من حواضر الإشعاع الثقافي في العالم الإسلامي.[3]

3- مسجد سيدي أبي الحسن:

يقع هذا المسجد بالقرب من المسجد الأعظم، قام ببنائه السلطان الزياني أبو سعيد عثمان بن يغمراسن سنة 696هـ/ 1296م[4].

ويحمل المسجد اسم أحد مشاهير علماء تلمسان وهو أبو الحسن بن يخلف التنسي، الذي كان يلقي دروسه به، وقد نسبه إليه السلطان أبو سعيد عثمان لأنه كان من أفضل علماء عهده وأتقاهم وأورعهم[5]. والمسجد هذا صغير الحجم إذا ما قورن بالمساجد التلمسانية الأخرى، حيث يبلغ طوله 10م وعرضه 9,70م، ويحتوي على بيت صلاة

---

(1) Marçais, (G) : l'architecture musulmane d'occident, Paris, 1955, p. 197.

(2) رشيد بورويبة جولة عبر مساجد تلمسان، ص 172، وأيضا:
Marçais, (G), Tlemcen (ville d'art et d'histoire), p. 34

(3) مبخوت بودواية ، المرجع السابق، ص 69.

(4) جاء في الكتابة المرسومة على المحراب " بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليمابنى هذا المسجد الأمير أبو عامر إبراهيم بن السلطان أبي يحيى يغمراسن بن زيان في سنة ست وتسعين وستمائة من بعد وفاته رحمه الله "، ولعل السلطان أبو سعيد كلف أخاه بالإشراف على البناء والتدشين، والمدشن هو الذي يثبت اسمه في لوحة التدشين، انظر في ذلك،
Bourouiba (R) :op cit, p. 127.
Marçais (G) : l'architecture musulmane, p.272
وأيضا محمود بوعياد، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري (15م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 81.

(5) محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 213، وأيضا، رشيد بورويبة وآخرون،الحياة الفنية في عهد الزيانيين والمرينيين، الجزائر في التاريخ، ج3 ص 496.

مكونة من ثلاث بلاطات عمودية على جدار المحراب، يحددها صفان من الأعمدة الرخامية تعلوها تيجان تعد من أجمل تيجان العالم الإسلامي(1).

يعد محرابه من أجمل المحاريب بحيث يتشكل من مشكاة سداسية الأضلاع، مكللة بقبة مزينة بالمقرنصات، كما اشتهرت جدران المسجد بزخارف رائعة وسقف منقوش من خشب الأرز، غاية في الإبداع(2).

4- مسجد أولاد الإمام:

أنشأه السلطان أبو حمو موسى الأول سنة 710هـ/ 1310م ليكون ملحقا بالمدرسة القديمة التي بناها لابني الإمام، وهما عالمان كانا قد قدما من مدينة برشك(3). وقد فقد هذا المسجد زينته الزيانية ولم يبق منه إلا القبيبة المزينة بالمقرنصات التي تكلل مشكاة المحراب ومئذنتها الجميلة، وهو يقع بالقرب من مسجد أبي الحسن، وتوجد بعض القطع الأثرية منه في المتحف البلدي بتلمسان(4).

5- مسجد سيدي إبراهيم المصمودي:

شيده السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني إلى جانب القبة والزاوية والمدرسة(5)، وهي المباني التي بناها تكريما لوالده أبي يعقوب، لذلك كانت تحمل اسم المدرسة اليعقوبية، غير أن هذه الأخيرة اندثرت مع الزاوية ولم يبق سوى المسجد والقبة(6) الذي ضم مئذنة مربعة الشكل وقبة مزينة بأخاديد تشبه قبة حمام الصباغين بتلمسان التي يرجع عهدها إلى العهد المرابطي.

---

(1) رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 496، وأيضا، بورويبة، جولة عبر مساجد تلمسان، ص 175.

(2) Dhina (A) : Le royaume Abdelouadide à l'époque d'Abou Hamou Moussa 1er et d'Abou Tachfin 1er, O.P.U , E.N.A.L, Alger, p. 34.

وأيضا:

Marçais(G) et William :les monuments arabes de Tlemcen, librairie thoim,1903, Paris, p.173.

(3) هما العالمان الجليلان الاخوين: " أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى" ، عرفا بأولاد الإمام نسبة إلى أبيهما الذي كان يشغل منصب إمام مدينة برشك مسقط رأسه، انظر، ابن مريم،البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، نشره محمد بن أبي شنب و قدم له عبد الرحمن طالب ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص ص 123- 127.

(4) رشيد بورويبة، الجزائر في التاريخ، ص 497، وأيضا:

Marçais (G) : Note sur l'épitaphe d'un savant Tlemcenien « Abou moussa », fils de « l'Imam », revue africaine , Alger, Jourdan, 1818,p.115.

(5) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 136.

(6) رشيد بورويبة، جولة عبر مساجد تلمسان، ص176، وأيضا، عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى ، ص 182.

ومن ثمة يتضح تأثر هذا المسجد بالعمارة المرابطية وكذا الموحدية، إذ أن أبوابه تماثل أبواب مسجد تينملل بالمغرب الأقصى[1].

ب- المدارس:

ظهرت المدرسة كمؤسسة ذات نظام تعليمي وإداري ومالي مع مطلع القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي بالمشرق الإسلامي[2]، ومنه امتدت إلى مختلف أنحاء العالم على فترات متفاوتة.

وقد تأخر ظهورها في بلاد المغرب إلى النصف الأول من القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، حيث أن النشاط التربوي والتعليمي الذي كان سائدا قبل هذه الفترة كان ينحصر بين الكتاتيب والمساجد والمؤسسات التعليمية الصغيرة، وظل الوضع قائما دون تنظيم[3]، إلى القرن السابع حيث ظهرت أول مدرسة نظامية بإفريقية، وهي تلك التي عرفت بمدرسة الشماعين أو المدرسة الشماعية، والتي أسست من قبل السلطان الحفصي أبي زكرياء (625- 647هـ)[4]، وقد عرفت بأم المدارس[5]. ويعود تاريخ بنائها إلى الفترة الواقعة ما بين(647/623هـ)/(1235-1249م) .

أما المرينيون فقد عرفوا هذا النوع من المدارس النظامية في عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني حيث أسس مدرسة الصفارين سنة 675هـ[6].

---

(1) رشيد بورويبة، الجزائر في التاريخ، ص 497.

(2)عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 141.

(3) تعود بوادر ظهور المدارس بالمغرب إلى القرن السادس الهجري، حيث تذكر المصادر أن السلطان الموحدي يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي بنى مدرسة في حدود 593هـ/ 1196م، في سلا شمال الجامع الأعظم الذي أنشئ في عهده لكن ليس بالشكل النظامي الذي عرفه القرن السابع الهجري،انظر، الزركشي، المصدر السابق ص 162، وأيضا، الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981،المصدر السابق، ص 100- 101، وأيضا، السلاوي ، المصدر السابق، ج2، ص 195.

(4) الزركشي، المصدر السابق، ص 26، وأيضا، وداد القاضي، المرجع السابق، ص 100، وأيضا، بوبة مجاني، " المدارس الحفصية "، نظامها ومواردها، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، العدد 12، 1999، ص 158.

(5) ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 134، وأيضا، القلصادي، رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، 1978، ص 115.

(6) عن المدارس المرينية راجع، عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، ج1، ص 313- 314.

أما في تلمسان الزيانية، فلم تظهر إلا مطلع القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، حيث اهتم السلاطين الزيانيون بإنشائها رغم تأخرها عن بلاد المشرق، وعن إفريقية والمغرب الأقصى[1] وكان هدفهم نشر التعليم والثقافة ورفع درجة الوعي بين الرعية وتوجيهها وجهة تخدم الصالح العام والمجتمع، وكذا بعث الاستقرار والسكينة والأمن والهدوء بينها[2].

وقد كانت هذه المدارس تعتمد في تمويلها على الأحباس بالدرجة الأولى[3]، ثم على الإعانات التي تأتي من التجار، والعلماء وميسوري الحال ومن السلطان والأمراء.

ويذكر الحسن الوزان أن تلمسان الزيانية قد عرفت عددا لا بأس به من المدارس وصل عددها إلى خمس، حسب قوله: " ...وتوجد بتلمسان مساجد عديدة جميلة، لها أئمة وخطباء، وخمس مدارس حسنة، جيدة البناء مزدانة بالفسيفساء وغيرها من الأعمال الفنية،شيد بعضها ملوك تلمسان وبعضها ملوك فاس..."[4]، بالإضافة إلى مدارس أخرى تنتشر عبر أرجاء المغرب الأوسط كافة كمدارس وهران مثلا والتي يقول عنها أيضا: " وهران مدينة كبيرة فيها ستة آلاف كانون، بناها الأفارقة الأقدمون على شاطئ البحر المتوسط... وبها من البنايات والمؤسسات ما تتميز به كل مدينة متحضرة من مساجد ومدارس..."[5].

وعلى الرغم من انشغال السلاطين الزيانيين بحروبهم الداخلية والخارجية إلا أن ذلك لم يمنعهم من الاهتمام بالجانب الثقافي والتعليمي، فقد كانوا يحبون العلم ويقربون العلماء من مجالسهم، وقد شيدوا لهذا الغرض عددا من المدارس التي كانت بمثابة المعاهد العليا يتكون فيها الإطارات العليا في شتى المجالات، ومن أهم المدارس التي اشتهرت في تلمسان نذكر:

---

(1) عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 324.

(2) نفسه، ج2، ص 326.

(3) نفسه، ج1، ص 141.

(4) الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 19.

(5) نفسه ، ص 30.

1- مدرسة ابني الإمام:

هي أول مدرسة أسسها الزيانيون في تلمسان[1]، أسست من قبل السلطان أبو حمو موس الأول ما بين 707هـ و718هـ بناحية المطمر[2]سميت على اسم العالمين الأخوين أبي زيد عبد الرحمن بن الإمام (توفي سنة 743هـ/ 1342م) وأخيه أبي موسى عيسى بن الإمام (توفي سنة 749هـ/ 1348م)[3] ، وهما ابنا الفقيه الخطيب أبي عبد الله بن عبد الله بن الإمام[4] من أهل برشك. وقد كانا إمامين مشهورين بالعلم والرياسة، لهما سلف صالح، نزلا بتلمسان أيام السلطان أبي حمو بن أبي سعيد بن يغمراسن، الذي ابتنى لهما هذه المدرسة وكلفهما بإدارة التعليم والتدريس بها، فحملت اسمهما[5]. ولم يبق منها إلا المسجد الصغير بمنارته والذي يقع في الناحية الغربية من المدينة في اتجاه باب كشوط المعروف اليوم بباب سيدي بوجمعة[6].

2- المدرسة التاشفينية:

أمر بتشييدها االسلطان أبو تاشفين عبد الرحمن الأول بن أبي حمو موسى الأول (718-736هـ) / (1317) - 1335م) لما أصبحت المدرسة التي بناها والده لا تستوعب عدد الطلبة وتهافتهم على العلم والأدب. فكانت بجانب المسجد الجامع الأعظم[7]

([1]) يرى جورج مارسيه أن هذه المدرسة كانت تقع غرب مسجد أولاد الإمام وشماله، وكانت تشتمل على قاعتين كبيرتين يتلقى فيها الطلبة العلم، بجانبهما بيتان يقيم فيهما شيوخ المدرسة، أنظر:
Marçais(G) et (W) Blian, les monuments , op cit, p.168
وأيضا: Marçais (G), remarques sur les medersas funéraires en berberie, le Caire, 1937, p. 263.

([2]) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 34.

([3]) نفسه، ص ص 123- 126.

([4]) نفسه، ص 130.

([5]) يحيى بن خلدون، المصدر السابق،ج1، ص 130 وأيضا، التنسي، المصدر السابق، ص 139، وأيضا:
Dhina, Royaume , p.34

([6]) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 130، وأيضا، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق ، ج7 ص ص 821- 824، وأيضا، التنسي المصدر السابق، ص 139، وأيضا ، المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، ج5، دار صادر، بيروت، 1968، ج5، ص 215 وأيضا، الحفناوي أبو القاسم، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، الجزائر، 1906، ص ص 201- 307.

([7]) التنسي المصدر السابق، ص 141، وأيضا، عبد الحميد حاجيات ، أبو حمو موسى، ص 61.

تكريما للفقيه أبي موسى عمران المشذالي[1] سخر لبنائها أشهر البنائين والمهندسين والفنانين من ذوي الكفاءات والمهارات العالية في الزخرفة والتزيين والبناء، فجاءت حسب زائريها أكبر وأجمل مدرسة شيدت بالمغرب الإسلامي، نموذجا فريدا للزخارف التي احتوتها قصور تلمسان في ذلك العهد، وتحفة فنية رائعة، تفنن في تشيدها حتى أصبحت قصرا من أعظم قصور الملوك، تضم بنايات عديدة وورواقات[2].

احتفل السلطان أبو تاشفين بتشييدها احتفالا كبيرا، حضرته مشيخة تلمسان من علماء وفقهاء وأدباء، وأهمهم الفقيه أبو موسى عمران المشذالي الزواوي أعرف أهل زمانه بمذهب الإمام مالك[3]. وقد قال فيها أبو جعفر أحمد بن محمد بن إبراهيم الأوسي الجنان المكناسي: " تذكرت هنا والشيء بالشيء يذكر ما رأيته مكتوبا على دائرة مجرى الماء بمدرسة تلمسان التي بناها أمير المسلمين أبي تاشفين الزياني وهي من بدائع الدنيا "، فوصفها في أبيات شعرية قائلا:

أنـــظر بعينيك بهجتي وسنائي **** وبـــديع اتـــقاني وحـــسن بنائي

وبـــديع شكلي واعتبر فيما ترى **** مـــن نشأتي بل من تدفق مائي

جـــسم لـــطيف ذائـــب سيلانه **** صـــاف كذَوب الفضة البيضاء

فقد ح بي أزهار وشيء نمقت **** فغدت كمثل الروض غب السماء[4].

([1]) هو أبو موسى عمران المشذالي من أكبر فقهاء عصره، أصله من زواوة بجاية، توفي في حدود 745هـ ، من أعرف أهله ومعاصريه بمذهب الإمام مالك وحفظا لأقوال أصحابه ، عرفناه بنوازل الأحكام،انظر، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 130، وأيضا، التنسي، المصدر السابق، ص 141.

([2]) التنسي، المصدر السابق، ص 141، وأيضا، محمود بو عياد، المرجع السابق، ص 82، وأيضا:
Marçais (G) : l'architecture musulmane d'occident , p. 265.
وأيضا: Marçais(G) et (W)Blian : les monuments arabes…, p.21.

([3]) التنسي ، المصدر السابق، ص 141، وأيضا، أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج،على هامش ديباج ابن فرحون، تحقيق علي عمر، ط1، ج1 ،مكتبة الثقافة الدينية، 2004 ، ص ص 215- 217، وأيضا المقري، المصدر السابق، ج7، ص 148-149، وأيضا، الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص 75-76.

([4]) المقري، المصدر السابق، ج8، ص ص 154- 157، وأيضا ، الطمار، المرجع السابق، ص 128.

وقد تصدر للتدريس بها الفقيه العلامة أبو موسى عمران المشدالي،و العالم أبوالعباس أحمد بن عمران البجائي[1]، بالإضافة إلى عدد كبير من علماء المغرب الإسلامي ومن بينهم بعض المرازقة والعقانبة والتنسي وأحمد بن زكري[2].

وظلت هذه المدرسة قائمة شامخة تزاول وظيفتها حوالي خمسة قرون، إلى أن قام الاحتلال الفرنسي بهدمها، بحجة توسيع شبكة الطرق في المدينة، لتبنى مكانها دار البلدية بجانبها ساحة عمومية وذلك سنة 1875، نقلت بعض قطعها الأثرية إلى المتحف البلدي بتلمسان، ومتحف كولوني بباريس[3].

3- المدرسة اليعقوبية:

أسسها السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني[4](760-791هـ) سنة 765هـ تخليدا لوالده أبي يعقوب المتوفى سنة 763هـ/ 1362م، وكان أبو حمو قد أمر بدفن أبيه برياض يقع بالقرب من باب إيلان ، ونقل رفاة عميه، أبا سعيد وأبا ثابت من مدفنهما بالعباد إلى جوار ضريح والده[5]، ثم شرع في بناء مدرسة إلى جانب أضرحتهم، عهد للتعليم فيها إلى أشهر علماء تلمسان آنذاك الشيخ الشريف الحسني أبي عبد الله (توفي سنة 771هـ/ 1370م)[6]. وقد جعل أبو حمو الثاني هذه المدرسة ملحقة بزاوية ومقبرة

---

(1) يعرف عند يحيى بن خلدون بأبي العباس أحمد بن عمران اليانوي، انظر، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 75.

(2) محمد مكيوي ، المرجع السابق، ص 138.

(3) عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى ، ص 62، وأيضا، عبد الحميد حاجيات وآخرون، الجزائر في التاريخ، ص 438 ، وأيضا: - Marçais (G) et (W) : les monuments arabes..., p.21

وأيضا: - Dhina(A) : royaume..., op cit, p. 37.

(4) التنسي ، المصدر السابق، ص 157.

(5) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 104، وأيضا، عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني، ص 159-160- 182، وأيضا: - Barges : Tlemcen ancien capital, p. 391.

(6) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسيني، أحد رجال الكمال علما ودينا أحاط بكل فن عقلي أو نقلي، أخذ عن أبي زيد وأبي موسى (ابني الإمام)، وعن الشيخ عبد الله الآبلي، توفي في ذي الحجة سنة 771هـ/ 1370م، انظر في ذلك، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 120، وأيضا، سيدي محمد نقادي ، التصميم العمراني لمدينة تلمسان ودلالته الاجتماعية، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية ، تلمسان، 1991، ص 36، وأيضا، الطمار، المرجع السابق، ص 178-179.

خصصها لرفاة ملوك تلمسان وأمرائها من بني زيان، ولسوء الحظ فإن هذه المدرسة قد اندثرت ولم يبق منها إلا ذلك الوصف الجميل في النصوص التاريخية[1].

4- مدرسة الحسن أبركان:

بناها السلطان أحمد العاقل (834- 866هـ) بزاوية الشيخ الصالح الحسن بن مخلوف أبركان[2]، قرب مسجد الولي الصالح عبد الله الشوذي الحلوي[3] خارج باب علي بتلمسان.

5- مدارس وهران والجزائر ومازونة:

انفرد بذكر هذه المدارس الحسن الوزان دون تفصيل حيث ذكر : " ... وهران مدينة كبيرة فيها ستة آلاف كانون، بناها الأفارقة الأقدمون على شاطئ البحر ...بعيدة بنحو مائة وأربعين ميلا من تلمسان...بها من البنايات والمؤسسات ما تتميز به كل مدينة متحضرة، من مساجد ومدارس..."[4]، أما مازونة فقد ورد أن بها مدارس تشبه إلى حد كبير مدارس تلمسان، أما مدرسة الجزائر[5] فقد أسسها أبو الحسن المريني، فكانت عبارة عن مسكن للطلبة يقيمون به[6].

و مما يلاحظ على هذه المدارس أنها كانت تدرس على المذهب المالكي، وقد كانت مدارس حكومية رسمية تابعة كلها للدولة التي ظلت تشرف عليها بالتمويل، وتعين الأساتذة والمدرسين وكان كل مدرسيها من المالكية[7]. أما عن طبيعة التعليم واتجاهه في هذه المدارس في بدايتها فيبدو أن الاهتمام كان موجها إلى العقيدة أكثر منه إلى التشريع

([1]) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص ص 104- 136، وأيضا، عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص 182- 183، وأيضا، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق،ج1، ص 144.

([2]) عطاء الله دهينة وآخرون، المرجع السابق، ص 433.

([3]) هو أبو عبد الله الشوذي الإشبيلي، الملقب بالحلوي نزيل تلمسان، وهو من كبار العباد والعارفين، انظر، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 127، وأيضا، عبد الحميد حاجيات وآخرون، الجزائر في التاريخ، ص 438.

([4])الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 30.

([5]) نفسه، ص 37.

([6]) مفدي زكريا، النشاط العقلي والتقدم الحضاري بالجزائر في عهد الزيانيين، مجلة الأصالة، عدد 26، 1975، ص 166.

([7]) بيل ألفريد، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص 354.

الديني، ولم يعد الاهتمام في المقام الأول عند العلماء موجها إلى علم الكلام، ومعطيات العقيدة كما كان الحال أيام الموحدين، لكن مع مطلع القرن السابع الهجري عرف علم الأصول نشاطا كبيرا من دراسة الحديث والقرآن[1] إلى جانب العلوم المساعدة من نحو، ولغة وبلاغة ومنطق وتاريخ، وطب وحساب وعلم الفلك[2]، وقد اختلفت طرق التدريس في هذه المدارس باختلاف الشيوخ الذين كانوا يشرفون عليها، فمنهم من كان يعتمد على الطريقة التقليدية (الإلقاء والشرح) كأن يقوم أحد الطلبة بقراءة نص ما في المادة المدروسة ويتولى الأستاذ شرحه فقرة فقرة ويقوم الطلبة بتقييد ما يهمهم من شروح وأجوبة، وكانت هذه الطريقة تعتمد على النقل والحفظ[3].

لكن في النصف الثاني من القرن السابع الهجري حدثت ثورة في أساليب التدريس وعُرفت طريقة أخرى تعتمد على الحوار والمناقشة والتعمق في البحث والتعليل وهي طريقة طبقها بعض أعلام الفقه المالكي، بعد أن درسوا المنطق واستفادوا من علم الخلافيات، كابن زيتون، وأبي عبد الله شعيب الدّكّالي، وابني الإمام، وناصر الدين المشدالي، وكانت طريقتهم تعتمد على أعمال النظر وكثرة البحث، وإثارة وجوه الخلاف والرد عليها[4].

وقد خصصت السلطة الرواتب والأجور للمدرسين وكل العاملين في هذه المدارس كما تكفلت بإعانة الطلبة ماديا وتحمل جميع نفقاتهم ومصاريفهم، كما حرص المشرفون على المدارس على إنشاء المكتبات، وعمروها بالكتب حتى تساعد الطلبة في تحصيل مختلف العلوم[5].

ج- المكتبات:

كانت المدارس والمساجد، تحتوي على مكتبات أو خزانات ساعدت الأساتذة والطلاب على التعلم والتحصيل، وهي عموما كتب نادرة يصعب الحصول عليها

---

(1) محمد مكيوي ، المرجع السابق، ص 141.

(2) عبد الحميد حاجيات وآخرون، المرجع السابق ، ص 438- 439.

(3) محمد مكيوي، المرجع السابق، ص 139، وأيضا، بودواية مبخوت، المرجع السابق، ص 87،

(4) عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، طبعة بيروت، 1968، ص 772- 773.

(5) عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 326، وأيضا، بلحسن إبراهيم ، المرجع السابق، ص 86.

أو اقتناءها لارتفاع أثمانها[1].كما لم تتحصر هذه المكتبات في المؤسسات التعليمية والثقافية (المدارس والمساجد والزوايا والكتاتيب)، بل أيضا لدى الخاصة وفي بيوت الأسر العريقة بالعلم[2] ولدى الوراقين[3].

ولم تقتصر هذه المكتبات على الكتب المتداولة في المغرب الأوسط والأندلس فحسب بل كانت تشتمل على مصنفات من كل العالم الإسلامي وفي شتى المجالات خاصة أمهات الكتب الدينية، المكتوبة بخط جميل، والمجلدة تجليدا رفيعا، وكذا المصاحف وكتب الوعظ والتصوف والفقه وعلم الكلام[4].

أما كتب الفلسفة فقد حرص أمناء المكتبات والمشرفين عليها على عدم اقتنائها لأن محتوياتها تتعارض مع أفكار بعض الفقهاء المتشددين أو السلفيين[5]، وقد كانت هذه المكتبات تخضع إلى نظام وقوانين فرضها المحبِّسون ، منها عدم إخراج الكتب خارج المدرسة أو المسجد التي كانت أبوابها مفتوحة طوال النهار، غير أنها تكون أكثر ازدحاما ما بين صلاة العصر والمغرب، وهي الفترة التي ينتهي فيها الطلاب من الحصص الدراسية[6].

ومن أهم المكتبات التي أنشأها سلاطين بني زيان بالمغرب الأوسط نذكر:

1- المكتبة التي أنشاها السلطان أبو حمو موسى الثاني: سنة 760هـ/ 1359م بالجامع الكبير بتلمسان على يمين المحراب بالمكان من الجدار القبلي الذي لازالت تتواجد فيه الخشبة التي كانت مثبتة فوق باب المكتبة مع النص المكتوب عليه: " أمر بعمل هذه الخزانة المباركة السلطان أبو حمو بن الأمراء الراشدين أيد الله أمره وأعز نصره ونفعه بما وصل ونوى وجعله من أهل التقوى وكان الفراغ من عملها يوم الخميس ثالث عشر

---

(1) عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 350.

(2) بودواية مبخوت، المرجع السابق، ص 88.

(3) يذكر ابن الخطيب في الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق وتقديم، محمد عبد الله عنان، ج3، دار المعارف، القاهرة، 1956 ، ص ص 27- 31، أن أحد المشتغلين بالعلم وهو محمد بن محمد بن بيش العبدري الغرناطي(680-753هـ) / (1281- 1352م) أصبح يشتغل بتجارة الكتب إلى جانب اشتغاله بالعلم، فأثرى منها وحسنت حالته.

(4) عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 350.

(5) حول محاكمة ابن خميس، انظر، المقري، نفح الطيب، ج5، ص 362، وأيضا، عبد الوهاب بن منصور، المنتخب النفيس من شعر أبي عبد الله بن خميس، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، 1965، ص 83- 84.

(6) المقري ، المصدر السابق، ج3، ص 36.

لذي القعدة عام سبعمائة وستين 760هـ ". وكانت هذه المكتبة تزخر بنفائس المخطوطات في جميع العلوم والفنون[1]، ولم تفقد تلك الكتب إلى حوالي عام 1266هـ/ 1855م حينما قامت مصلحة الآثار التاريخية بترميم الجامع الكبير بعد تغير طرفيه الجنوبي والشمالي.

2- المكتبة التي أنشأها السلطان أبو زيان محمد الثاني: سنة 796هـ/ 1394م، وكانت هذه المكتبة بالقسم الأمامي من الجامع الكبير وكانت تضم نفائس المؤلفات منها ما نسخ باليد كالمصحف الشريف وصحيح البخاري، ونسخ البخاري ونسخ من كتاب الشفاء[2] وللقاضي أبي الفضل عياض اليحصبي[3]، وقد نسخت هذه الكتب من قبل السلطان أبي زيان محمد الثاني وأوقف عليها أوقافا تكفل حسن سير عمالها واستمرار نشاطها التعليمي والفكري وقد نقلت هذه المكتبة إلى المدرسة الدولية عام 1323هـ/ 1905م ولا تزال منها بقية إلى يومنا هذا بمكتبة ثانوية الحكيم بن زرجب، وكانت بها مخطوطات عديدة منها مخطوطان نفيسان هما: كتاب " نظم الدر والعقيان في بيان شرف بين زيان " للحافظ التنسي، وكتاب" عجائب الأسفار " للحافظ الشيخ أبي رأس الناصري "[4].

د- الكتاتيب:

تعد الكتاتيب من المؤسسات التعليمية القديمة التي عرفها المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة، حيث كان التمدرس فيها يمثل مرحلة التعليم الابتدائي، وقد انحصر التعليم في بادئ الأمر على حفظ القرآن الكريم باعتباره أصل التعليم ومنبع الدين والعلوم، فجعلوه بذلك في مقدمة ما يتعلمه الطفل حفظا وكتابة لأن تعليمه للصغار أشد رسوخا وحفظا حسب تعبير ابن خلدون[5]، الذي يقول في هذا الصدد: " فأما أهل المغرب فمنهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط وأخذهم أثناء المدرسة بالرسم ومسائله

---

(1) محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 107- 400، وأيضا، عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني ص 183.

(2) التنسي، المصدر السابق، ص 211.

(3) القاضي عياض ابن موسى المتوفى سنة 544هـ/ 1149م من كبار علماء عصره في الفقه والحديث، من أشهر تصانيفه " الشفا بتعريف حقوق المصطفى " الذي نسخه السلطان أبو زيان محمد بن أبي حمو موسى بيده، انظر التنسي، المصدر السابق، ص 211.

(4) محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 400.

(5) عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص 1038.

واختلاف حملة القرآن لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب إلى أن يحذق فيه، أو ينقطع دونه، فيكون انقطاعهم في الغالب انقطاعا عن العلم بالجملة، وهذا مذهب أهل الأمصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر أمم المغرب في ولدانهم، إلى أن يجاوز حد البلوغ..."[1].

ولعل السِّن المفضل الذي كان الفقهاء يفضلونه لدخول الطفل الكتاب هو سِن السابعة، وهو العمر الذي أمر به الحديث النبوي الأولياء بإجبار أبنائهم على أداء الصلوات، وكان يتعلم في الكتاب الذكور والإناث، ولكن تعليم البنات- فيما يبدو- يقتصر على حفظ القرآن وبعض المتون [2].

وقد كانت هذه الكتاتيب تنتشر في المدن والقرى، حيث كانت عبارة عن حجرات مجاورة للمساجد أو بعيدة عنها بعض الشيء، وكان يقوم بإنشائها إما خواص لبساطتها أو باستئجار بيوت للتعليم[3]، أو تقوم جماعة من أولياء التلاميذ الميسورين ببنائها[4]، كما كان بعض المعلمين يكترون محلات أودكاكين، ويتقاضون أجورهم من أولياء الصبيان[5].

وكانت هذه الكتاتيب عبارة عن غرف بسيطة، أثاثها الحصير المصنوع من السمار أو الحلفاء، وكان لكل تلميذ لوح من الخشب المصقول ودواة للحبر وقلم من القصب الجاف وإناء يمحون فيه ألواحهم[6].

غير أن الأوضاع تغيرت في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، حيث أصبح الكتاب أكثر تجهيزا ، ويذكر الوزان في هذا الصدد: "...في كل مدرسة قاعة كبيرة بمدرجات تستعمل كقاعدة للأطفال "[7]. وقد كان للمعلم شروط وجب توفرها فيه

([1])عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، طبعة القاهرة، 1958، ص 397.

([2]) عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 344.

([3]) بودواية مبخوت، المرجع السابق، ص 75.

([4]) الونشريسي أحمد بن يحيى: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب إعداد محمد حجي ومحمد العرايشي وأحمد الشرقاوي إقبال، ج8، دار الغرب، بيروت، 1981، ص 156.

([5]) بودواية مبخوت، المرجع السابق، ص 75.

([6]) بعد الانتهاء من حفظ الآيات المكتوبة على اللوح يمحوها بالماء الطاهر ثم يحفرون له حفرة في الأرض ثم يصبونه فيها ليجف، راجع في ذلك، الأخضر عبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (633- 962)هـ (1236- 1554)م، رسالة دكتوراه دولة، قسم التاريخ تلمسان، 2004- 2005، ص 160.

([7]) الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 261.

حتى يكون مؤهلا للقيام بمهمة التدريس في هذه الكتاتيب، حيث ذكر ابن أبي جمعة في كتابه جامع جوامع الاختصار والتبيان قائلا: " المعلم الذي لا يعرف الإظهار والإدغام والإهمال والأعجام والتفخيم والترقيق وأحكام القرآن لا تجوز له الحدقة" [1]، هذا فضلا عن الصفات الخلقية والاجتماعية، نظرا لتأثيره على سلوك الأطفال في هذه المرحلة من أعمارهم[2].

والظاهر أن نفقة التعليم في الكتاب قبل القرن 7هـ/ 13م، كان يتحملها أولياء الأطفال، حيث كان بعض المعلمين يأخذون أجورهم على تعليم القرآن من أولياء الصبيان الميسوري الحال فقط بينما كان بعضهم يدرس القرآن محتسبا الله دون أجره كالشيخ الزاهد إبراهيم سيول الإشبيلي (ت 539هـ/ 1140م)، وكان الشيخ سعيد العقباني (811هـ/ 1408م) قد أفتى بجواز الأجرة على تعليم العلم معللا ذلك بضعف مداخيل المعلمين[3].

هـ- الزوايا:

وإلى جانب المساجد والمدارس والكتاتيب انتشرت الزوايا في نواحي عديدة من المغرب الأوسط، وهي عبارة عن أبنية ذات طابع ديني وثقافي، تقام فيها الصلوات الخمس، فضلا عن تحفيظ القرآن والتعليم وإلقاء الدروس على الطلاب والمريدين، وقد قال عنها ابن مرزوق: " إن الزوايا عندنا في المغرب تأوي المتجولين، ودار مجانية تطعم المسافرين[4]. ومن ثم فقد كانت الزاوية مدرسة يقصدها المريدون ومقرا لإقامة الطلبة وعابري السبيل كما كانت تضم مسجدا لإقامة الصلوات[5].

([1]) الأخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 160.

([2]) عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 345.

([3]) الونشريسي، المصدر السابق، ج8، ص 236- 237.

([4]) ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق مريا خيسوس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1918، ص ص 406- 411، وأيضا، ابن بطوطة، الرحلة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق وتقديم وتعليق علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1985، ص 17.

([5]) بودواية مبخوت ، المرجع السابق، ص 77.

وإلى جانب دورها التعليمي، كانت الزاوية تؤدي خدمات اجتماعية لأهل القرية أو البلدة، فقد كانت تؤسس من قبل أهل الخير ورجال الطرق الصوفية أو كبار رجال الدولة ومن أموالهم الخاصة[1]، أو تنشأ من قبل جماعة، يوقفون عليها أوقافا لتغطية نفقاتها، وكان يعرف القائم على رعايتها وإدارتها بالناظر والذي كان مكلفا بتلقين الأتباع أسرار الطريقة، ويقرأ معهم الأوراد الخاصة بها[2]. إضافة إلى الوعظ والإرشاد لبث الروح الدينية في نفوسهم، وتعليمهم وتربيتهم التربية الدينية[3].

وقد اشتهر المغرب الأوسط بالعديد من الزوايا والأضرحة، لاسيما بعد انتشار التصوف، وكثرة رجاله، بعد أن صارت الزاوية تنافس المدرسة والكتاب في التعليم ولعل من أشهر هذه الزوايا نذكر:

- زاوية أبي يعقوب التي أنشأها السلطان أبو حمو موسى الثاني على ضريح والده[4].
- زاوية سيدي الحلوي، التي أنشأها أبو عنان شمال المدينة.
- زاوية أبي زيد .
- زاوية سيدي أبي مدين بالعباد[5].
- زاوية سيدي السنوسي[6] وزاوية أحمد الغماري وزاوية عين الحوت[7].
- زاوية أبي عبد الله، وهو من أشهر الأعلام، أسس زاوية وألزم كل من يدخلها أن يكون سلوكه وفق السنة والسلف الصالح، كما فرض عليهم سلوكا معينا في المأكل والملبس[8]، وزاوية ابن البناء بتلمسان.

([1]) بودواية مبخوت،المرجع السابق،ص77.

([2]) نفسه ،الصفحة نفسها.

([3]) فرج محمد فرج ، الدور الحضاري للإقليم التواتي في إفريقيا السوداء، ملتقى الدراسات الإسلامية والعربية في القارة الإفريقية، أدرار، ص 62.

([4]) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 127، وأيضا، ابن مريم، المصدر السابق، ص 68، وأيضا، عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى ، ص 182 – 183.

([5]) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 203، وأيضا، التنسي، المصدر السابق، ص 256.

([6]) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص 40.

([7]) نفسه، ص 264.

([8]) عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 149.

أما الجزائر فكانت هي الأخرى تضم العديد من الزوايا والأضرحة والقباب المقامة على الأولياء الصالحين منها: زاوية وضريح عبد الرحمن الثعالبي وزاوية عبد القادر الجيلاني(1)، كما اشتهرت وهران بزاويتين: زاوية سيدي الهواري، وزاوية الولي الصالح إبراهيم التازي نزيل وهران(2).

وقد اختلف بناء الزاوية عن المساجد والمدارس، فقد كانت في الغالب قصيرة الجدران منخفضة القباب والعرصات، قليلة النوافذ(3).

2- أصناف العلوم النقلية والعقلية :

كانت الدعوة الموحدية تحمل في طياتها بذور نهضة علمية حقيقية، كما ذكرنا سابق ولعل ذلك راجع إلى ما بذله خلفاء الموحدين من جهود كبيرة لنشر تعاليم الإسلام في سائر الأنحاء، وبين مختلف الفئات(4)، فتركوا بذلك موروثا حضاريا وفكريا هاما كان بمثابة اللبنة الأولى التي اعتمدها ورثتهم، وبذلك لم تكن الفترة التي تلتها تختلف عن سابقتها، حيث استمرت الحركة الثقافية مزدهرة منذ مطلع القرن السابع الهجري، بفضل السياسة الجديدة التي اتبعتها هذه الدويلات الناشئة ونظرتها إلى العلوم على اختلافها(نقلية وعقلية)(5).

إذ انتشرت هذه العلوم عبر أرجاء المغرب الأوسط لتصل إلى المغربين الأدنى والأقصى ولتشمل مختلف مجالات والميادين وتعرف تقدما وتنوعا ملحوظا، حيث ومع ظهور الدولة الزيانية دخل المغرب الأوسط عهدا حافلا بالأمجاد، خاصة بعدما تظافرت عدة عوامل أدت إلى ازدهار الحياة الفكرية التي ساهمت فيها بشكل كبير عناية ملوك بني زيان بالعلم والعلماء(6) طيلة ما ينيف عن ثلاثة قرون، نتيجة المنافسة الشديدة التي كانت

---

(1)أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص 263.

(2) ابن مريم، المصدر السابق، ص 238، وأيضا، محمد المنوني، الشيخ إبراهيم التازي نموذج بارز للتبادل الثقافي بين المغربين (ق9هـ/ 15م)، مجلة الثقافة، السنة السادسة، العدد 91، يناير - فبراير، 1986، ص 159.

(3) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 269.

(4) عبد الحميد حاجيات وآخرون، الجزائر في التاريخ، ج3، ص 437.

(5) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 226.

(6) كان منهم الفقيه والشاعر والأديب والفنان مثل السلطان أبي تاشفين الأول الذي كان مولوعا بالفن والعمران، والأمير الفقيه أبي محمد عبد الله بن عثمان بن يغمراسن المعروف بابن أبي حفص، والشيخ الفقيه أبي سليمان داوود علي كبير=

قائمة بينهم وبين ملوك المغرب الإسلامي عامة في شتى العلوم[1]، وعنايتهم بإنشاء المؤسسات العلمية وتقريبهم من العلماء وإجراء الأرزاق عليهم واستدعاء بعضهم من المشرق والأندلس وباقي أنحاء المغرب الإسلامي للاستفادة منهم، إضافة إلى ما وفد من علماء الأندلس الفارين من الاضطهاد المسيحي، والذين استقروا في المغرب الأوسط يدرسون ويتدارسون ما جلبوا معهم من مصنفات هامة في مختلف العلوم، كلها عوامل ساهمت في ازدهار الحياة الفكرية والثقافية وتنوع العلوم[2]، بعد أن أقبل العلماء على التأليف والكتابة في شتى المجالات، فظهرت العديد من المؤلفات والتصانيف، واشتهر العديد من العلماء الموسوعيين والمتخصصين، فعمَّت مدينة تلمسان نهضة فكرية أتيحت فيها الفرصة للحوار والمناظرة والتعمق في البحث والإقبال على دراسة مختلف المؤلفات حتى صارت المدينة في عهد بني زيان من المراكز التي تستقطب الطلاب وأهل العلم. ورغم الحياة السياسية القلقة التي عاشتها المدينة في بعض المراحل من تاريخها الزياني، والتي سببتها الفتن الداخلية أو الحملات المرينية والحفصية المتكررة، فقد ظلت المدينة تحافظ على مكانتها العلمية حتى في أحلك ظروفها السياسية ولم يؤثر ذلك بشكل مباشر على الحياة العقلية أو يعرقل نموها المطرد في مختلف العلوم[3].

2-1- العلوم النقلية:

أ- العلوم الدينية: (التفسير، الحديث، الفقه والتصوف)

غلب على المغرب الأوسط في العهد الزياني الطابع الديني، فتميز هذا العصر بتأثير الدين على الحياة الفكرية، ولذلك وجه الفقهاء والعلماء اهتمامهم بهذه العلوم، التي عرفت تطورا وازدهارا كبيرا، خاصة في التفسير والحديث والفقه، فكثر المشتغلون بها، لا سيما وأنها كانت تمكن الطلبة من الحصول على وظائف هامة في القضاء والدواوين الإدارية

= بني عبد الواد وشيخ دولتهم، والفقيه أبي عبد الله محمد بن السلطان أبي يحيى يغمراسن المعروف بابن شانشة والأديب الشاعر السلطان أبي حمو موسى الثاني، والسلطان أبي زيان محمد الثاني وغيرهم، راجع في ذلك، يحيى بن خلدون المصدر السابق، ج1، ص 216، وأيضا، التنسي، المصدر السابق، ص ص 171- 211.

([1]) محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 396.

([2]) عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 232، وأيضا، عبد الحميد حاجيات وآخرون، المرجع السابق، ص 437، وأيضا، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 318- 319.

([3]) عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 319.

وغيرها من المناصب ، بالإضافة إلى أنها من العلوم المحمودة التي يقبل عليها الناس، حتى تصح عبادتهم وتستقيم معاملاتهم[1].

ولهذا الغرض فقد خصصت الدولة مجالس للتفسير والفقه والوعظ والذكر، فكان القرآن الكريم على رأس هذه العلوم حيث اهتم أهل تلمسان بدراسته وحفظه وتفسيره باعتباره المصدر الأول لتشريعهم، فكانوا يدرسونه في الكتاتيب والمساجد والمدارس[2] إضافة إلى دراسة بعض المصنفات كــ " أنوار التنزيل " للبيضاوي، و " الكشف والبيان " لأبي إسحاق أحمد بن محمد التغلبي و" أحكام القرآن " لأبي الحسن علي بن محمد الطبري ، و" الكشاف عن حقائق التنزيل " لأبي القاسم محمد الزمخشري ، و " التهذيب " للبيهقي، وكتاب " التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل " لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي[3].

*** في الحديث:**

- كتاب الموطأ للإمام أبي عبد اله مالك بن أنس (ت 179هـ).
- جامع البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت 252هـ).
- مسند مسلم لمسلم بن الحجاج (ت 261هـ) .
- سنن أبي داود لأبي داود السجستاني (ت275هـ).
- جامع الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت 279هـ).
- التمهيد والاستذكار لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري (ت 462هـ).
- المنتقى للقاضي أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت 474هـ).
- المختار الجامع بين المنتقى والاستذكار لأبي عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان التلمساني[4].

دون إهمال المصدر الثاني في التشريع وهو الحديث الذي لقي نفس الاهتمام من أهل تلمسان، حيث توسعوا في دراسة السنة النبوية، وكانوا يعقدون لعلم الحديث مجالس

---

(1) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج1، دار الثقافة، الجزائر، 1991، ص 26- 27.

(2) عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 437- 438.

(3) للمزيد من المعلومات انظر، عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص 786- 788، وأيضا، الغبريني، المصدر السابق، ص 25- 26.

(4) الغبريني، المصدر السابق، ص 26.

عديدة بعد صلاة الصبح يحضرها الشيوخ والطلبة وعامة الناس[1]، فكان القراء يحتفلون بختمة قراءة كتب الصحاح، أما عن الفقه وأصوله فلم يكن اهتمامهم به أقل من العلوم الدينية الأخرى غير أنهم اقتصروا عموما على اتباع مذهب مالك بن أنس لأن رحلتهم كانت تتجه نحو الحجاز أكثر من غيره، وهو غاية سفرهم لأداء فريضة الحج، فكانوا يميلون إلى مذهب الحجاز مهد السنة النبوية[2].

فارتحل بذلك العديد من علماء تلمسان كغيرهم من علماء المغرب والأندلس إلى الحجاز فتتلمذوا مباشرة على علمائها، كما صنفوا عددا هائلا من الكتب في هذا المجال يعتمد عليها الطلاب والدارسون في أبحاثهم، ويستند إليها الفقهاء في فتاويهم والقضاة في أحكامهم.

وقد اعتمد أهل تلمسان في تدريسهم لهذه العلوم الدينية على العديد من أمهات المصادر والكتب ، ولعل أشهر الكتب تداولا في هذه العلوم نذكر :

*** في التفسير:**

- " الوجيز في شرح كتاب الله العزيز " لأبي محمد بن عبد الحق بن عطية الأندلسي و" لامية الشاطبي" و" تفسير ابن عطية ".

*** في الفقه وأصوله:**

- كتاب المدونة والمختلطة لسحنون عبد السلام بن سعيد.
- التهذيب لأبي سعيد البرادعي.
- كتاب التفريغ لأبي القاسم عبيد الله بن الحسين بن الحسن بن الجلاب البصري القرطبي.
- كتاب الواضحة لعبد الله بن حبيب القرطبي (ت 233هـ).
- كتاب الرسالة لابن أبي زيد القيرواني (ت 376هـ).
- كتاب التلقين للقاضي أبي محمد عبد الوهاب (ت 422هـ).
- كتاب المقدمات لأبي الوليد محمد بن أحمد بن راشد (ت 520هـ).
- كتاب التبصرة لأبي الحسن اللخمي.

---

(1) عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 442.

(2) عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص 805.

- كتاب الطرطوشي (ت 520هـ).
- كتاب الإمام القاضي أبي بكر محمد بن العربي (ت 453هـ).
- كتاب الإمام القاضي عياض بن موسى (ت 455هـ).
- كتاب الإمام أبي عبد الله محمد بن علي المازري (ت 536هـ).[1]
- كتاب الإمام أبي أحمد بن علي الخطيب الباقلاني (ت 501هـ).
- كتاب الإرشاد لأبي المعالي.
- كتاب المستضحى للإمام أبي حامد الغزالي (505هـ).
- كتاب المسند الكبير للإمام أحمد بن حنبل (ت 242هـ).
- كتاب الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (ت 420هـ).[2]

ومن أشهر علماء هذا العهد في هذه العلوم نذكر:

1- أبو إسحاق التنسي:

هو إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي المطماطي، نشأ بتنس وتوجه إلى بجاية لطلب العلم، ثم رحل إلى المشرق، فأخذ عن الكثير من العلماء أمثال: القرافي وابن دقيق العيد، وشمس الدين الأصبهاني، وسيف الدين الحنفي، وناصر الدين المشدالي، وقد برع أبو إسحاق في العلوم الدينية. وبعد هذه الرحلة عاد إلى مسقط رأسه، ولما استولى يغمراسن بن زيان على تنس استقدمه إلى تلمسان وطلب منه أن يقيم فيها للتدريس [3]، حيث استفاد منه عدد كبير من العلماء الذين كانوا يقصدون حلقاته العلمية بالمسجد الجامع، ومن تلامذته: أبو عبد الله بن مرزوق، جد الجد، وأبو عبد الله بن الحاج العبدري صاحب المدخل الذي قال عن شيخه أبو إسحاق في رحلته:"...كان الشيخ أبو إسحاق التنسي وأخوه فقيهين مشاركين في العلم مع مروءة تامة ودين متين ، وأبو إسحاق أسنها وأسناهما وهو ذو صلاح وخير، وكان شيخنا

([1]) الغبريني، المصدر السابق، ص 26- 27.

([2]) نفسه، ص 28.

([3]) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 181، وأيضا، التنسي ، المصدر السابق، ص 126- 127 وأيضا، العبدري، رحلة العبدري المسماة الرحلة المغربية، تحقيق أحمد جدو، مطبعة البعث، قسنطينة، ب ت، ص 11- 12، وأيضا الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص 15- 16، وأيضا، يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 114،وأيضا،عادل نويهص، معجم أعلام الجزائر، نشر مكتب النهار للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، 1971،ص 15.

الزين ابن المنير حفظه الله يثني عليه خيرا كثيرا ، وسألني عن الغرب فذكرت له قلة رغبة أهله في العلم فقال لي بلاد فيها مثل أبي إسحاق التنسي ما خلت من العلم، ولقيتهما بمصر وكان أبو الحسن لم يحج فحج معنا ..." [1].

ومن أشهر تآليف التنسي شرح كتاب " تلقين المبتدأ وتذكرة المنتهي " لأبي محمد عبد الوهاب المالكي في الفروع في عشرة أجزاء، وقد ضاع أثناء الحصار الطويل[2]، وتوفي أبو إسحاق سنة 680هـ بتلمسان[3] ودفن بالعُبَّاد[4].

2- أبو عبد الله محمد بن أبي مرزوق[5] التلمساني:

ولد سنة 629هـ، فقيه محدث وولي من الأولياء الصالحين، أخذ العلم عن أبي زكريا يحيى بن محمد بن عصفور العبدري، وأبي إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي وأبي عبد الله الكفيف، وأبي عبد الله المالقي والفقيه أبي عبد الله محمد بن اللجام، والفقيه أبي زيد اليزناسي، وكلهم ممن أنجبتهم تلمسان، توفي في أوائل رجب سنة 681هـ، دفنه يغمراسن بن زيان في دار الراحة من الجامع الأعظم، وكان يغمراسن قد أوصى بدفنه بجواره تبركا به[6].

3- أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن يخلف التلمساني: ولد بتلمسان سنة 609هـ ونشأ بها ودرس على يد علمائها، ثم رحل إلى سبتة طلبا للعلم، فاستقر بها إلى أن

---

(1) التنبكتي، المصدر السابق،ج1، ص 21، وأيضا، العبدري، المصدر السابق، ص 11- 12.

(2) ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 66- 68.

(3) الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص ص 18- 20، وأيضا، العبدري، المصدر السابق، ص 11، وأيضا، ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 35- 37ن وأيضا، التنسي، المصدر السابق، ص 127، وأيضا، يحيى بن خلدون المصدر السابق، ج2، ص 14.

(4) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 114، وأيضا، التنسي، المصدر السابق، ص 126- 127.

(5) ينحدر ابن مرزوق من عائلة عريقة أصلها من القيروان، هاجرت إلى تلمسان واستقرت بها عندما نزل بنو هلال بالمنطقة خلال القرن الخامس الهجري، اشتهر منها العديد من العلماء الذين عرفوا بالورع والتقوى وحبهم للعلم، مما أكسبهم مكانة اجتماعية وثقافية ممتازة، ذاع صيتها عبر أنحاء المغرب الإسلامي، للمزيد من المعلومات انظر، محمد بن مرزوق ، المسند الصحيح، ص 15-17، وأيضا، نصر الدين بن داود ، أسرة المرازقة ودورها الثقافي بتلمسان من القرن 7 إلى 10 الهجري، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2004، ص ص 2- 5.

(6) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 114، وأيضا، ابن مريم، المصدر السابق ، ص 226، وأيضا التنبكتي، المصدر السابق، ج1، ص 151.

توفي سنة 690هـ، اشتهر هذا العالم الفرضي بأرجوزته في الفرائض والتي ألفها سنة 630هـ، وعمره لا يتجاوز 21 سنة[1].

4- أبو الحسن التنسي:

شقيق أبي إسحاق السالف الذكر، تولى التدريس بعد وفاة أخيه بالمسجد الجامع إلى سنة 696هـ، حيث انتقل إلى المسجد الذي شيده السلطان أبو سعيد عثمان الأول، نال حظوة كبيرة عند يغمراسن بن زيان ثم عند ابنه أبو سعيد عثمان، من تلاميذه أبو عبد الله الآبلي. ولما حاصر أبو يعقوب المريني تلمسان خرج أبو الحسن التنسي إليه فاستقبله بحفاوة وبقي في بلاطه إلى أن توفي سنة 706هـ، حيث شهد السلطان أبو يعقوب جنازته، ودفن بالعباد بالقرب من ضريح الولي الصالح أبي مدين شعيب[2].

5- ابني الإمام: أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى ابنا محمد بن عبد الله.

أبو زيد هو أكبر ابني الإمام، أصلهما من برشك، كان أبوهما إماما بأحد مساجد هذه المدينة، ولما استولى زيري بن حماد المكلاني المعروف بزيرم على برشك سنة 683هـ/ 1244م، قتل الإمام فاضطر ولداه إلى مغادرة المدينة باتجاه تونس طلبا للعلم حوالي سنة 700هـ، فدرسا العلوم الدينية على تلامذة ابن زيتون، وأبي عبد الله بن شعيب الدكالي، ثم عادا إلى المغرب الأوسط[3] بحظ وافر من العلم خول لهما التدريس بالجزائر ثم بمليانة، حيث اتصلا بأحد عمال بني مرين ويدعى منديل بن محمد الكناني ضابط جباية بني مرين والذي عرف منزلتهما في العلم فقربهما منه واتخذهما لتدريس ولده ثم استعملهما على رأس القضاء بمليانة.

([1]) عبد الحميد حاجيات وآخرون، الجزائر في التاريخ، ج3، ص 440، وأيضا، عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد 26، جويلية- أوت، 1975، ص 140، وأيضا، نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص 25- 30.

([2]) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 114-115، وأيضا، ابن مريم، المصدر السابق، ص 28- 29 وأيضا، العبدري، المصدر السابق، ص 11، وأيضا، عبد الحميد حاجيات، الجزائر في التاريخ، ج3، ص 440، وأيضا، عبد الحميد حاجيات، مجلة الأصالة، ص 140.

([3]) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 130، وأيضا، التنسي، المصدر السابق، ص 139.

وعقب مقتل السلطان أبي يعقوب المريني وانتهاء الحصار، قدما إلى تلمسان صحبة الكناني أيام السلطان أبي حمو موسى الأول الذي أثنى عليهما وأكرم منزلتهما، فابتنى لهما المدرسة المعروفة باسمهما، وبجوارها دارين للسكن واختصهما بالفتوى والاستشارة وضمهما إلى خاصته وأعيانه، فأقاما هناك يدرسان وانهال عليهما طلاب العلم من كل صوب؛ وبعد وفاة أبي حمو موسى الأول عاش ابنا الإمام في كنف ابنه أبي تاشفين الأول الذي بالغ في إكرامهما وتقديرهما، إلى أن استولى أبو الحسن المريني على تلمسان سنة 737هـ، فتقرب منهما حتى صار لا يفارقهما، إذ صحباه وحضرا معه معركة طريف بالأندلس أواخر سنة 740هـ ثم عادا إلى تلمسان، حيث توفي أبو زيد بها سنة 743هـ، وقد كان لهذا الأخير منزلة سامية لدى ملوك بني زيان وبني مرين، فحظي برئاسة العلماء في مجالسهم، وأخذ عنه الكثير من العلماء الأجلاء أمثال: الآبلي وأبو عبد الله المقري، والخطيب بن مرزوق الجد، وأبو عثمان سعيد العقباني، وأبو عبد الله اليحصبي، وأبو عبد الله الشريف التلمساني وغيرهم كثير، ومن تآليفه:" شرح على مختصر ابن الحاجب الفرعي".

وبوفاة أبي زيد ازداد مقام أخيه رفعة عند السلطان أبي الحسن المريني فعاش أبو موسى عزيز الجانب مكرما يتصدر مجالسه العلمية، ثم صحبه إلى تونس، حيث أذن له بالرجوع إلى بلده بعدما انتشر الطاعون بإفريقية، ولكنه توفي بعد عودته بقليل سنة 749هـ/ 1349م[1].

6- عبد العزيز بن عمر بن مخلوف أبو محمد والمكنى بأبي فارس:

هو فقيه محدث من أهل تلمسان ولد بها سنة 603هـ، انتقل إلى بجاية، وأخذ فيها عن بعض علمائها كأبي الحسن الجدالي وأبي بكر بن محرز، وأبي العباس الملياني وأبي زيد اليزناسي، وأبي الحسن بن أبي نصر وغيرهم، تولى القضاء في كل من قسنطينة وبسكرة والجزائر، فكان ميمون النقيبة في التفهم، درس عليه العلم

(1) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 130، وأيضا، التنبكتي، المصدر السابق، ج1، ص ص 139- 142 وأيضا، ابن مريم، المصدر السابق، ص 123- 124، وأيضا، المقري، المصدر السابق، ج7، ص ص 142- 147 وأيضا، عبد الرحمن بن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، تحقيق وتعليق محمد بن تاويت الطنجي، نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1951، ص ص 22- 47، وأيضا، عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى 44- 46، وأيضا، عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص ص 152- 156، و أيضا، الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1973، ص ص 109- 111.

خلق كثير وانتفعوا به، ومن بينهم : أبو العباس أحمد الغبريني صاحب كتاب " عنوان الدراية " توفي بالجزائر في 12 جمادى الثانية سنة 686هـ[1].

7- أحمد بن الحسن بن سعيد المديوني التلمساني:

فقيه مالكي ومحدث نشأ بتلمسان فأخذ عن أعلام عصره أمثال أبي زيد عبد الرحمن وأبي موسى عيسى ابني الإمام، وهو جد ابن مرزوق الحفيد لأمه، رحل إلى المشرق طلبا للعلم، فاستمع إلى جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني ولقي أبا حيان التوحيدي، وأبي جعفر بن الزبير الذي أجازه، وبعد عودته إلى تلمسان عينه أبو الحسن المريني على الزكوات وسماع الشكاة، كما ولي قضاء تلمسان في عهد أبي عنان ، واستمر عليه إلى أن توفي سنة 768هـ[2]، قال عنه حفيده ابن مرزوق :" جدي هذا قاضي تلمسان، كان فقيها محدثا صالحا عادلا ".

8- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي[3] التلمساني الشهير بالخطيب وكنيته شمس الدين:

ولد بتلمسان أواخر سنة 711هـ[4] ونشأ بها حيث تعلم مبادئ العلوم التي أخذها عن علمائها أمثال: أبي زيد عبد الرحمـن بن يعقوب بن علي وابني الإمام، وأبي عبد الله بن هدية القرشي، وأبي عثمان سعيد بن علي المعروف بابن إسحاق الخياط وأبي محمد المجاصي والآبلي ، وأبي علي حسن بن يحيى الحسن.

وفي سنة 718هـ ارتحل إلى المشرق مع والده حيث أقام بالحجاز مدة، ثم عاد إلى القاهرة فأخذ بها على برهان الدين الصفاقصي[5].

([1]) الغبريني، المصدر السابق، ص 91- 92، وأيضا، التنبكتي، المصدر السابق، ج2، ص 156، وأيضا، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص ص 36- 38.

([2]) التنبكتي، المصدر السابق، ج1، ص 54.

([3]) نسبة إلى قبيلة عجيسة البربرية التي استقرت أواخر القرن الثامن الهجري جنوب بجاية في ضواحي قلعة بني حماد، انظر في ذلك، المسند ،ص 15.

([4]) ابن الخطيب ، الإحاطة،ج2، ص 130، وأيضا، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 115.

([5]) التنسي، المصدر السابق، ص 184، وأيضا، ابن الخطيب، الإحاطة،ج2، ص 104، وأيضا، يحيى بن خلدون المصدر السابق، ج1، ص 115.

وبعد عودته إلى المغرب الأوسط سنة 735هـ وجد السلطان أبو الحسن المريني محاصرا لتلمسان، وهو الذي شيد بها مسجد العباد وكان عمه محمد بن مرزوق خطيبا فيه، وبعد وفاة عمه ولاه السلطان خطابة المسجد، حيث نال حظوة كبيرة عنده حتى صار من المقربين منه، وجعله يلازم العلماء والفضلاء والأكابر وحضر معه معركة طريف، حيث بعثه السلطان أبو الحسن للتفاوض مع ملك قشتالة من أجل تحرير ابنه أبي عمر تاشفين من الأسر، وقد استطاع الخطيب إبرام الصلح بين السلطان أبي سعيد الزياني والسلطان أبو الحسن المريني، الأمر الذي دفع بأبي ثابت الزياني إلى إلقاء القبض عليه وسجنه[1]. وبعد الإفراج عنه تولى ابن مرزوق الخطابة بمسجد الحمراء بغرناطة، وفي سنة 754هـ استدعاه السلطان أبو عنان في مهمة إلى تونس ووشى به إلى السلطان فسجنه مدة ثم أطلقه قبل موته.

وفي عهد السلطان أبي سالم المريني عظم نفوذ ابن مرزوق مما أثار حقد رجال الدولة ضده، حيث بعد الإطاحة بأبي سالم المريني من قبل وزيره عمر بن عبد الله سنة 762هـ سجن ابن مرزوق وكاد يقتل لولا أن أطلق سراحه الوزير عمر فرحل بعدها إلى تونس سنة 766هـ، ونزل على السلطان أبي إسحاق الحفصي فأكرم وفادته وولاه خطابة جامع الموحدين، والتدريس ببعض المدارس، وفي سنة 722هـ ارتحل إلى المشرق فنزل بالإسكندرية ثم بالقاهرة، فاتصل بالسلطان الأشرف فأكرم مجلسه وولاه التدريس وقضاء المالكية، واستقر ابن مرزوق بالقاهرة إلى أن توفي بها سنة 781هـ، ومن أشهر تلاميذه: أبو إسحاق الشاطبي وابن قنفذ القسنطيني، ولسان الدين ابن الخطيب وغيرهم[2].

([1]) لما كان ملك بني زيان لأبي سعيد عثمان الثاني وأخيه أبي ثابت، كلف الأول ابن مرزوق الخطيب بمهمة سرية كسفير له قصد المصالحة بينه وبين السلطان أبي الحسن المريني بمدينة الجزائر دون مشورة أخيه، فلما علم أبو ثابت بالخبر أنكر على أخيه فبعث بمن يلقي القبض على ابن مرزوق فسجنه مدة ثم أفرج عنه، راجع في ذلك، الأخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 145.

([2]) للمزيد من المعلومات راجع ترجمة ابن مرزوق الخطيب، عند يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 115 وعبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص ص 242- 248، وأيضا، المقري، المصدر السابق، ج5، ص 390- 418، وأيضا ، ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 184- 190، وأيضا، التنبكتي، المصدر السابق، ج1، ص ص 272- 276، وأيضا، السلاوي، المصدر السابق ،ج4، ص 26، وأيضا، ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 57، وأيضا، المسند، ص 22- 47.

ومن تآليفه: " عجالة المستوفر والمستجاز في ذكر من سمع من المشايخ دون من أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز "، و" تيسير المرام في شرح عمدة الأحكام "، في خمسة أجزاء، وشرح على بن الحاجب الفرعي عنوانه " إزالة الحاجب على رفع بن الحاجب " و شرح على " الأحكام الصغرى لعبد الحق الإشبيلي وشرح الشفا بتعريف حقوق المصطفى" للقاضي عياض لم يكمله[1]، و " تحفة الطرف إلى الملك الأشرف " و " شرح البردة "، و " شرح صحيح البخاري " و " المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن "[2]، و" كتاب الإمام"، و " إيضاح المرشد فيما تشتمل عليه الخلافة من الحكم والفوائد " و " ديوان خطب وقصائد " و " كتاب في التنجيم " و " جني الجنين في فضل الليلتين القدر والمولد " و " الأربعين المسندة في الخلافة والخلفاء "، وكتاب جمع فيه ما قيل في الصبر.

9- أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحي بن عبد الرحمن القرشي الشهير بالمقري[3]:

ولد ونشأ بتلمسان ، أخذ عن كبار علمائها أمثال ابني الإمام وأبو موسى عمران المشذالي، والقاضي ابن عبد النور وأبو عبد الله التميمي ومحمد المجاصي وابن النجار، ومنصور بن هدية وغيرهم، ولما احتل أبو الحسن المريني تلمسان سنة 737هـ جلب معه جمعا من علماء فاس، فأخذ عنهم المقري الحديث واللغة العربية والفقه والفرائض أمثال: أبي محمد عبد المهيمن الحضرمي، والسطي والآبلي وغيرهم[4]، ثم رحل بعدها إلى بجاية فلقي بها عددا من العلماء أمثال: أبا عبد الله محمد بن يحي الباهلي المعروف بابن المسفر، ثم توجه نحو تونس فأخذ عن ابن عبد السلام، وعن عبد الله بن هارون والشيخ الصوفي أبي الحسن المنتصر وابن الجياب، وغيرهم، ثم عاد إلى تلمسان، ومنها إلى فاس فأخذ عن علمائها كأبي زيد

---

(1) الإحاطة، ج2، ص 126.

(2) المسند ، ص ص 48- 50.

(3) المقري نسبة إلى مقرة القريبة من قرى زاد إفريقيا، سكنها أجداده ثم ارتحل منها جده إلى تلمسان صحبة الشيخ أبي مدين.

(4) ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 154- 160، وأيضا، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 121.

عبد الرحمن بن عفان الجزولي وأبي العباس المكناسي ثم انتقل إلى سبتة ومنها عاد إلى تلمسان، ليرتحل مرة أخرى إلى المشرق، حيث لقي بمصر أبا حيان النحوي وشمس الدين الأصبهاني وابن عدلان وأبي محمد المنوفي(1).

وفي سنة 744هـ توجه إلى مكة لأداء فريضة الحج، حيث لقي هناك أبا عبد الرحمن التوزري وأبا محمد عبد الوهاب الجابرتي، ومن المدينة توجه نحو الشام حيث التقى بابن قيم الجوزية، وصدر الدين المالكي الغماري وغيرهما، ثم توجه إلى بيت المقدس فلقي بها أبا عبد الله بن المثبت وشمس الدين بن سالم، ثم عاد إلى المغرب ومنه إلى الأندلس، ليعود مرة أخرى إلى المغرب الأوسط، ليصطحبه السلطان أبو عنان إلى فاس فولاه القضاء والتدريس إلى أن توفي بها سنة 759هـ فحمل إلى تلمسان مسقط رأسه ودفن بها.

ومن تآليفه: " القواعد "و " الحقائق والرقائق " و" التحف والطرف في غاية الحسن "، و" عمل من طب لمن حب " و " المحاضرات " ، و " شرح جمل الخونجي " لم يكمله ، من أشهر تلامذته : الشاطبي ، ولسان الدين بن الخطيب وعبد الرحمن بن خلدون، وابن زمرك، وأبو محمد بن جزي والقيجاطي، والحافظ بن علاق وغيرهم(2).

10- محمد بن عبد الله بن عبد النور الندرومي:

فقيه مالكي ينتسب إلى صنهاجة، أخذ العلم عن ابني الإمام، ولما احتل أبو الحسن المريني تلمسان قربه إلى مجلسه وولاه قضاء جيشه بإيعاز من ابني الإمام ظل ملازما لأبي الحسن المريني إلى أن توفي بمرض الطاعون بتونس سنة 749هـ(3).

---

(1) التنبكتي، المصدر السابق، ج1، ص ص 250 - 255، وأيضا، عادل نويهض، المرجع السابق، ص 180.

(2) لمزيد من المعلومات راجع: التعريف بابن خلدون، ص 853- 854، وأيضا، ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2 ص ص 136- 145، وأيضا التنبكتي، المصدر السابق، ج1، ص ص 250- 255، وأيضا، يحيى بن خلدون، المصدر السابق ، ج1، ص 121، وأيضا، عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني، ص 46- 48.

(3) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 121- 122، وأيضا، التنبكتي، المصدر السابق، ج2، ص 240 وأيضا، المقري، المصدر السابق، ج5، ص 235- 236.

11- أبو موسى عمران بن موسى المشذالي البجائي:

ولد سنة 670هـ ببجاية حيث نشأ وتلقى تعليمه بها على يد الشيخ ناصر الدين المشذالي، ثم انتقل إلى مدينة الجزائر، ومنها إلى تلمسان التي استقر بها بطلب من سلطانها أبي تاشفين عبد الرحمن الأول الذي قربه منه وأكرمه، فعينه مدرسا ومديرا للمدرسة التاشفينية[1]. اختص بالفقه والحديث والمنطق والفرائض والأصول، وكان من أعلم معاصريه بمذهب الإمام مالك، وحافظا لأقوال أصحابه وعرفانا بنوازل الأحكام في الفتيا[2].

من تلامذته: أبو العباس أحمد بن أحمد المشوش والفقيه أبو البركات الباروني والفقيه أبو عثمان العقباني، وأبو عبد الله الشريف والمقري الكبير وغيرهم، توفي سنة 745هـ، ولم يخلف آثارا تذكر في التأليف إلا ما نقل عنه الونشريسي من فتاوى في المعيار[3].

12- محمد بن الحسن بن محمد اليحصوبي المعروف بالباروني:

نشأ بتلمسان حيث أخذ العلم عن ابني الإمام والآبلي وعمران المشذالي ثم ارتحل إلى فاس، فأخذ بها على أبي الحسن الصغير، وأبي زيد الجزولي، ودرس الموطأ على الإمام المزداعي، وهو فقيه مالكي، توفي بتلمسان في شهر شوال سنة 734هـ[4].

13- أبو عثمان سعيد بن محمد بن محمد العقباني[5]:

ولد بتلمسان سنة 720هـ/ 1360م، وأخذ العلم عن ابني الإمام والآبلي والسطي، نبغ في العديد من العلوم العقلية والنقلية، حتى لقب برئيس العلماء والعقلاء بتلمسان[6]، تولى الخطابة بالجامع الأعظم، والتدريس بالمدرسة التاشفينية

---

(1) التنسي، المصدر السابق، ص 141، وأيضا، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 131.

(2) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 131.

(3) التنسي، المصدر السابق، ص141- 142، وأيضا، يحيى بن خلدون، المصدر السابق،ج1، ص130- 131، وأيضا المقري، المصدر السابق،ج7، ص ص 142- 148، وأيضا التنبكتي، المصدر السابق، ج1، ص ص108- 210.

(4) التنبكتي، المصدر السابق، ج2، ص 228.

(5) العقباني ، نسبة لعقبان وهي قرية من قرى الأندلس

(6) ابن مريم، المصدر السابق، ص 107.

بتلمسان[1]، كما تولى القضاء ببجاية أيام السلطان أبي عنان المريني، ثم نقل منها إلى قضاء مراكش[2]، وفي عهد أبي حمو موسى الثاني تولى قضاء وهران وهنين ثم قضاء تلمسان، واستمر قاضيا مدة تزيد عن الأربعين سنة، أخذ عنه جمع كثير منهم: ابنه قاسم العقباني وأبو الفضل بن الإمام، وابن مرزوق الحفيد، وإبراهيم المصمودي، ويحيى الشريف، وأبو العباس أحمد بن زاغو المغراوي، وبالإجازة الإمام النظار محمد بن عفان الجذامي، وغيرهم.

ومن مؤلفاته عدة شروح وتفاسير منها: " تفسير سورة الفاتحة " وتفسير سورتي الأنعام والفتح ، و "شرح البردة " ، وشرح الجمل للخونجي في المنطق، و " شرح الحوضي في الفرائض "، و " شرح أرجوزة ابن الياسمين في علم الجبر والمقابلة " و " شرح العقيدة البرهانية في أصول الدين" و شرح التلخيص لابن البناء، وشرح المختصر لابن الحاجب في الأصول[3]، توفي بتلمسان سنة 811هـ.

14- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن مرزوق الحفيد:

ولد بتلمسان سنة 766هـ/ 1354م، ونشأ بها ينهل العلم عن والده وعميه ابني مرزوق وعن علماء عصره كأبي إسحاق المصمودي وأبي الحسن الأشهب الغماري، وأبي محمد عبد الله بن الشريف التلمساني وسعيد العقباني، ثم ارتحل إلى تونس حيث لقي بها الإمام ابن عرفة وأبو العباس القصار، ثم توجه إلى المشرق فدخل مصر وأخذ عن أجلة علمائها كأبي السراج البلقيني والزين الحافظ العراقي والفيروز بادي صاحب القاموس، وابن هشام النويري صاحب النهاية، ومحيي الدين ابن هشام، والقاضي ناصر الدين التنسي وغيرهم، ثم عاد إلى موطنه[4].

---

(1) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 123.

(2) يحيى بن خلدون، المصدر السابق،ج1، ص 133، وأيضا، ابن مريم، المصدر السابق، ص 106، وأيضا، التنبكتي المصدر السابق، ج1، ص 204.

(3) ابن مريم،المصدر السابق ، ص 106- 107، وأيضا، التنبكتي، المصدر السابق، ج1، ص 204، وأيضا، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 133، وأيضا، عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 163- 164، وأيضا، عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى ، ص 170، وأيضا عبد الحميد حاجيات، الجزائر في التاريخ ، ج3، ص 443.

(4) التنسي، المصدر السابق، ص 14، وأيضا، التنبكتي، المصدر السابق، ج1، ص 179.

وفي سنة 790هـ التقى في مكة المكرمة بالبهاء الدماميني والنور العقيلي فاستمع إليهما وروى عن ابن الصديق صحيح البخاري، وفي حجته الثانية سنة 819هـ استمع إلى الإمام ابن حجر[1] ورضوان الزيني، وأجازه جماعة من العلماء منهم: أبو عبد الله القيجاطي، ومحمد على الحفار الأنصاري، وأبو القاسم محمد الخشاب والحافظ ابن علاق وغيرهم.

بلغ ابن مرزوق الحفيد مبلغا عظيما، حيث بلغت شهرته كل حدب وصوب لقوة اجتهاده وتواضعه لطلبة العلم، فذاع صيته حتى صار يدعى بشيخ الإسلام رحل إليه الكثير ينهلون من علومه، كابن العباس، ونصر الزواوي، والحسن آبركان، وأبي البركات الغماري، وعبد الرحمن الثعالبي، وعمر القلشاني، وأبي الفضل المشذالي، وشهاب الدين بن كحيل التجاني، وأبي العباس بن أبي يحيى الشريف قاضي الجماعة بغرناطة، وأخيه أبي الفرج، وإبراهيم بن فائد الزواوي، وأبي العباس أحمد بن عبد الرحمن الندرومي، وعلي بن ثابت وولده محمد بن مرزوق الكفيف، وأحمد بن يونس القسنطيني، وأبي الحسن القلصادي، وعيسى بن سلامة البسكري، والحافظ أبي عبد الله التنسي التلمساني، وغيرهم كثير[2].

أما تآليفه فقد ذكر منها أهل التراجم عددا كبيرا منها:

" المفاتيح المرزوقية لحل الأقفال واستخراج خبايا الخَزْرَجية " ، و " إسماع الصم في إثبات الشرف من جهة الأم "[3]، و " المفاتيح القرطاسية في شرح السقراطيسية" و " المعراج في استمطار فوائد الأستاذ ابن سراج " ، و جزآن في علم الحديث الكبير المسمى بالروضة جمع فيه بين الفتيا لابن ليون والعراقي، و " مختصر الحديقة " ، و " المقنع الشافي " ، و أرجوزة في الميقات 1700 بيت ، وأرجوزة ألفية في محاذاة الشاطبية وأرجوزة نظم بها تلخيص ابن البناء وأرجوزة بها جمل

([1]) قال عنه ابن حجر: " نعم الرجل معرفة بالعربية والفنون وحسن الخط والخلق والوقار، والمعرفة والأدب التام" انظر، نيل الابتهاج، ج1، ص 179، وأيضا، عادل نويهض، المرجع السابق، ص 290- 291.

([2]) التنسي، المصدر السابق، ص 14، وأيضا، التنبكتي،المصدر السابق، ج1، ص 180- 182، وأيضا، القلصادي، المصدر السابق، ص 96- 97.

([3]) التنبكتي، المصدر السابق، ج1، ص 180- 181، وأيضا، ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 206- 208، وأيضا، التنسي المصدر السابق، ص 14- 15، وأيضا، عادل نويهض، المرجع السابق، ص 291- 292.

الخونجي، ونهاية الامل في شرح الجمل، وشروحه الثلاثة على البردة الأكبر والأوسط والأصغر، وشرح صحيح البخاري المسمى " بالمتجر الربيع والسعي الرجيح والرحب الفسيح في شرح الجامع الصحيح "، وغيرها من المؤلفات الأخرى في المنطق والتفسير والحديث والأصول. توفي يوم الخميس 14 من شهر شعبان سنة 842هـ، ودفن بالجامع الأعظم بتلسمان[1].

15- أحمد بن حسن بن علي الخطيب بن قنفذ القسنطيني:

ولد سنة 740هـ، وهو والد ابن قنفذ صاحب الفارسية، أخذ عن العديد من العلماء كأبي علي حسن ابن أبي القاسم بن باديس، والإمام الشريف أبي القاسم السبتي، والإمام الشريف أبي عبد الله التلمساني، والشيخ الحافظ أبي عمران موسى العيدوسي والحافظ القباب، وابن مرزوق الجد، والإمام أبي عبد الله بن عرفة، والحافظ أبي محمد عبد الله الوانغيلي الضرير[2]، قضى حياته في التنقل ما بين بجاية وإفريقية والمغرب الأقصى والحجاز[3].

مكث بالمغرب الأقصى 18 عاما، حيث حصّل علما كثيرا إذ أخذ عن الشريف أبي القاسم السبتي وأخذ عنه وقال في وفاته بعد الثناء عليه: " ... فهو ممن يحصل الفخر بلقائه "[4].

من آثاره: شرح الرسالة في أسفار وشرح الخونجي في سفر صغير وشرح أصلي بن الحاجب، وشرح تلخيص ابن البنا وشرح ألفية ابن مالك، وأنوار السعادة في أصول العبادة في شرح بني الإسلام على خمس، وتيسير المطالب في تعديل الكواكب، وله كتاب بغية الفارض من الحساب والفرائض، وتحفة الوارد في

(1) التنبكتي، المصدر السابق، ج1، ص 304- 312، وأيضا، ابن مريم، المصدر السابق، ص 201- 214، وأيضا، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج7، القاهرة، 1953، ص 50- 51، وأيضا، القلصادي، المصدر السابق، ص 97، وأيضا، عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص ص 210- 215 وأيضا، الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص 117، وأيضا، عبد الحميد حاجيات، الجزائر في التاريخ، ج3، ص 443.

(2) نيل الابتهاج، ج1، ص 109.

(3) نيل الابتهاج، ج1، ص 110، وأيضا، عبد الحميد حاجيات ، الجزائر في التاريخ، ص 441.

(4) نيل الابتهاج، ج1، ص 110.

اختصاص الشرف من قبل الوالد ووسيلة الإسلام بالنبي، وأنس الفقير وعز الحقير في ترجمة الشيخ أبي مدين وأصحابه وغيرها [1]؛ توفي عام 810هـ.

16- أبو عبد الله محمد الشريف التلمساني(710- 771)هـ/ (1310- 1371) م[2]:

هو محمد بن أحمد بن علي بن يحيى من نسل الحسن بن علي بن أبي طالب، ولد بتلمسان سنة 710هـ، ونشأ بها شغوفا بطلب العلم، يتردد على المجالس العلمية أخذ عن ابني الإمام والآبلي[3]، ثم ارتحل إلى تونس سنة 740هـ، فلقي الشيخ ابن عبد السلام وأخذ عنه التصوف والحساب والهندسة والفرائض، ثم عاد إلى تلمسان ليمتهن التدريس، ولما استولى السلطان أبو عنان المريني عليها سنة 753هـ، ألحقه بمجلسه العلمي وأخذه معه إلى فاس، وبعد موت أبي عنان عاد إلى تلمسان في عهد أبي حمو موسى الثاني، حيث استقبله بحفاوة وابتنى له المدرسة اليعقوبية التي انقطع للتعليم بها، إلى أن وافته المنية ليلة الأحد 4 ذي الحجة سنة 771هـ/ 1370م[4] حيث أمر السلطان أبو حمو موسى بدفنه بجوار قبر والده تبركا به[5]. أخذ عنه جمع كبير من العلماء الأجلاء كعبد الرحمن بن خلدون، وابن السكاك والإمام الشاطبي وإبراهيم المصمودي وولده أبو محمد، وابن زمرك، وإبراهيم الثغري، والفقيه ابن محمد بن علي الميورقي وغيرهم.

من آثاره: كتاب في القضاء والقدر، وكتاب في أصول الفقه سماه " مفتاح الوصول في علم الأصول "، وشرح جمل الخونجي[6]؛ شهد له العديد من أجلة العلماء بغزارة علمه وتفقهه، فقال عنه عبد الرحمن بن خلدون : " الإمام العالم الفذ فارس المعقول والمنقول وصاحب الفروع والأصول أبو عبد الله الشريف" [7].

([1]) نيل الابتهاج، ج1، ص 110.

([2]) البستان، ص 179، وأيضا، عادل نوهيض، المرجع السابق، ص 269.

([3]) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 120، وأيضا، نيل الابتهاج، ج2، ص 88، وأيضا، البستان، ص 164- 165.

([4]) التعريف بابن خلدون، ص 64- 66، وأيضا، البستان، ص 166و أيضا، التنسي، المصدر السابق، ص 179.

([5]) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 120.

([6]) البستان، ص 164، وأيضا، نيل الابتهاج، ج2، ص 94- 95، وأيضا، المقري، المصدر السابق، ج5، ص 272.

([7]) التعريف بابن خلدون، ص 64.

أما يحي بن خلدون فقد قال عنه: " أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسيني أحد رجال الكمال علما ..."[1]، وقال عنه ابن مريم:" هو فارس المعقول والمنقول " كما وصفه ابن مرزوق الحفيد بشيخ الشيوخ وأعلم أهل عصره بإجماع[2].

17- أبو زيد الوغليسي[3]:

هو عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي البجائي، فقيه أصولي نشأ ببجاية وولي فيها الفتيا، أخذ عنه الكثير من علمائها كأبي الحسن علي بن عثمان وابن أبي القاسم بن محمد المشذالي، له عدة مؤلفات منها: الجامعة في الأحكام الفقهية في الفروع وتدعى الوغليسية، وله أيضا المقدمة المشهورة وفتاوى[4]، وصفه الشيخ محمد السعيد بن زكرياء الزواوي بأنه " الفقيه الأصولي المحدث المفسر، عمدة أهل زمانه وشيخ الجامعة في بجاية "[5].

18- أحمد بن محمد ابن عبد الرحمن الشهير بابن زاغو المغراوي التلمساني (782هـ- 845هـ/ 1380م- 1441م):

ولد سنة 782هـ[6]، أخذ عن أبي عثمان سعيد العقباني، وعن أبي يحيى الشريف[7]، وغيرهما من علماء تلمسان، فكان فقيها عالما مفتيا ومفسرا صوفيا عابدا، تصدر الإقراء والتدريس بالمدرسة اليعقوبية بتلمسان، كان ضليعا في علم التفسير والفقه والحديث والأصول، والبيان والحساب والفرائض والهندسة، عرف من تلامذته: ابن زكري وأبو زكرياء يحيى بن إدريس المازوني صاحب النوازل، والحافظ التنسي، وأبي الحسن القلصادي الذي ذكره في رحلته فقال: " شيخنا الإمام

---

(1) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص120.

(2) نيل الابتهاج، ج2، ص 87.

(3) ابن وغليس: بطن من بطون قبائل البربر في جنوب بجاية بأعلى وادي الصومام، انظر، عادل نويهض، المرجع السابق، ص 342.

(4) نيل الابتهاج، ج2، ص 270، وأيضا، عبد الحميد حاجيات وآخرون، الجزائر في التاريخ، ج3، ص 443، وأيضا، محمد الشريف قاهر ، عبد الرحمن الوغسيلي، معجم مشاهير المغاربة ، تنسيق أبو عمران الشيخ، تقرير ناصر الدين سعيدوني، إعداد فرقة البحث العلمي، جامعة الجزائر، 1995، ص 550.

(5) محمد الشريف، المرجع السابق، ص 550.

(6) عبد الحميد حاجيات وآخرون، المرجع السابق، ص 443.

(7) القلصادي، المصدر السابق، ص 102- 103، وأيضا، التنبكتي، المصدر السابق، ج1،، ص 123.

المنصف المدرس أعلم الناس في وقته بالتفسير وأفصحهم، فاق نظراءه وأقرانه في دلائل السبيل والمسالك إلى سبق في الحديث والأصول والمنطق، وقدم راسخة في التصوف مع الذوق السليم والفهم المستقيم، وبه يضرب المثل في الزهد والعبادة "[1].

ومن تآليفه: مقدمة في التفسير، وتفسير الفاتحة، ومنتهى التوضيح في عمل الفرائض، وشرح التلخيص لوالده، وغيرها من الآثار الهامة، والفتاوى "[2]. توفي ابن زاغو يوم الخميس 14 ربيع الأول سنة 845هـ/ 1441م[3].

19- عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي أبو زيد: الشهير بالثعالبي[4]:

هو أبو زيد بن محمد بن مخلوف، ولد سنة 768هـ ونشأ بناحية وادي يسر جنوب شرقي الجزائر، حيث أخذ تعليمه الأول، ثم ارتحل بعدها إلى بجاية سنة 802هـ، وأخذ عن علمائها أمثال: أبو العباس النقاوسي، وأبو الحسن البليلتي، وأبـو الحسن علـي بن عثمان المنجلاتي، وأبو الربيع سليمان بن الحسن، وعلي بن موسى، وأبو القاسم المشدالي[5] ، ثم ارتحل إلى تونس سنة 809هـ، فأخذ عن أجلة علمائها ومنهم: الإمام أبي عبد الله الآبي، والإمام أبي القاسم البرزلي، وأبي يوسف يعقوب الزغبي، وأبو مهدي عيسى الغبريني، ثم انتقل إلى مصر سنة 817هـ، فلقي بها ولي الدين العراقي، وعبد الله الباسطي، وغيرهما، ثم انتقل إلى تركيا ومنها إلى الحجاز، لأداء فرضية الحج، ومنها عاد إلى مصر سنة 819هـ، فلازم بها العلامة ابن مرزوق الحفيد الذي أجازه، كما استمع بها إلى أبي عبد الله القلشاني وعبد الواحد الغرياني ، وأبي القاسم العبدوسي الذين أجازوه وأثنوا عليه وأذنوا له بالتدريس والتأليف[6]؛ وعند عودته إلى المغرب الأوسط

([1]) رحلة القلصادي، ص 102- 103، وأيضا، نيل الابتهاج، ج1، ص 122، وأيضا، عادل نويهض، المرجع السابق، ص 156- 157.

([2]) نظم الدر، ص16، وأيضا، البستان، ص 42- 43، وأيضا، نيل الابتهاج، ج1، ص 123 -124، وأيضا، رحلة القلصادي، ص 106- 107، وأيضا، عادل نويهض، المرجع السابق، ص 156-157، وأيضا، عبد الحميد حاجيات، مجلة الأصالة، ص 147.

([3]) رحلة القلصادي، ص 107، وأيضا، نيل الابتهاج، ص 124، وأيضا، البستان، ص 43.

([4]) نيل الابتهاج،ج1، ص 282، وأيضا، عادل نويهض، المرجع السابق، ص 90.

([5]) نيل الابتهاج، ج1، ص 283، وأيضا،، عادل نويهض، المرجع السابق، ص 90.

([6]) نيل الابتهاج، ج1، ص 284.

تولى القضاء ثم استقال من منصبه وتفرغ للتدريس والتأليف[1]، حيث تخرج على يديه جمع كبير من الأعلام أمثال: محمد بن يوسف السنوسي وأخيه لأمه أبي الحسن علي التالوتي، والشيخ أحمد رزوق، ومحمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني وأحمد بن عبد الله الزواوي، وابن مرزوق الكفيف وغيرهم[2].

ترك الثعالبي ما يزيد عن تسعين مؤلفا في التفسير والفقه والحديث والتاريخ، نذكر منها: " الجواهر الحسان في تفسير القرآن "، و "الذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز " و "تزهة الأخيار في الفقه "، و "الدرر اللوامع في قراءة نافع "، و " الأنوار المضيئة في الجمع بين الشريعة والحقيقة "، و " الدر الفائق في الأذكار والدعوات "، و "المختار من الجوامع في محاذاة الدرر اللوامع "، و "شرح على مختصر ابن الحاجب الفرعي " و"جامع الأمهات في أحكام العبادات "، و " الإرشاد في مصالح العباد "، وكتاب "النصائح وجوامع الفوائد "، و " الأنوار ومصباح الظلام "، و "شرح مختصر خليل بن إسحاق " و" قطب العارفين في التصوف "، و" العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة"[3] وغيرها كثير.

توفي الثعالبي سنة 875هـ، ودفن بمدينة الجزائر، ولازال ضريحه مزارا إلى يومنا هذا[4].

20- قاسم بن سعيد العقباني:

أخذ العلم عن والده وغيره، تولى القضاء في تلمسان، وتخرج على يده جمع كبير من العلماء، منهم: حفيده محمد بن أحمد العقباني، وأبو عبد الله بن العباس التلمساني،وأبوزكرياء المازوني، وأبو العباس الونشريسي، والحافظ التنسي، وابن زكري،

([1]) عبد الحميد حاجيات وآخرون، المرجع السابق، ص ص 444.

([2]) لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 154.

([3]) نيل الابتهاج، ج1، ص 284- 285، وأيضا، السخاوي، المصدر السابق، ج4، ص 25، وأيضا عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص ص 280- 285، وأيضا، عادل نويهض، المرجع السابق، ص ص 88- 90 وأيضا، أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص 38- 39.

([4]) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 285، وأيضا، عبد الحميد حاجيات وآخرون، المرجع السابق ج3، ص 444، وأيضا، أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص 39.

له تعليق على مختصر ابن الحاجب الفرعي، وأرجوزة في التصوف. توفي سنة 854هـ[1].

21- أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني:

درس بتلمسان عن والده قاسم العقباني وعن غيره من علماء عصره، تولى قضاء تلمسان، توفي سنة 840هـ[2].

22- إبراهيم بن فائد بن موسى بن هلال الزواوي القسنطيني:

ولد بجبل جرجرة سنة 796هـ، أخذ عن أبي الحسن علي عثمان المنجلاتي ثم انتقل إلى تونس، فأخذ عن الآبي وأبي عبد الله القلشاني، ويعقوب الزغبي، وعبد الواحد الغربالي، ثم ارتحل إلى بجاية فأخذ العربية عن عبد العالي بن فراج، ثم دخل قسنطينة فأخذ الأصلين والمنطق عن أبي زيد عبد الرحمن الملقب بالباز، والمعاني والبيان عن أبي عبد الله القيسي، والفقه وباقي العلوم المتداولة عن ابن مرزوق الحفيد[3].

برع في جميع العلوم فخلف آثار هامة منها: شرح ألفية ابن مالك، وتفسير القرآن وتسهيل السبيل لمقتطف أزهار روض الخليل، وفيض النيل وتحفة المشتاق في مختصر خليل بن إسحاق... . توفي سنة 857هـ[4].

23- محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن مرزوق الحفيد الشهير بالكفيف:

ولد سنة 824هـ، أخذ العلم عن الكثير من العلماء، منهم والده الذي قرأ عليه الصحيحين والموطأ وغيرها[5]، ثم أخذ عن قاسم بن سعيد العقباني، وأبي الفضل بن إبراهيم بن زيد بن الإمام، وعبد الرحمن الثعالبي، وأبي محمد عبد الله أبي الربيع سليمان بن قاسم البحيري التونسي، ثم ارتحل إلى مصر فأجازه الحافظ أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، ومنها انتقل إلى مكة سنة 861هـ، فأخذ عن ابن ظهيرة الفقه وأصوله

([1]) عبد الحميد حاجيات وآخرون، المرجع السابق، ج3، ص 444.

([2]) نيل الابتهاج، ج1، ص 62، وأيضا، البستان، ص 51.

([3]) البستان، ص 51.

([4])البستان، ص 22، وأيضا، السخاوي، المصدر السابق، ص 111، وأيضا، الحفناوي، المرجع السابق ج2، ص5-6، وأيضا، عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 120 -121، وأيضا، عبد الحميد حاجيات، وآخرون، المرجع السابق، ص 444.

([5]) البستان، ص 250، وأيضا، عادل نويهض، المرجع السابق، ص 182- 183.

وغيرهما من العلوم، ثم عاد إلى المغرب الأوسط، حيث تتلمذ على يده عدد كبير من العلماء منهم: الإمام السنوسي صاحب العقائد، والونشريسي صاحب المعيار وأبي عبد الله محمد بن الإمام بن العابس، كما أخذ عنه بالإجازة بن غازي عالم فاس، وقد حفظ لنا المازوني عددا من فتاوى ابن الرمزوق الكفيف في كتابه " الدرر المكنونة في نوازل مازونة "، ولم يكن ابن مرزوق الكفيف كاتبا غزير الإنتاج كأسلافه، فالمصادر كثيرا ما تشير إلى عمل واحد له فقط، وهو شرح لكتاب أبيه المسمى " شرح مختصر الحاوي للفتاوى لابن أبي النور "[1]. توفي سنة 901هـ/ 1495هـ[2].

24- أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي التلمساني:

ولد سنة 834هـ، ونشأ بتلمسان، أخذ عن كبار شيوخها كأبي الفضل قاسم بن سعيد العقباني، وولده أبي سالم العقباني، وحفيده محمد بن أحمد بن قاسم العقباني، ومحمد العباس، وأبي عبد الله الجلاب وابن مرزوق الكفيف وغيرهم[3].امتهن التدريس بتلمسان بعد أن ألم بمختلف العلوم من فقه وبيان ونحو، ولعل أشهر الكتب التي كان يدرسها المدونة ومختصر ابن الحاجب الفرعي وغيرهما من أمهات الفقه المالكي[4].

وقد كان للونشريسي اهتمام ومشاركة في العديد من العلوم كالأصول، والفرائض والوثائق والتاريخ والشعر، كما تولى الفتوى بتلمسان، وفي أول شهر محرم سنة 874هـ وقعت له حادثة من جهة السلطان فانتهبت داره، ففر إلى فاس واستقر بها عالما وفقيها ومدرسا ومفتيا، حيث أخذ عنه الكثير من العلماء أمثال: أبي عمار بن مليح اللمطي والشيخ أبي زكرياء السوسي، والمحدث محمد بن عبد الجبار الورتيدي، والفقيه عبد السميع المصمودي، والفقيه محمد بن قاضي البلد الجديد الفرديس التغلبي[5].

من آثاره : " المعيار المعرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب " في 12 جزء، وتعليق على ابن الحاجب الفرعي، وكتاب " القواعد في الفقه "، و "الوثائق المسماة

([1]) البستان، ص ص 249- 251، وأيضا، نيل الابتهاج، ج1 ، ص 354- 355، وأيضا، المسند، ص 56- 57.

([2]) المسند، ص 16.

([3]) نيل الابتهاج، ج1، ص 144، وأيضا، البستان، ص 53، وأيضا، الاستقصا، ج4، ص 165، وأيضا، عادل نويهض، المرجع السابق، ص 334.

([4]) نيل الابتهاج، ج1، ص 144، وأيضا، البستان، ص 53.

([5]) نيل الابتهاج، ج1، ص 145، وأيضا البستان، ص 54.

بالفائق في أحكام الوثائق لم يكمله، وكتاب " الفروق في مسائل الفقه "، و "اختصار أحكام البرزلي "، و " إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك "، و "الوفيات "، و "نوازل المعيار في إضاءة الملك في الرد على من أفتى بتضمين الراعي المشترك "، و "المنهج الفائق " و" المنهل الرائق في أحكام الرقائق "، و " القصد الواجب في معرفة إصطلاح ابن الحاجب" و" الولايات في مناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية "، وكتاب في ترجمة محمد المقري الجد صاحب نفح الطيب، وغيرها من المؤلفات الهامة[1].

توفي الونشريسي بفاس عام 914هـ/ 1508م، حيث فقد المغرب الإسلامي بوفاته أحد أعلام الفقه ، قال عنه ابن مريم: " هو حامل لواء المذهب المالكي على رأس المائة التاسعة "[2].

25- محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي:

ولد سنة 832هـ/ 1428م بتلمسان ونشأ بها، أخذ بها عن أعلام عصره أمثال: أبو عبد الله الحباك، ومحمد بن أحمد الجلاب، والشريف أبو الحجاج يوسف بن أبي العباس بن محمد الشريف الحسني، والإمام أبي زيد الثعالبي الذي أجازه، وعن أبي الحسن القلصادي، وإبراهيم التازي صاحب وخليفة محمد الهواري مؤسس الزاوية بوهران، هو الذي ألبس السنوسي الخرقة الصوفية. تفوق السنوسي في مختلف العلوم العقلية والنقلية، حيث قال عنه المديوني: " كان جامعا بين الشريعة والحقيقة، متضلعا في علوم الظاهر أصولها وفروعها، منفردا بالعلوم الباطنية، وكان مبرزا في علم التوحيد والمعقول "[3].

من تآليفه : " عقيدة التوحيد وشرحها "، و" العقيدة الوسطى وشرحها "، و "العقيدة الصغرى وشرحها "، و "العقيدة المختصرة وشرحها "، و"المقدمات المبينة للعقيدة الصغرى "، و" شرح جواهر العلوم للعضد "، و" مختصر حاشية التفتزاني "، و" مختصر القراءات السبع "، و" شرح صحيح البخاري" ، و" تفسير سورة (ص) وما بعدها من

([1]) البستان، ص 53، وأيضا، نيل الابتهاج، ج1، ص 145، وأيضا، الاستقصاء، ج4، ص 165.

([2]) البستان، ص 53- 54، وأيضا الاستقصا، ج4، ص 165، وأيضا، نيل الابتهاج، ج1 ، ص 145، وأيضا، عادل نويهض، المرجع السابق، ص 49- 50 ، وأيضا، محمود بوعياد، المرجع السابق، ص 64.

([3]) البستان، ص ص 237- 248، وأيضا، أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص 87، وأيضا، محمود بوعياد المرجع السابق، ص 63، وأيضا، بودواية ميخوت، المرجع السابق، ص 113.

السور" ، و" شرح قصيدة الحباك في الإسطرلاب "، و" شرح مقدمة الجبر والمقابلة لابن الباسمين" .... وغيرها من التصانيف(1).

من تلامذته: أبو القاسم الزاوي وابن أبي مدين، وابن الحجاج، العبدري، وابن العباس الصغير ومحمد القلعي وغيرهم. توفي سنة895هـ/ 1490م(2).

26- موسى بن يحيى بن عيسى المازوني المغيلي أبو عمران:

فقيه مالكي ومن القضاة المشهورين، نشأ بمازونة وتعلم بها على يد الكثير من علماء عصره وهو والد أبي زكرياء يحيى المازوني صاحب الدرر المكنونة، له عدة مؤلفات منها: الرائق في تدريب الناشئ من القضاء وأهل الوثائق، وديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار، وحلية المسافر وآدابه وشروط المسافر في ذهابه وإيابه(3).

27- أبو زكريا يحيى بن موسى المازوني:

ولد ونشأ بمازونة حيث درس بها على يد والده ، وتولى قضاءها، ثم انتقل إلى تلمسان وأخذ بها عن ابن مرزوق الحفيد وقاسم العقباني وابن زاغو وابن العباس وغيرهم ، يعد من أكبر فقهاء المالكية في عصره ، اشتهر بمؤلفه: " الدرر المكنونة في نوازل مازونة " جمع فيه فتاوى المتأخرين من علماء تونس وبجاية وتلمسان والجزائر(4).

توفي المازوني سنة883هـ/ 1481م بتلمسان، وقبره فيها مشهور بحارة الرحيبة قرب باب الجياد(5).

28- علي بن محمد التالوتي (أخو الإمام محمد بن يوسف السنوسي لأمه):

من أكبر علماء عصره، تربى على يد أخيه الذي قرأ عليه الرسالة في صغره، كان من أصحاب أبي الحسن بن مخلوف الراشدي الشهير بأبركان، توفي سنة 895هـ 1490م(6).

(1) نيل الابتهاج،ج1، ص ص 253- 260، وأيضا، أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص ص 88-92، وأيضا، حاجيات وآخرون، المرجع السابق، ص 445، وأيضا، علي علواش، السنوسي التلمساني ، معجم مشاهير المغاربة، ص 294.

(2) محمود بوعياد، المرجع السابق، ص 63.

(3) نيل الابتهاج، ج2، ص 375، وأيضا، حاجيات وآخرون، المرجع السابق، ص 444.

(4) نيل الابتهاج، ج1، ص 392- 393، وأيضا، حاجيات وآخرون، المرجع السابق، ص 445، وأيضا، محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 437.

(5) نيل الابتهاج، ج1، ص 393.

(6) نيل الابتهاج، ج1، 202- 203، وأيضا، البستان، ص 139- 140.

29- محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي الشهير بالجلاب التلمساني:

عالم وفقيه وحافظ من جملة تلاميذه: أبي العباس الونشريسي ومحمد بن يوسف السنوسي الذي ختم عليه المدونة مرتين، له عدة فتاوى نقلها الونشريسي في معياره والمازوني في نوازله. توفي عام 875هـ/ 1470م بتلمسان(1).

30- إبراهيم بن قاسم بن سعيد بن محمد العقباني التلمساني أبو سالم:

ولد بتلمسان سنة 808هـ/ 1406م ونشأ بها، أخذ العلم عن والده وغيره من علماء تلمسان، فحصّل وبرع وأفتى، تولى قضاء تلمسان بعد عزل ابن أخيه محمد بن أحمد بن قاسم، من تلامذته: أبو العباس الونشريسي الذي نقل عنه بعض الفتاوى في المعيار، وأخذ عنه المازوني أيضا نوازله في " الدرر المكنونة ". توفي سنة 880هـ/ 1478م(2).

31- أحمد بن محمد بن زكري التلمساني:

فقيه مالكي نشأ بتلمسان، اشتغل في بداية حياته بالحياكة ليتمه وفقره، فحدث أن جاء الشيخ أحمد بن زاغو بغزل لينسجه له، ثم اتضح له أن الغزل غير كاف، فذهب إلى الجامع يطلب من الشيخ غزلا آخر ليكمل النسيج فحضر الدرس، وكان الشيخ ابن زاغو يقرر مسألة فقهية عرضها على الطلبة تعذر عليهم فهمها، فقال ابن زكري:" أنا فهمتها" وقررها أحسن ما ينبغي، فرأى الشيخ ابن زاغو أن مثل ابن زكري لا يشتغل بالحياكة فقصد والدة ابن زكري التي كان ابنها عائلها الوحيد، وطلب منها السماح له بالتعلم، وتعهد أن يدفع لها ما تحتاجه، فاشتغل حينئذ بن زكري بطلب العلم فأخذ عن بن زاغو، وقاسم العقباني وابن مرزوق وأحمد بن العباس وغيرهم، فانتصب بعدها للتدريس فأخذ عنه جمع كبير أمثال: أحمد زروق الفاسي، ومحمد بن مرزوق (حفيد الحفيد)، وأحمد بن الحاج المناوي، ومحمد بن العباس وغيرهم.

برع بن زكري في الأصول والفروع والتفسير، كما كان ناظما وناثرا ، شغل خطة الإنشاء بتلمسان، وله فتاوى كثيرة ذكرت في المعيار، من تآليفه: مسائل القضاء والفتيا وبغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب، ومنظومة في علم الكلام بها أكثر من

(1) نيل الابتهاج، ج2، ص 340، وأيضا، البستان، ص 236.

(2) نيل الابتهاج، ج2، ص 340، وأيضا، البستان، ص 57- 58، وأيضا، عادل نويهض، المرجع السابق، ص3 وأيضا، محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 437.

1500بيت سماها: " محصل المقاصد مما به تعتبر العقائد "، و " كتاب غاية المرام في شرح مقدمة الإمام "، وفتاوى نقلها الونشريسي في المعيار، توفي سنة 899هـ/ 1494م ودفن في مقبرة الشيخ السنوسي بتلمسان[1].

32- محمد بن أحمد بن قاسم العقباني:

أخذ عن جده قاسم وغيره، فكان فقيها عارفا، تولى قضاء تلمسان، له عدة مؤلفات منها: " تحفة الناظر وغنية الذاكر في الحسبة، من تلاميذه: أبو العباس الونشريسي وأحمد بن حاتم. توفي سنة 871هـ/ 1469م[2].

33- محمد بن أحمد بن النجار التلمساني:

فقيه أصولي نبغ في مختلف العلوم العقلية والنقلية، من تلامذته القلصادي الذي عرفه في رحلته قائلا: " كانت له مشاركة في العلوم النقلية والعقلية، قرأت عليه مختصر خليل ومستصفى الغزالي وأصلي بن الحاجب، وحضرت عليه تفسير القرآن ومنهج البيضاوي، وجمل الخونجي وتلخيص المفتاح. توفي سنة 846هـ/ 1442م.[3]

34- محمد بن أحمد بن محمد أبي يحيى بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق التلمساني المشهور بالخطيب سبط الإمام ابن مرزوق الحفيد ابن ابنته حفصة:

فقيه مالكي أخذ العلم على خاله ابن مرزوق الكفيف وابن العباس وغيرهما، ارتحل إلى فاس حيث أجازه عبد الوهاب الزقاق، كان حيا في حدود سنة 819هـ/ 1469 م لكن تاريخ وفاته بالضبط غير معروف، كانت له مشاركة في جميع العلوم خاصة الفقه والحديث، قال عنه أبو عبد الله بن الإمام ابن العباس: " هو آخر علماء قطرنا الآخذ من كل فن بأوفر نصيب، الحائز قصب السبق فيه، قرأت عليه بعضا من شفاء القاضي

([1]) نيل الابتهاج، ج1، ص 70- 71، وأيضا، البستان، ص ص 38- 41، وأيضا، حاجيات وآخرون، المرجع السابق ص 445، وأيضا، أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص 85- 86، وأيضا، محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 439- 440.

([2]) البستان، ص 224، وأيضا، عادل نويهض، المرجع السابق، ص 144، وأيضا، حاجيات وآخرون، المرجع السابق ج3، ص 444.

([3]) نيل الابتهاج، ج2، ص 323، وأيضا، البستان، ص 221- 222.

عياض والبردة والسقراسطية وشمائل الترمذي وتأليف جده المسمى " عجالة المستوفر " وحضرت عليه تفسير القرآن وسمعت عنه الصحيحين "[1].

35- إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن الإمام التلمساني:

هو أبو محمد إبراهيم بن عبد الرحمن بن الإمام نجل الإمام العلامة أبي زيد بن الإمام ووالد أبي الفضل بن الإمام، فقيه ومفتي، وله مشاركة في علوم مختلفة، ارتحل إلى فاس ومكث بها إلى أن وافته المنية عام 797هـ/ 1394م، نقل عنه المازوني في نوازله والونشريسي في معياره، وصفه التنبكتي بـ " الفقيه الحافظ الحجة المشارك المتفنن "[2].

36- محمد بن إبراهيم بن الإمام:

هو أبو الفضل محمد بن إبراهيم بن الإمام، نشأ بتلمسان وأخذ عن علمائها، ثم ارتحل إلى المشرق عام 801هـ/ 1408م، حيث بدأ بتونس فالقاهرة فالحجاز، ومنها زار بيت المقدس ودمشق، توافد عليه جمع كبير من طلبة العلم.

جمع أبو الفضل بين العلوم العقلية والنقلية، حيث يعتبر أول من أدخل شامل بهرام وشرحه على مختصر خليل وحواشي التفتزاني على العضد وابن هلال علي بن الحاجب الفرعي، وغيرها من الكتب الغريبة إلى المغرب الإسلامي. توفي سنة 845هـ/ 1441م.

له عدة أبحاث في النفسير، تكلم فيها مع الإمام المقري.

37- أبو الحسن علي بن موسى بن علي بن هارون الشهير بالمطغري:

ولد بمطغرة من أعمال المغرب الأوسط، ارتحل إلى فاس سنة 891هـ/ 1487م حيث لازم العلامة ابن غازي حوالي 29 سنة يأخذ عنه العلم، فدرس عليه المدونة والموطأ والعمدة والتفسير والعربية والحساب والفرائض، فكان خزانة علم لكثرة الفنون عنده كما وصفه التنبكتي، أجازه ابن غازي عام 906هـ [3]، ختم القراءات السبع عشرين مرة، والبخاري عشر مرات وغيره قراءةً وبحثاً وتحقيقاً وجامع الأصول لابن الأثير.

ولما توفي ابن غازي لازم المطغري ابنه أحمد فأخذ عنه هذه الكتب وشروحها، وكذا في الأصول كالسيلالجية وعقيدة ابن أبي زيد، وأصلي بن الحاجب، ومختصر ابن عرفة

---

(1) نيل الابتهاج، ج2، ص 361، وأيضا، البستان، ص 258.

(2) نيل الابتهاج ، ج1، ص 20.

(3) نفسه، ص 205.

وقانون ابن العربي، وجمع الجوامع وموافقات الشاطبي، والتنقيح وفي الرسالة أربع ختمات والمدونة والمختصر مرتين، وابن الحاجب الفرعي وبعض التوضيح وابن عرفة والألفية مرارا واللامية والأجرومية والمغنى والشاطبية الكبرى والتيسير وابن بري ومورد الضمآن والتلخيص مع شرح السعد والبردة بشرح ابن مرزوق مرارا وابن أبي حمرة على البخاري، والحكم مع شرحها لابن عباد، ومختصر الأحياء للبلالي، وجمل الخونجي وبعض مقدمة ابن الحاجب وشرحه عليه، والتلمسانية ورجز الونشريسي وشرحه لابن عيسى وتلخيص ابن البناء، ونظم ابن جماعة للحباك وغيرها، كما أخذ المطغري عن العباس الونشريسي والقاضي المكناسي، وعن العباس الزاجني، وقد أخذ عنه عبد الواحد الونشريسي، والزقاق، واليسيتني وغيرهم. توفي في ذي القعدة سنة 951هـ [1].

38- أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي:

من أجلة العلماء مفسر ومتكلم، نشأ بتلمسان أخذ بها عن الشيخ محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي الشهير بالجلاب وعن الإمام عبد الرحمن الثعالبي والشيخ يحيى بن يدير وغيرهم.

أخذ عنه الكثير منهم: الفقيه العاقب الأنصمني المسوفي، ومحمد بن عبد الجبار الفيجيجي[2]، والشيخ محمد بن أحمد بن أبي محمد التادختي، وصفه التنبكتي فقال: " شيخنا فقيها عالما علامة محققا، فهامة محدثا، متفننا، رُحلة ، شعيرا، متحصلا، نافذا، جيد الحظ والفهم حسن الإدراك، كثير التراع "[3].

ارتحل إلى مصر فوقعت بينه وبين الأمام جلال الدين السيوطي مناظرة حول قيمة علم المنطق، فكتب المغيلي رسالة ضمنها بقصيدة حاجّه فيها، فبرهنت هذه المجادلة على قوة حجة المغيلي.

بعد إنهاء دراسته انتقل المغيلي إلى الجنوب ليستقر بتوات بعد خلاف وقع بينه وبين ملوك بني زيان عام 870هـ/ 1465م، وكذا حملته ضد اليهود الذين كانوا يسيطرون

---

(1) نيل الابتهاج ، ج1، ص 205- 206.

(2) نيل الابتهاج، ج1، ص 266، وأيضا البستان، ص 253- 254.

(3) البستان، ص 256، وأيضا، عادل نويهض، المرجع السابق، ص 253- 254.

على التجارة ومصادرها، والذين قاموا باستمالة بعض المسؤولين فأصبحوا يسيرون أمورهم، لكنه وجد الحال نفسه في توات، فشن المغيلي حملة ضدهم خاصة وأنهم كانوا يسيطرون على مسالك التجارة بين الشمال والسودان الغربي، فاجتمع الناس من حوله وطاردوا اليهود وهدموا عددا من بيوتهم بتوات ونواحيها بعد أن استفتى علماء تلمسان وفاس وتونس، ومن الذين ناصروه محمد بن يوسف السنوسي ومحمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي مفتي تلمسان، وأحمد بن زكري وغيرهم، ولذلك ألف المغيلي رسالة قسمها إلى ثلاثة فصول(1).

ومن توات انتقل المغيلي إلى (كانو) بالسودان الغربي، واجتمع بسلطانها، فكتب له رسالة أرشده فيها إلى التزام الجاد في حكمه، كما قام بالتدريس بمساجد كانو مدة، ثم انتقل إلى غاو عاصمة سنغاي، فاتصل بحاكمها وهو الحاج محمد الأسقيا فأكرمه وكتب له أسئلة ترجاه الإجابة عليها وفق الوجهة الشرعية في الإسلام(2)، عرفت بالرسائل السبع للمغيلي.

ترك المغيلي آثار هامة منها: " البدر المنير في علوم التفسير" و " مصباح الأرواح في أصول الفلاح "، ومغنى النبيل في شرح مختصر خليل لم يكمله، و" إكليل المغني" و" شرح بيوع الآجال من كتاب ابن الحاجب الفرعي"، وكتاب "المنهيات"، و "مختصر تلخيص المفتاح"، و" شرح المختصر"، و"مفتاح النظر في الحديث"، و" شرح الجمل للخونجي في المنطق"، وكتاب "الفتح المبين"، وفهرسته ذكر فيها مروياته، وعدة قصائد منها "الميمية" على وزن البردة، و"أحكام أهل الذمة"، و"مقدمته في العربية"، ومنظومة سماها "منهج الوهاب"، ومنظومة في المنطق وثلاثة شروح عليها، و"تنبيه الغافلين عن مكر المتلبسين بدعوى مقامات العارفين"، و"التعريف فيما يجب على الملوك"...الخ(3).

---

(1) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق،ج1، ص 44، وأيضا، أبو عمران، الشيخ المغيلي، معجم مشاهير المغاربة، المرجع السابق ص 505.

(2) محمد بن عبد الكريم المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تحقيق رابح بونار، الجزائر، 1968، ص ص 18- 21، وأيضا، المغيلي ، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، تحقيق عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1974، ص ص 8- 10.

(3) المغيلي، مصباح الأرواح، ص ص 9- 16، وأيضا، نيل الابتهاج، ج1، ص ص 355- 358، وأيضا ، البستان ص ص 253- 257، وأيضا السلاوي، المصدر السابق، ج4، ص 124، وأيضا، الحفناوي، المرجع السابق، ج1، =

توفي المغيلي بناحية توات سنة 909هـ/ 1503م[1] بعد أن ساهم مساهمة فعالة في نشر الإسلام ببلاد إفريقيا والسودان الغربي.

39- أبو عبد الله محمد بن عمر بن عثمان بن منيع بن عياشة بن سيد الناس بن أمين الناس الغياري[2]المغراوي[3] المعروف بسيدي الهواري[4]:

هو فقيه وزاهد من أقطاب الصوفية في بلاد المغرب[5]، ولد بمغراوة سنة 751هـ/ 1351م، ونشأ بها ، اخذ علومه الابتدائية في إحدى كتاتيبها، فحفظ القرآن الكريم على يد الشيخ علي بن عيسى، ودرس مبادئ القراءة والكتابة، ثم ارتحل إلى بجاية فأخذ عن عبد الرحمن الوغليسي[6]، وأحمد إدريس المتوفى سنة 760هـ/ 1359م[7]، ثم انتقل بعدها إلى فاس وفيها أخذ عن الشيخ موسى العبدوسي المتوفى سنة 776هـ/1375م[8] والشيخ القباب المتوفى سنة 778هـ/1377م، ومن فاس انتقل إلى المشرق، فنزل بمصر التي أخذ فيها عن الحافظ العراقي، ثم انتقل نحو الحجاز فمكث بمكة والمدينة ينهل من علومها، ثم سافر نحو بيت المقدس فبلاد الشام، ليعود إلى المغرب الأوسط، فاستقر بوهران عالما ومرشدا[9].

= ص ص 166- 170، وأيضا، عادل نويهض، المرجع السابق، ص 157، وأيضا، حاجيات و آخرون، المرجع السابق، ص 445.

([1]) البستان، ص 255، وأيضا، المقري، المصدر السابق،ج5، ص 305.

([2]) ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي البوعبدلي، قسنطينة، 1973، ص 433.

([3]) نسبة إلى قبيلة مغراوة البربرية الزناتية، راجع في ذلك، الحسن الوزان، المصدر السابق،ج1، ص 45.

([4]) نسبة إلى قبلية هوارة إحدى بطون قبائل البربر القاطنة بالمغرب الأوسط.

([5]) البستان، ص 228، وأيضا، نيل الابتهاج، ج1، ص 192، وأيضا عادل نويهض، المرجع السابق، ص 337، وأيضا، حاجيات وآخرون، المرجع السابق، ص 450.

([6]) البستان، ص 228، وأيضا، نيل الابتهاج، ج1، ص 192.

([7]) من علماء القرن 8هـ، ومن المتصوفين الذين عرفتهم بجاية، تتلمذ على يد العلامة عبد الرحمن بن خلدون وأخيه يحيى بن خلدون، انظر، نيل الابتهاج، ج1، ص 96.

([8]) نيل الابتهاج، ج1، ص 300.

([9]) نيل الابتهاج، ص 112، وأيضا، البستان، ص 228- 229، وأيضا، أبو عمران الشيخ، معجم مشاهير المغاربة، المرجع السابق، ص 547.

من تلامتذه الشيخ إبراهيم التازي المتوفى سنة 866هـ ، والذي لازمه مطولا[1] فأخذ عنه أصول التصوف، والشيخ أبركان بن مخلوف المزيلي الراشدي دفين تلمسان والمتوفى سنة 857هـ.

له عدة مؤلفات منها: "التنهيل"، و"تبصرة السائل"، و"التبيان"، وكتابه الشهير "السهو والتنبيه". توفي الإمام في الثاني من ربيع الثاني سنة 843هـ/ 1439م[2].

ورغم كل ما أتينا على ذكره من علماء أجلاء أبدعوا وبرعوا في مختلف العلوم وخاصة في مجال العلوم الدينية، فإن هذا البحث يبقى مجحفا في حق الكثير من العلماء الذين لم نأت على ذكر تراجمهم ونكتفي بذكر أسمائهم لأن المجال لا يسعنا لذكر الجميع ولعل أبرزهم: شهاب الدين أحمد بن عبد الله الزواوي المعروف بأبي العباس الجزائري المتوفى سنة 884هـ، ومحمد بن عبد الرحمن الحوضي التلمساني المتوفى سنة 910هـ وأبو عبد الله بن محمد بن أحمد بن أبي جمعة المعروف بشقرون المغرواي المتوفى سنة 929هـ ، وأحمد بن أبي جمعة الوهراني المتوفى سنة 930هـ ، ومحمد بن يحيى الإغريسي المغرواي، ومحمد بن قاسم بن توزرت وأحمد بن محمد بن يعقوب العجيسي الشهير بالعبادي، ومحمد الشريف التلمساني أبو عبد الله والمعروف بحمو الشريف المتوفى سنة 847هـ ، وأبو عبد الله محمد بن عمر بن الفتوح التلمساني المتوفى سنة 818هـ ، ويحيى بن محمد التلمساني المتوفى سنة 807هـ....الخ، وغيرهم من العلماء.

وقد صاحب هذه العلوم انتشارا واسعا لتيار التصوف الذي لقي كل الترحاب من أهل تلمسان لاسيما بعد دفن الشيخ القطب أبي مدين الغوث بتلمسان، حيث شهدت هذه المدينة حركة نشيطة لهذا التيار بعد أن صار أبو مدين وليا لها[3]، فأخذ التصوف ينتشر في الأوساط الشعبية والخاصة، بل حتى عند بعض الأمراء والسلاطين، فبرز في مدينة تلمسان مجموعة كبيرة من شيوخ التصوف خلال العهد الزياني لكنهم لم يرتقوا إلى مصاف أسلافهم وإلى المستوى الذي بلغوه، وقد كانوا حريصين على العمل بالكتاب والسنة والاعتناء بالجانب التربوي العملي من التصوف، والابتعاد عن تيار التصوف

(1) البستان، ص 229، وأيضا، نيل الابتهاج، ج1، ص 192.

(2) نيل الابتهاج، ج1، ص 194، وأيضا، عادل نويهض، المرجع السابق، ص 337.

(3) عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 387.

الفلسفي[1] لأن العديد من سلاطين المغرب الإسلامي عموما كانوا يعتقدون بالأولياء ويقدرونهم ويحترمونهم، ويتقربون إليهم بمختلف الوسائل لنيل بركاتهم، فصار الاعتقاد بالمرابط تعتنقه العامة والخاصة، وقد أطلعتنا المصادر الزيانية على حشد هائل من الزهاد والمتصوفة الذين أنجبتهم مدينة تلمسان في العهد الزياني، لاسيما بغية الرواد ليحيى بن خلدون، والمجموع لابن مرزوق، والبستان لابن مريم.

وقد كان لهؤلاء المتصوفة زوايا تخضع لنظام دقيق يلزم الطلاب والمريدين التحلي بالانضباط والطاعة، والتقيد بتقاليد وتعاليم الزاوية في نظام الدراسة والملبس والأكل[2].

وقد برز من المتصوفين في تلمسان الزيانية:

أبو محمد المجاصي المعروف بالبكاء[3](ت 741هـ/ 1341م)، وأبو إسحاق الطيار (ت نهاية القرن 7هـ)[4]، والشيخ العالم أبــو عبد الله بن أبي بكر بن مرزوق (ت 681هـ/ 1282م) الذي اشتغل بالقراءة والفقه والحديث ثم تفرغ لكتب التصوف وانقطع للعبادة ونسخ الكتب والمصاحف، أخذ التصوف عن جماعة من أصحاب أبي مدين منهم الفقيه المتصوف محسن اللجام، الذي كان يلازمه كثيرا[5] والشيخ أبو العباس أحمد المغربي صاحب أبي مدين، والشيخ أبو محمد صالح، وغيرهم ممن كانوا يسلكون علوم الآخرة.

واستمر الفكر الصوفي في الانتشار بمدينة تلمسان خلال القرن الثامن الهجري، فبرز من رجاله، أبو العباس أحمد بن محمد بن مرزوق، والذي نشأ في كنف والده السابق الذكر سنة 681هـ/ 1281م في بيت يتسم بالجاه والعلم والورع والصلاح، فكان كأبيه زاهدا ورعا كثير العبادة، توفي سنة 741هـ/ 1341م، ودفن بالقرب من قبر الحميدة

([1]) عبد العزيز فيلالي،المرجع السابق، ج2، ص387.

([2]) نفسه، ص 391.

([3]) سمي بالبكاء في مكة، لكثرة خشوعه وخشيته حتى كف بصره من كثرة بكائه، كان يؤم الناس ويخطب بجامع القصر الجديد بتلمسان ما يقرب عن عشرين سنة، وقبره يقصده الزوار في طريق العباد، بعين وانزونة،انظر، نيل الابتهاج، ج1، ص 142.

([4]) يعد أبو إسحاق الطيار من كبار الأولياء الصالحين بتلمسان، حيث تقول عنه المصادر أنه لم يضطجع أربعا وعشرين سنة، ظل خلالها قائما صائما خاشعا يعلم القرآن، توفي نهاية القرن السابع الهجري، وقبره بالعباد مزارا انظر، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 106، وأيضا، ابن مريم، المصدر السابق، ص 56- 57.

([5]) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 114- 115، وأيضا، ابن مريم، المصدر السابق، ص 226.

خديجة زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا يزال اسمه وتاريخ وفاته مكتوبا على قبره، دفن بجواره كثير من الأولياء الصالحين من المغاربة والمشارقة[1]، وقد كان أبو العباس يعتقد فيه مثل والده، خاصة من قبل السلاطين كأبي حمو موسى الأول، الذي حاول مرارا رؤيته والجلوس إليه لا بل عرض عليه وظيفة امتنع عنها أبو العباس، وكذا أبو تاشفين الذي كان يتردد على ضريح سيدي أبي مدين الغوث لمقابلة العباس أحمد بن مرزوق، وكان يتمنى أن يدفن إلى جواره[2]، وكذلك السلطان أبو يعقوب المريني وأبو الحسن المريني اللذان اجتمعا به مرات عديدة.

ومن معاصري أبي العباس وخواصه من أهل التصوف بتلمسان نذكر منهم: الشيخ الولي العارف أبو زكرياء يحيى بن الصيقل[3] والشيخ أبي العباس أحمد بن منصور بن صاحب الصلاة الخزرجي خطيب جامع أغادير[4]، والشيخ أبي علي المديوني المتوفى سنة 735هـ/ 1335م[5]، والشيخ أبي عثمان بن الخياط[6]، والشيخ أبي عبد الله محمد بن يحيى النجار(ت 750هـ/ 1349م)، والشيخ أبي عبد الله محمد بن عمر من بني النجار أصهار المرازقة الذين أنجبوا العديد من المتصوفين والعلماء.

وفي مجال التصوف ألف علماء تلمسان العديد من المصنفات أمثال: الإمام أبو عبد الله محمد المقري الذي صنف رسالة في التصوف سماها " الحقائق والرقائق "[7]، وكتبا هامة منها: " إقامة المريد " و" رحلة المتبتل "[8]، وكتاب النجم الثاقب فيما للأولياء من المناقب " لابن صعد، و " لمحة الفارض لتكملة ألفية ابن الفارض " وهي منظومة شعرية

---

(1) عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 393، نقلا عن كتاب ابن مرزوق، المجموع، ورقة 38- 40.

(2) نفسه، نفس الصفحة.

(3) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 116.

(4) نفسه، ص 116.

(5) نفسه، ص 107.

(6) نفسه، ص 117.

(7) عبد القادر زمامة، الحقائق والرقائق، مجلة دعوة الحق، عدد (8-9)، صفر 1386هـ، ص 95، وقد أعطى الصوفية عدة تفاسير لعبارتي الحقيقة والرقيقة، انظر في ذلك، المقري، المصدر السابق، ج5، ص ص 310- 327.

(8) ابن الخطيب، الاحاطة، ج2، ص 203، وأيضا، التنبكتي، المصدر السابق، ج1، ص 265، وأيضا، عادل نويهض، المرجع السابق، ص 180.

تشتمل على مائة وسبعة وتسعين بيتا "[1]، كما صنف الشيخ أحمد بن أحمد البرنسي الشهير بزروق[2] خلال القرن التاسع الهجري/ 15م، شرحين لرسالة القشيري، وشرح الحزب الكبير لأبي الحسن الشاذلي، وشرح الحقائق للمقري، وكتاب القواعد في التصوف وتحفة المريد وكتاب كبير يشتمل على مائة فصل بيّن فيه البدع التي كان يفعلها الصوفية وغيرهم[3].

ونظم الإمام إبراهيم بن محمد التازي نزيل وهران قصائد شعرية رائعة في هذا الباب[4]، وصنف أحمد بن عبد الرحمن الشهير بابن زاغو التلمساني تآليف كثيرة، إذ كان يضرب به المثل في الزهد والعبادة معرضا عن زُخرف الدنيا، كما ألّف الفقيه العالم قاسم بن سعيد العقباني أرجوزة في التصوف[5]. وغيرهم كثير ممن اشتهروا بهذا اللون من العلوم.

وقد شهدت مدينة تلمسان الزيانية صراعا فكريا دام أكثر من قرنين من الزمن بين فقهاء السنة وبين رجال التصوف، وقد يعود هذا الصراع إلى عهد الأديب الشاعر الكاتب الصوفي المتفلسف محمد بن خميس(ت 708هـ/ 1308م) الذي عارض أفكاره فقهاء تلمسان وتصدوا له، وعلى رأسهم القاضي ورئيس الوزراء ابن هدية القرشي (ت737هـ/ 1337م)، والذي كان يتمتع بنفوذ سياسي وأدبي هام، حيث اتهم محمد بن خميس بالكفر والزندقة[6] لأنه كتب الرسالة المسماة بـ " العلق النفيس في شرح رسالة ابن خميس"، وأرسلها إلى حاكم فاس أبي الفضل بن محيي بن عتيق العبدري[7] يدافع فيها

---

(1) أبو الأجفان محمد الهادي، الإمام أبو عبد الله محمد المقري التلمساني، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس، 1988 ص 123.

(2) أحمد بن مرزوق من كبار شيوخ الفقه والحديث والتصوف، وهو قطب من أقطاب التصوف وولي صالح، ذاع صيته في المغرب والمشرق، قال عنه التنبكتي: " يعد آخر أئمة الصوفية المحققين الجامعين بين الحقيقة والشريعة توفي بمسراتة شرق طرابلس الغرب سنة 899هـ/ 1493م، انظر، ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 45- 47.

(3) ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 45- 47.

(4) نفسه، ص 58.

(5) نفسه، ص 148.

(6) المهدي البوعبدلي، أهم الأحداث الفكرية بتلمسان، عبر العصور ونبذ مجهوله من تاريخ حياة بعض أعلامها، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد 26، جويلية أوت ، 1975، ص 131.

(7) نفسه، ص 133.

عن نفسه لأن الفقيه الشريف أبا البركات[1] كان قد وضعه في خانة الكفر والضلالة أثناء محاكمته في فاس، والتي حضرها قاضي تلمسان ابن هدية، حيث حكم عليه بالإعدام، غير أنه تمكن من النجاة ليلا بفراره من مدينة فاس إلى تلمسان التي كتب فيها رسالته التي وجهها إلى مشرف مدينة فاس يشرح له فيها موقفه ويدافع فيها عن نفسه[2] ، ورغم أن ابن خميس استطاع أن يفرض نفسه ووجوده على الساحة الفكرية والثقافية بتلمسان حتى صار من شيوخ الأدباء وفحول الشعراء[3]، غير أنه قد جحد قدره من قبل أبناء مدينته الذين ناصبوا له العداء والجفاء، والذين حاولوا الانتقاص من مكانته العلمية والأدبية.

وفيما يبدو أن هذا الصراع قد اقتصر على الطبقة المثقفة، وقد تزعم السلفية الشيخ الحافظ إمام تلمسان في عصره أبو عبد الله محمد بن مرزوق الحفيد، أما المتصوفة فقد قادهم قاضي تلمسان قاسم بن سعيد العقباني(837هـ/ 1433م)، والذي كان قد أفتى في مسألة الفقراء الصوفية، وصدق صنيعهم وساندهم فيما ذهبوا إليه، فخالفه ابن مرزوق الحفيد في فتواه وعارضه في كتاب ألّفه في هذا الموضوع أسماه " النصح الخالص في الرد على مدعي رتبة الكامل الناقص "، فجعل من هذا المؤلف حجة للرد عليه وعلى المتصوفة[4]، وقد استمر هذا الجدال بين السلفية والمتصوفة قائما إلى عهد الإمام محمد بن يوسف السنوسي (895هـ/ 1489م)، والذي أيد فتوى القاضي قاسم بن سعيد العقباني وناصر شيعته، فألّف كتابا في هذا الصدد أسماه " نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير "[5] ساند فيه العقباني وأيده كل من شيخه عبد الرحمن الثعالبي دفين الجزائر (ت 875هـ/ 1470م)، والشيخ الفقيه الحسن أبركان الراشدي دفين تلمسان (857هـ/ 1453م)[6].

([1]) الشريف أبو البركات هو محمد بن علي الحسني، من فقهاء المالكية البارزين بفاس، تولى الإشراف على مناظرة ابن خميس ومحاكمته بعاصمة بني مرين، عُرف ببلده بالشوانكي، الأصالة، العدد 49- 50، ص 7.

([2]) البوعبدلي، المرجع السابق، ص 131- 132.

([3]) المقري، المصدر السابق، ج5، ص 360.

([4]) البستان، ص 211، وأيضا، نيل الابتهاج، ج2، ص 223.

([5])عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 411، وأيضا، البوعبدلي، المرجع السابق، ص 126.

([6]) المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 127.

ب- العلوم اللسانية والاجتماعية (علوم اللغة، الأدب، الشعر، التاريخ، الجغرافيا الرحلات):

حظيت العلوم اللسانية والاجتماعية باهتمام وإقبال كبيرين من قبل علماء تلمسان وأدبائها في العهد الزياني، حيث برز خلال هذه الفترة الكثير من النحاة واللغويين والأدباء والشعراء والكتاب والمؤرخين والجغرافيين والمتصوفين، والمتكلمين وعلماء المنطق وغيرهم.

فبالنسبة لعلوم اللغة وفروعها فقد لقيت إقبالا كبيرا من طرف الزيانيين، حيث اهتموا بالبلاغة لارتباطها بعلوم القرآن والحديث خاصة، وبالعلوم الدينية عموما، فكانت المجالس اللغوية تعقد لدراسة النحو والعروض والبيان، وتقام من أجل ذلك المناظرات بين الأدباء وعلماء اللغة والنحاة، للتأكد من سلامة اللسان وصفائه وخلوه من التلحين والتصحيف[1] كما نحا علماء اللغة نحو علماء الحديث فكانوا يذكرون السند ويرتبون الأفصح بالفصيح ويجمعون المفردات التي كان العرب يستعملونها معتمدين في ذلك على القرآن الكريم المصدر الأول للغة وقمة البلاغة والبيان[2]. كما اهتم التلمسانيون في هذا العهد بالأدب والشعر ولعل من عوامل ازدهاره اهتمام السلاطين والملوك الزيانيين بهما، حيث كان منهم الأديب والشاعر، إضافة إلى بذلهم الأموال للشعراء واهتمامهم بأهل العلم والأدب وتشجيعهم لهم، هذا وقد كان للمناظر الطبيعية لمدينة تلمسان وضواحيها دور في شحذ قريحة الشعراء ودفعهم إلى نظم القصائد متغنين بجمالها وروعتها دون أن ننسى التأثير الديني في هذا المجال، حيث برع الزيانيون في المدائح الدينية والابتهالات، فكان الأثر الصوفي واضحا في أدبهم وشعرهم[3].

وبذلك يمكن القول بأن بلاد المغرب الأوسط عرفت نهضة أدبية هامة في عهد الدولة الزيانية، خاصة في فترة حكم السلطان أبي حمو موسى الثاني.

ومن أبرز العلماء في هذا المجال نذكر:

---

(1) عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص 1063- 1064.

(2) نفسه، ص 1064- 1065.

(3) الأخضر عبدلي، المرجع السابق، ص ص 183- 185.

1- أبو محمد عبد المنعم بن محمد يوسف بن عتيق الغساني:

من أهل مدينة الجزائر، تولى قضاء بجاية مدة طويلة،قال عنه الغبريني: " كانت له نزاهة ووجاهة ونباهة وديانة، وله شعر رائق، وكاتب أدبي فائق، تخطط بالقضاء ببجاية وطالت مدته فيه، وكان حاله فيه حال نزاهة وطهارة وعفاف، وقيام بحق الله على الواجب، صحبناه واستفدنا منه، توفي بعد سنة 670هـ، وكان كثيرا ما يشاور أهل العلم والفضل ويقف عند قولهم ويعمل على رأيهم، وكانت له فصاحة لسان، وتمام بيان وكان معظما عند أهل بلده وعند ولاة الأمر، وكان كثيرا ما يجري على لسانه هذا البيت:

فيا ليت شعري أين أو كيف أو متى *** يُقَـدَّرُ مـا لا بُـدَّ أن سيكـون[1].

2- محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي المرسي(المتوفى سنة 686هـ):

من أهل مرسية ونزيل تلمسان، كان من أسرع الكتّاب خطا وأدبا وشعرا، ومن اعرف الفقهاء بأصول الفقه، كتب عن ملوك غرناطة، ثم ارتحل إلى تلمسان فكتب بها عن السلطان يغمراسن بن زيان[2]، أخذ العلم على عدد كبير من علماء بلده ومنهم: العالم النحوي أبا بكر محمد المعافري، والفقيه أبا علي الحسن بن عبد الرحمن الكياني رفاء وأخذ الحديث والفقه عن أبي بكر محمد بن محرز الزهري، والأصول عن أبي مطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي[3]، ولقي غيره من العلماء والصلحاء[4].

وبعد أن استقر بتلمسان قرّبه يغمراسن بن زيان من مجلسه، فجعله صاحب القلم الأعلى[5]، فصدرت عنه رسائل في مخاطبة خلفاء مراكش وتونس، وظل ملازما للبلاط الزياني إلى أن توفي بتلمسان يوم عاشوراء سنة 686هـ[6].

ومن نظمه قوله:

أشـكر لـبرك وانـتظر *** في إثر عسر الأمر يسرا

واصـبر لكربك وادّخر *** في ستر ضر الفقر أجرا

---

(1) الغبريني، المصدر السابق، ص 123- 124، أيضا، التنبكتي، المصدر السابق، ج1، ص 166- 167.

(2) ابن مريم، المصدر السابق، ص 227، وأيضا، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 129

(3) الإحاطة ، ج2، ص 425.

(4) العبدري، المصدر السابق، ص 16- 17.

(5) التنسي، المصدر السابق،ص 127، وأيضا، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص129، وأيضا، ابن مريم، المصدر السابق، ص 227.

(6) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 129، وأيضا، ابن مريم، المصدر السابق ، ص 227.

مـــا الدهر بعثر بالورى **** والصبر بالأحرار أحرى
والـــوفر أكـــثر مـــعشرا **** والفقر بالأخيار يفـــراء(1)

كما قال في مدح الشاعر ابن خميس التلمساني:

رقـــت حواشي طبعك ابن خميس **** فـــهنا قريضك بي وهاج رسيسي
ولـــمثله يـــصبو الـــحليم ويمتري **** لـــلـــشروق بـــه وســـير الـــعيس
لـــك فـــي البلاغة والبلاغة بعض **** مـــا تـــحويه من أثر محل ريسي
نـــظم ونـــثر لا تـــباري فـــيهما **** تمهدت ذاك وذا بعلـــم الـــطوسي(2)

3- محمد بن الحسن بن علي بن ميمون، أبو عبد الله التميمي القلعي(ت سنة683هـ):

فقيه وعالم نحوي لغوي من قلعة بني حماد، كان جده ميمون قاضيا بها، نشأ بالجزائر ودرس بها، ثم انتقل إلى بجاية، وفيها أخذ العلم عن شيوخها كأبي الحسن الحرالي، والفقيه أبو الحسن ابن أبي نصر، وأبو بكر بن محرز، وأبو مطرف بن عميرة وأبو زيد السطاح وغيرهم، كما أخذ بالجزائر عن أبي عبد الله بن منداس وغيرهم(3).

ومن تلامذته أحمد الغبريني صاحب كتاب " عنوان الدراية "الذي قال عنه: " لزمت عليه القراءة ما ينيف على عشرة أعوام، واستمتعت به كثيرا، واستفدت منه كثيرا، قرأت عليه الإيضاح من فاتحته إلى خاتمته، وقرأت عليه النصف من كتاب سيبويه، وقانون أبي موسى الجزولي، وقرأت عليه جملة من الأمالي ن ومن زهر الآداب ومن المقامات وقصائد متخيرات من شعر حبيب بن أوس الطائي أبو تمام، ومن شعر المتنبي، وحضرت قراءة المفصل في النحو للزمخشري، وكان يؤثر كتاب الإيضاح على غيره من الكتب وكان فيه فضل وسخاء ومروءة وانتخاء، وكانت يده ويد الطلبة في كتبه سواء لا مزية له عليهم فيها، وكان في ذلك على نحو قوله:

كتبي لأهل العلم مبذولة **** يدي مثل أيديهم فيهـــا
أعارنا أشياخنا كتبهـــم **** وسنة الأشياخ نمضيها(4)

(1) العبدري، المصدر السابق، ص 15.

(2) نفح الطيب، ج3، ص 184، وأيضا، الإحاطة، ج2، ص 430.

(3) الغبريني، المصدر السابق، ص 94.

(4) نفسه، ص 94- 95

وقد كان محمد بن الحسن بارع في الخط، حسن الشعر[1]، توفي عام 673هـ ببجاية من مؤلفاته: " الموضح في علم النحو "، و " حدق العيون في تنقيح القانون "، و" نشر الخفي في مشكلات أبي علي "[2].

4- أبو إسحاق التلمساني إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري:

ولد بتلمسان سنة 609هـ، انتقل به والده إلى الأندلس وهو في التاسعة من عمره فاستوطن غرناطة ثلاث سنوات، ثم ارتحل منها إلى مالقة، فمكث بها مدة طويلة وبها قرأ على يد أبي بكر بن دحمان، وأبي صالح محمد بن محمد الزاهد، وأبي عبد الله بن حفيد، وأبي الحسن بن سهل بن مالك، وأبي بكر بن محرز الذي أجاز له كتب أبي الحسن بن طاهر الدباج، وأبي الحسن الشلوبيني، ثم انتقل إلى سبتة التي لقي بها الحسن بن عصفور الهواري، وأبا المطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة فأجازه، كما اخذ عن أبي يعقوب يوسف بن موسى الغماري المحاسني، فأصبح حينئذ فقيها ميرزا في العدد والفرائض متضلعا في الأدب، نظم الفرائض وهو ابن عشرين سنة[3]، له أرجوزة محكمة جعلها ضابطة عجيبة الوضع، وله منظومات في السير ومدائح النبي صلى الله عليه وسلم، وله قصيدة في المولد النبوي، ومقالة في علم العروض، كما له أرجوزة مشهورة في علم الفرائض تعرف بـ " التلمسانية "، لم يصنف في فنها أحسن منها[4]. توفي أبو إسحاق سنة 690هـ بسبتة[5].

ومن شعره قوله وهو يذم الغدر في الناس:

الغدر في الناس شيمة سلفت **** قد طال بين الورى تصرفها
ما كل من سرت له نعم **** منك يرى قدرها ويعرفها
بل ربما أعقب الجزاء بها **** مفرّه عنك عز مصرفها
أما ترى الشمس تعطف بالنور **** على البدر وهو يكسفها[6]

(1) للاطلاع على بعض أشعار محمد بن الحسن راجع، الغبريني، المصدر السابق، ص ص 95- 99.
(2) يعني به أبا علي الفارسي، انظر، الغبريني، المصدر السابق، ص 95.
(3) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 109.
(4) الإحاطة، ج1، ص 326.
(5) يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 109، وأيضا، ابن مريم، المصدر السابق، ص 55- 56.
(6) الإحاطة، ج1، ص 336

ومما أنشده في مدح أمير سبتة أبي القاسم العزفي قوله:

أرأيـــت منرحـلـوا وزمـوا العيسا **** ألا يـزول عـلى الطول حسيسا

أحـسبت سوف يعـود نسف ترابهـا **** بـمـا يـشـفي لـديك نـسيسا

هــل من مؤنس نارا بجانب طورهـا **** لأنـيسها أم هل تحسن حسيبـا[1]

5- سليمان بن علي بن عبد الله بن يس العابدي الكومي المعروف باسم العفيف التلمساني:

ولد سنة 610هـ/ م، أصله من قبيلة كومية- ندرومة حاليا- ارتحل إلى المشرق فاستقر بالقاهرة، حيث رزق بولد وهو الشاعر المشهور " بالشاب الظريف "، ثم انتقل بعدها إلى بلاد الروم، فبنى فيها أربعين خلوة صوفية تدوم كل واحدة أربعين يوما، وهكذا استمر في تجواله الصوفي حتى انتقل إلى دمشق أعرض فيها عن حياة التصوف ليعين مباشر استيفاء الخزانة بدمشق وهي من اكبر المناصب في عصر سلاطين المماليك فعاش بذلك سعيدا في قصر يقع في رياض الصالحية حتى وفاته ستة 690هـ ودفن بمقابر الصوفية بدمشق[2].

كان لسليمان تجارب شعرية عديدة خاصة في مجال الشعر الديني الصوفي، أحب العرب فوصف حياتهم، وارتحالهم وخيامهم، فكان شاعرا ملتزما، اتبع طريقة ابن العربي في أقواله وأفعاله، اتهمه فريق برقة الدين والميل إلى النصيرية[3].

كان العفيف التلمساني أديبا له مشاركة في كثير من العلوم، إضافة إلى كونه شاعرا من الطراز الأول، له ديوان شعر مخطوط في دار الكتب الظاهرية بدمشق، وله عدة شروح منها: " " كتاب النصوص "، لابن عربي ، و " شرح المواقف للنظري "، و "شرح منازل السائرين"، و" شرح قصيدة ابن سينا في الروح ".[4]

6- أحمد بن علي الملياني أبو العباس:

من أهل مليانة، ثار عمه أبو علي بن أحمد الملياني على الحفصيين في أواخر المائة السابعة ففر إلى المغرب قاصدا السلطان يعقوب المريني، فأقطعه بلدة أغمات إكراما له

([1])الإحاطة، ج1، ص 336.

([2]) الأخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 191.

([3]) مذهب ظهر في شمال الشام.

([4]) عمر موسى باشا، العروبة في شعر العفيف التلمساني، مجلة الأصالة، العدد 26، جويلية ، أوت، الجزائر،1975 ص ص 333- 345.

فكان أحمد قد رحل مع عمه إلى المغرب، فأكمل دراسته بمراكش وأغمات، وبعد وفاة السلطان يعقوب المريني بويع لابنه يوسف، فاستعمل هذا الأخير أبا علي على جباية الأموال ثم نكبه وقتله، واتخذ ابن أخيه أبا العباس أحمد صاحب علامته، فسعى أحمد إلى الأخذ بالثأر لعمه، فدبّروا مؤامرة ضد من وشوا به فقتلهم، ثم فر إلى تلمسان والسلطان يوسف بن يعقوب محاصرا لها، وفي سنة 703هـ غادر إلى تلمسان متوجها إلى غرناطة، فاستقر بها إلى أن وافته المنية سنة 715هـ ، ذكره لسان الدين ابن الخطيب في الإحاطة فقال عنه : " صاحب العلامة بالمغرب، الكاتب الشهير، المثل المضروب في الفقه و قوة الصرامة، ونفاذ العزيمة، أخذ بحظ من الطب، حسن الخط، مليح الكتابة، قارضا للشعر "[1].

7- محمد بن منصور بن علي بن هدية القرشي التلمساني:

هو أبو عبد الله محمد بن منصور بن هدية القرشي، من ولد عقبة بن نافع الفهري[2] هو تلمساني المنشأ والدار، تولى خطة القضاء بتلمسان مع كتابة السر للسلطان أبي تاشفين الأول، الذي كان يشاوره في تدبير شؤون الدولة، و لا يجري شيئا من الأمور إلى بعد استطلاع نظره.

توفي ابن هدية أواسط سنة 735هـ [3] بتلمسان قبل وفاة السلطان أبي تاشفين الأول وكان من أئمة اللسان والأدب، ذو بصر بالوثائق وكتب الرسائل عند الملوك الأوائل من بني يغمراسن بن زيان[4].

كما كان كاتبا بليغا، له حظ وافر من التاريخ، من مآثره " تاريخ تلمسان "، هذا المؤلف الذي قيل أنه ضاع أثناء الحصار الطويل لتلمسان، وشرح رسالة ابن خميس نظما ونثرا، فكان سببا في هجرة ابن خميس من تلمسان إلى الأندلس، فكان عنوان الرسالة :

([1]) الإحاطة، ج1، ص ص 292- 294.

([2]) ابن مريم، المصدر السابق، ص 225، وأيضا، يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 116، وأيضا، المقري، المصدر السابق، ج5 ص 234.

([3]) البستان، ص 225، وأيضا، نفح الطيب، ج5، 234.

([4]) البستان، ص 225، وأيضا، بغية الرواد، ج1، ص 116.

"التعليق النفيس في شرح ابن خميس "[1]، وقد كتب هذا الشرح لأنه اعتبر ابن خميس فيلسوف وهو في نظره زنديق مارق على الشريعة، بل كافر يستوجب فيه القتل إن لم يتب[2].

من تلامذة ابن هدية المقري الكبير، وأبو البقاء البلوي، توفي سنة 735هـ وشهد جنازته السلطان الزياني أبو تاشفين، فولى ابنه علي منصور مكانه[3].

8- علي بن محمد بن أحمد بن موسى بن مسعود الخزاعي أبو الحسن التلمساني (710- 789هـ)/ (1310- 1387م):

هو من أسرة أندلسية معروفة انتقلت إلى المغرب الأوسط، ولد بتلمسان سنة 710هـ/ 1310م، فأخذ بها العلم عن القاضي ابن الحاج البلفيقي، وابن مرزوق الخطيب وغيرهما، وقد نبغ في الأدب والتاريخ والفقه والحساب، فتنافس عليه ملوك المغربين الأوسط والأقصى، فاتخذه أولا السلطان إبراهيم بن علي المريني صاحب علامته، ثم عيّن كاتبا للأشغال قريبا لقلم الدولة في البلاط المريني، فنال حظوة لم ينلها أحد من قبله.

توفي الخزاعي بفاس سنة789هـ/ 1387م، فخلّف مآثر عدة منها: كتاب " تخريج الدلالات السمعية على ما كان في رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية "، ألفه للسلطان المتوكل على الله أبي عنان فارس المريني[4].

من شعره ما قاله لما كبا بموسى بن أبي عنان المريني فرسه بحي الشماعين بفاس إثر صلاة الجمعة:

مولاي لا ذنب للشقراء ان عثرت **** ومن يلمها لعمري فهو ظالمها
وما لها ما اعتراها من مهابتكم **** من أجل ذلك لم تثبت قوائمها
ولم تزل عادة الفرسان من ركبوا **** تكبو الجياد ولم تنب عزائمها
وفي النبي رسول الله أسوتنا **** أعلى النبيئين مقدارا وخاتمها
كبابه فرس أبقى بسقطته **** في جنبه خدشة تبدو مراسمها

([1]) عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الثاني، ص 52، وأيضا، حاجيات وآخرون، الجزائر في التاريخ، ج3، ص 447.

([2]) المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 131.

([3]) بودواية مبخوت، المرجع السابق، ص 135.

([4]) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص ص 113- 115.

حتى لصلى صلاة جالسا ثـبتت **** لـنا بـه سـنة لاحـت معالمها
صـلى عـليه الإلـه دائما أبدا **** أزكـى صلاة تحييها نواسمها[1]

9- عبد الله بن محمد بن احمد الشريف الحسيني التلمساني نجل العلامة الشريف التلمساني:

ولد بتلمسان سنة 748هـ ونشأ بها، أخذ العلم عن عدد كبير من علماء عصره منهم: العالم النحوي أبي عبد الله بن زيد الذي كان يعلّم أبناء الشرفاء بفاس، عرف بنجابته في حفظ القرآن الكريم بقراءة الإمام نافع، فختم عليه جمل الزجاجي، وألفية ابن مالك كما أخذ على الفقيه النحوي أبي عبد الله بن حياتي الجمل والمغرب وكتاب النحو لسيبويه وعن ابن مرزوق الخطيب جملة من البخاري، وجملة من المدونة على أبي عمران موسى العبدوسي، وعن أبي العباس القباب كتاب التلقين والرسالة ومنظومة الكفيف في أصول الدين، وعن الحسن الونشريسي وأبي العباس ابن الشماع كتاب ابن الحاجب الفرعي، ثم أخذ عن والده الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي، وبعض كتب النحاة لابن سينا والمقاصد للغزالي، ومختصرات ابن الحاجب والطبيعيات والإلهيات من إشارات ابن سينا وقرأ عليه في أصول الفقه كتاب شفاء العليل للغزالي، وتأليف ابن الحاجب المسمى" مفتاح الوصول في بناء الفروع على الأصول "[2]، وغيرها من المؤلفات الهامة التي جعلت منه من أكابر العلماء في عصره لمشاركته في مختلف العلوم، التي انتفع منها الكثير من الطلبة الذين ارتحلوا إليه للاستزادة من العلوم من جميع أقطار المغرب الإسلامي.

ارتحل عبد الله بن محمد إلى غرناطة فاستقر بها مدة يشتغل بالتدريس وأثناء عودته إلى مسقط رأسه توفي غريقا سنة 792هـ.

قال عنه الشيخ محمد بن العباس :" كان الشريف أبو محمد هذا فقيها عالما علامة[3] حافظا راوية متبحرا، آخر الحفاظ في الفتوى العلمية، ذا نفس طاهرة زكية ".

---

(1) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 102- 103.

(2) ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 117- 121، وأيضا، التنبكتي، المصدر السابق، ج1، ص ص 126- 128.

(3) البستان، ص 120، وأيضا، نيل الابتهاج، ج1، ص ص 126- 128.

10- محمد بن عمر الحجري الرعيني المعروف بابن خميس التلمساني:

هو أبو عبد الله محمد بن عمر الحجري الرعيني المعروف بابن خميس ينحدر من ذرية حجر ذي رُعين، من قبيلة يمنية من شعب حِمْيَر[1]. ولد بتلمسان سنة 650هـ ونشأ بها، وأخذ عن علمائها حتى صار " نسيج وحده زهدا وانقباضا، وأدبا وهمة، حسن الشيبة، جميل الهيئة، سليم الصدر، قليل التصنع، بعيدا عن الرياء، عاملا على السياحة والعزلة، عارفا بالمعارف القديمة مضطلعا بتفاريق النحل، قائما على العربية والأصلين طبقة الوقت في الشعر، وفحل الأوزان من المطول، أقدر الناس على اجتلاب الغريب حافظا لأشعار العرب، وعارفا بأخبارهم وأحوالهم، وله مشاركات في العقليات واستشراف على الطب"[2]، وكان من أهل علم السيمياء[3].

ولاّه السلطان أبو سعيد عثمان الزياني ديوان الإنشاء وأمانة سره سنة 681هـ لكن كثر حساده وكثرت فيه الوشاية، فغادر تلمسان سنة 693هـ قاصدا سبتة بالمغرب الأقصى فاستقر بها مدة يريد التدريس[4] فمدح رؤساءها من بني العزفي، فغنم عطفهم بعد أن رمته الأيام بالمحن والبعد عن الأهل والخلان والوطن، إلا أنه رأى في هذه المدينة مكر الماكرين، وكيد الكائدين، فاتُّهم بالزندقة، فتمت محاكمته بفاس بحضور ابن هدية، الذي كانت له اليد الطولى في تدبير هذه المحاكمة، وقد وقف ابن خميس موقف الأبطال، حيث دافع عن آرائه وأفحم خصومه بحجج قاطعة حتى لم يبق في المناظرة إلا خصمه الذي نصب له الكمين بحكم مركزه السياسي وهو الشريف أبو البركات الذي كان يعتبر ابن خميس زنديقا وجب هدر دمه؛ ولكن ابن خميس استطاع الفرار من تنفيذ حكم الإعدام عليه إلى تلمسان ومنها عبر البحر إلى الأندلس سنة 703هـ ، ليستقر بغرناطة في كنف القائد أبي الحسن بن كماشة من خدام الوزير أبي عبد الله بن الحكيم الأديب الكبير، الذي استطاع أن يحقق لابن الخميس الجاه والهناء والعيشة الطيبة[5].

---

(1) Meziane (Abdel Salem), Ibn Khamis, Poète Tlemcenien du XIII^eme^ siècle, deuxième congrès de la fédération des sociétés savantes de l'Afrique du nord, Tlemcen, T1, 1982, P 1058.

(2) المقري، المصدر السابق، ج5، ص 359- 360.

(3) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 109.

(4) عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الثاني، ص 51.

(5) بودواية مبخوت، المرجع السابق، ص 144.

فعاش ابن خميس يجول بلاد الأندلس مائلا نحو التصوف، فقعد للإقراء بحضرة غرناطة بعد أن أغدق عليه الوزير ابن الحكيم من نعمه، فخلع عليه ابن خميس بدوره أثواب نثره ونظمه كما فعل مع بني زيان بتلمسان فقال في مدحه قصائد كثيرة خلّدت ذكراه مدى الدهر.

توفي ابن خميس بغرناطة قتيلا صباح يوم عيد الفطر سنة 708هـ، وذلك يوم مقتل مخدومه الوزير ابن الحكيم[1].

فكان ابن خميس بذلك من فحول الشعراء، وأعلام البلغاء، له شعر كثير كله حسنات ولطائف وبراعات وطرائف، جمعه القاضي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحضرمي في ديوان سماه " الدّر النفيس في شعر ابن خميس "[2]، ويبدو أن هذا الديوان ضاع، وقد نشر عبد الوهاب بن منصور ما أمكن جمعه من شعره من خلال كتب الأدب والرحلات والتراجم في كتاب سماه " المنتخب النفيس من شعر ابن خميس "[3] بتلمسان سنة 1365هـ.

اهتم الأدباء بحفظ شعر ابن خميس ورواية أخباره حتى بلغت شهرته بلاد المشرق، حيث أن قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد المصري[4] حلاّه بأحسن الأوصاف وأطنب في فضله[5].

من تلاميذه ورواد شعره وجلسائه وأصدقائه بتلمسان وسبتة وفاس وبلاد الأندلس الإمام النحوي محمد بن علي بن الفخار الجذامي[6]، والفقيه الأديب محمد بن إبراهيم بن عيشون البلفيقي[7]، وأبو محمد عبد المهيمن الحضرمي، وأبو زكرياء بن يحيى بن علي القيسي، وأبو عبد الله بن قطرال الأنصاري، وأبو الحسن البلوي، أما رواة شعره فهم: أبو عبد الله بن عبد الرزاق الجزولي، وأبو عثمان بن ليون التيجيني، والرحالة العبدري

(1) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 109، وأيضا، المقري، المصدر السابق، ج5، ص 362.
(2) المقري، المصدر السابق، ج5، ص 361.
(3) الأخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 202.
(4) هو أبو عبد الفتاح محمد بن أبي الحسن علي بن وهب العشري المعروف بتقي الدين بن دقيق العيد.
(5) المقري، المصدر السابق، ج5، ص 370.
(6) الإحاطة، ج3، ص ص 91- 95.
(7) نفسه، ج2، 431.

والسلطان أبو عنان المريني الذي كان مولوعا به. أما أصدقاؤه فكان أغلبهم من العلماء وذوي الشأن والسلطان منهم: أبو عبد الله بن حمدون، وأبو الفضل يحي بن عتيق العبدري، وأبو عبد الله بن الحكيم... وغيرهم(1).

ورغم الحياة الكريمة التي عاشها ابن خميس في الأندلس إلا أنه ظل يتحرق شوقا إلى مسقط رأسه تلمسان التي نظم في حبّها شعرا فقال:

تلمسان جاءتك السحاب الدوالح **** وأرست بواديك الرياح اللواقح
وسح على ساحات باب جيادها **** ملث يصافي تربها ويصافح
يطير فؤادي كلما لاح لامع **** وينهل دمعي كلما ناح صادح
ففي كل شفر من جفوني ماتح **** وفي كل شطر من فؤادي قادح
فما الماء إلا ما تنسخ مدامعي **** ولا النار إلا ما تجن الجوانح
خليلي لا طيف لعلوة طارق **** بليل و لا وجه لصبحي لائح
نظرت فلا نور من الصبح ظاهر **** بعيني ولا نجم إلى الغرب جانح
بحقكما كفا الملام وسامحا **** فما الخل كل الخل إلى المسامح
ولا تعذراني واعذرا في فقلما **** يرد عناني عن غلية ناصح
كتمت هوها ثم برح بن الأسى **** وكيف أطيق الكتم والدمع فاضح
لساقيه الرومي عندي مزية **** وإن رغمت تلك الرواسي الرواشح
فكم لي عليها من غدو وروحة **** تساعدني فيها المنى والمنائح
فطرفي على تلك البساتين سارح **** وطرفي إلى تلك الميادين جامح
تحاربها الأذهان وهي ثواقب **** وتهفو بها الأفكار وهي رواجح
ظباء مغانيها عواط عوطف **** وطير مجانيها شواد صوادح
وتقتلهم فيها عيون نواظر **** وتبيكهم منها عيون نواضح
على قرية العباد مني تحية **** كما فاح من مسك اللطيفة فاتح
وجاء ثرى تاج المعارف ديمة **** تغص بها تلك الربى والأباطح
إليك شعيب بن الحسين قلوبنا **** نوازع لكن الجسوم نوازح
سعيت فما قصرت عن نيل غاية **** فسعيك مشكور وتجرك رابح

(1) بودواية مبخوت، المرجع السابق، ص 148.

نسيت وما أنسى الوريط ووقفة **** أنافح فيها روضة وأفاوح
مطلا على ذاك الغدير وقد بدت **** لإنسان عيني من صفاه صفائح
لئن كنت ملانا بدمعي طافحا **** فإني سكران بحبك طافح
فراح غدا ينصب فوق شاهق **** بمثل حلاه تستحث القرائح
وإن كان مهري تلاعك سابحا **** فذاك غزالي في غيابك سابح

إلى أن يقول:

أيا أهل ودي والمشير مؤمن **** أتقضي ديوني أم غريمي فالح
وهل ذلك الظبي النصاحي الذي **** يقطع من قلبي بعينيه ناصح
كنيت بها عنه حياء وحشمة **** و وجه اعتذاري في القضية واضح[1]

ومما أنشده ابن خميس في بني زيان قوله:

يأبى ثراء المال علمي وهل **** يجتمع الضدان علم ومال
وتألف الأرض مقامي بها **** حتى تهاداني ظهور الرحال
لولا بنو زيان ما لذ لي العيش **** ولا هانت على الليال
هم خوّفوا الدهر وهم خففوا **** علي بني الدنيا خطوبه الثقال
ألفيت من عامرهم سيدا **** غمر رداء الحمد حم النوال
وكعبة الجود منصوبة **** يسعى إليها الناس في كل حال
خذها أبا زيان من شاعر **** مستعذب النزعة عذب المقال
يلتقط الألفاظ لفظ النوى **** و ينظم الآلاء نظم اللال[2]

11- محمد بن يوسف القيسي التلمساني المعروف بالثغري[3]:

هو أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي التلمساني المعروف بالثغري من أصل أندلسي، ولد ونشا بتلمسان، أخذ العلم عن شيوخها أمثال عبد الله الشريف التلمساني وغيره من علماء عصره[4]، حتى أصبح أشهر شعراء تلمسان الزيانية وأبرز بلغائها، ولذلك

---

(1) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 86- 87.

(2) المقري، المصدر السابق، ج5، ص 363- 364.

(3) ابن مريم، المصدر السابق، ص 222- 223، وأيضا، نفح الطيب، ج9، ص ص 327- 335.

(4) ابن مريم، المصدر السابق، ص 223.

قرّبه ملوك بنو زيان إلى بلاطهم، فكان أحد الملازمين للسلطان أبي حمو موسى الثاني اشتهر بنظمه قصائد شعرية بمناسبة احتفال السلطان بليلة المولد النبوي الشريف، والتي كان يلقيها بنفسه(1).

وصفه المازوني في نوازله بالشيخ الفقيه الإمام العالم، العلامة الأديب الأريب الكاتب(2)، وذكره المقري في أزهار الرياض بقوله: " الفقيه العلامة النظام الناثر "(3).

تنوع شعره بين مدح ووصف ورثاء وغيره، وله عدة قصائد ألقاها بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف منها ما قاله سنة 771هـ:

يا ليلة الاثنين افتخر**** بالبدر الطالع من مضر **** في ليلة يوم اثني عشر

من شهر ربيع المشتهر**** بالمولد فهو به علم

كالشمس سناه وكالقمر**** وبدت كالزهر **** أنوار هدى خير البشر

ونبي الرحمة والبشر*** فجميع الخلق به رحموا

يا شهر بك افتخر الدهر**** يا شهر جمالك مشتهر**** يا شهر كمالك منتشر

يا شهر قدومك يا شهر**** تحي بنواسمه النسم

يا شهر ربيع فيك بدا**** ومن الأنوار قد انفردا **** والخير بمولده اطردا

وأتى للخلق بكل هدى**** فبطلعته سعد الأمم

وله قصائد عدة في وصف تلمسان، منها هذه الأبيات التي رفعها إلى السلطان أبي حمو موسى الثاني سنة776هـ:

أيـها الـحافظون عهد الوداد **** جـددوا أنـسنا بـباب الجياد

وصـلوها أصـائلا بـليال **** كـلال نـظمن فـي الأجياد

في رياض منضدات المجاني **** بـين تلك الربى وتلك الوهاد

وبـروج مـشيدات الـمباني **** بـاديات السنى كشهب بوادي

رق فـيها النسيم مثل نسيمي **** وصفا النهر مثل صفو ودادي

(1) محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 498، وأيضا، عبد الحميد حاجيات، الأصالة، العدد26، المرجع السابق، ص 150.

(2) البستان، ص 222- 223.

(3) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 217.

وزها الزهر والغصون تثنت **** وتغنت عليه ورق شوادي

وانبري كل جدول كحسام **** عاري الغمد سندسي النجاد

وظلال الغصون تكتب فيه **** أحرفا سطرت بغير مداد

إلى أن يقول:

يا حيا المرن حيها من بلاد **** غرس الحب غرسها في فؤادي

وتعاهد معاهد الأنس منها **** وعمود الصبا بصوب العهاد

حيث مغنى الهوى وملهى الغواني **** ومراد المنى ونيل المراد

ومقر العلا ومرقى الأماني **** ومجر القنا ومجرى الجياد

كل حسن على تلمسان وقف **** وخصوصا على ربى العباد

منحك النور في رباها وأربى **** كهف ضحاكها على كل ناد [1]

وله قصيدة في رثاء أبي يعقوب الزياني والد أبي حمو موسى قال فيها:

يانفسي خلي الصبر وادرعي الأسى **** وإذا دعيت بالوجيب أجيبي

نادى بنادي المجد صرفه نادب **** أسفا على المولى أبي يعقوب

فعليه يا نفسي الكئيبة فاندبي **** وعليه يا كبدي القريحة ذوبي

أسفا لمن فاق الملوك جلالة **** وديانة ولكل فضل حوبي

جمع الفضائل باختلاف ضروبها **** فغدا بها فردا بغير ضريب

أعظم به من زاهد ومجاهد **** ومنيل رفد تارة ومنيب

من دأبه الدين المتين ولم يزل **** من كل فضل أخذا بنصيب

من كان جيش الموت يخدم سيفه **** أودى بجيش للمنون عصيب

أودى فلم نملك له من حيلة **** أعيي دواء الموت كل طبيب

حملوه من شرف لغرب فاغتدى **** كطلوع الشمس بادرت لغروب

حفت ملائكة السماء بنعشه **** والخلق حول سريره المنصوب

ومشوا على أقدامهم قدامه **** يدعون بالتغريب والتهريب

فتعز يا مولاي عنه فإنه **** قد فاز من مولاه بالمرغوب

([1]) المقري، المصدر السابق، ج7، ص ص 121- 123، وأيضا، يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص ص 217- 220.

ومـضى لـرحمة ربـه مستبشرا **** بـثـوابه وإلـيـه خـير مـثيب
واخـتار دار الـخلد من دار الفنا **** بـدلا كـذلك فـعل كـل لبيـب[1]

نجهل تاريخ وفاته كما نجهل تاريخ ولادته وكل ما نعلم عنه أنه كان على قيد الحياة بين عامي (760هـ- 776هـ)/ (1359م- 1374م)[2].

12- محمد بن أبي جمعة التلالسي[3]:

هو أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة بن علي التلالسي أصلا، التلمساني دارا، كان الطبيب الخاص للسلطان أبي حمو موسى الثاني، كما كان شاعرا وأديبا بارزا، نظم العديد من القصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وفي مدح أبي حمو موسى، كما كان يحب فن التوشيح، ومن نظمه موشحة مطلعها:

يا ويح صب بان عنه الشباب وأودع
لهيب وجد عندما ودّعوا

وموشحة أخرى مطلعها:

لي مدمع هتّـان ينهل مثل الدرر
قد صيّر الأجفان ما إن لها من أثر[4]

وله قصيدة في وصف ربوع تلمسان جاء فيها:

سقى الله من صوب الحيا هاطلا وبلا **** ربـوع تـلمسان التي قدرها استعلى
ربـوع كـان الشباب لها مصاحبي **** جـررت إلى اللذات في دارها الذيلا
فـكم نـلت فـيها مـن أمان قصية **** وكـم مـنح الدهر المنيف بها النيلا
وكـم لـيلة بـتنا بـصفصيفها الذي **** تـسامى عـلى الأنهار إذ عدم المثلا
وكـدية عـشاق لـها الحسن ينتهي **** يـعود المسن الشيخ في حسنها طفلا
وغـدير الـجوزة الـسالب الـحجا **** نـعمت بـه طـفلا وهمت به كهلا
ومـنه ومـن عـين أم يحي شرابنا **** لأنـها فـي الطيب كالنيل بل أحلى

([1]) بودواية مبخوت، المرجع السابق، ص 158- 159.

([2]) محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 498.

([3]) المقري، المصدر السابق، ج9، ص 336- 337.

([4]) عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الثاني، ص 173- 174، وأيضا، حاجيات وآخرون، الجزائر في التاريخ ج3، ص 448.

وعـبّادها مـا الـقلب نـاس ذمامه **** بـه روضـة لـلخير قد جعلت حلا
بها شيخنا المشهور في الأرض ذكره **** أبـو مـدين أهـلا بـه دائـما أهلا
لـها بـهجة تـزري عـلى كل بلدة **** بـتاج عـلاها كـالعروس إذا تجلى
فـيا جـنة الـدنيا التي راق حسنها **** فحازت على كل البلاد به الفضلا [1]

13- محمد بن محمد بن أبي القاسم المشدالي:

هو أبو الفضل محمد بن محمد أبي القاسم المشدالي[2]، ولد ببجاية سنة 821هـ/ 1417م[3]، وبها تلقى تعليمه الأول على يد كبار علمائها، من أسرة عريقة اشتهرت بالعلم والتديّن ، من أعلامها: أبو علي ناصر الدين المشدالي، وأبو موسى عمران المشدالي ووالد المترجم عالم بجاية وخطيبها أبو عبد الله بن أبي القاسم المشدالي، وشقيقه محمد بن محمد المشدالي[4].

سافر المشدالي إلى تلمسان سنة 840هـ للاستزادة من مختلف العلوم والاستفادة من علمائها أمثال: ابن مرزوق الحفيد، وأبي القاسم بن سعيد العقباني، وأبي الفضل بن الإمام، وأبي العباس أحمد بن زاغو، وأبي عبد الله محمد بن النجار، وأبي الربيع بن سليمان البوزيدي وأبي يعقوب يوسف بن إسماعيل، وأبي الحسن علي بن القائم وأبي عبد الله البوري ومحمد بن علي بن فشوش التلمساني وغيرهم[5]، حتى أصبح موسوعة علمية له في كل علم مشاركة ، قال عنه السيوطي: " هو أحد أذكياء العالم، اشتغل بالمغرب.... وأقرأ بمصر وغيرها وأبان عن تفنن في العلم وفقها وأصولا وكلاما ونحوا وغير ذلك وأخذ عنه طلبة العصر "[6].

وبعد أن تبحر المشدالي في العلم والمعرفة عاد إلى بلدته بجاية سنة 844هـ، ثم زار بعدها بونة وقسنطينة، ثم ارتحل إلى تونس سنة 845هـ، لينتقل بعدها إلى المشرق فطاف بين بلاد الشام، وبيت المقدس والقاهرة، فشاع ذكره فملأ الأسماع، ووقع على تفضيله

---

(1) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 17- 18.
(2) نسبه إلى مشدالة إحدى قرى بجاية.
(3) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 273- 274.
(4) نفسه، نفس الصفحة.
(5) التنبكتي، المصدر السابق، ج2، ص 224.
(6) نفسه ، الصفحة نفسها.

الإجماع، تعرّف في رحلته إلى مصر على الإمام السخاوي والسيوطي والقلصادي الذين قالوا عنه: " أبو الفضل المغربي، لقد شاع وملأ الأسماع وصار كلمة إجماع، وكان أعجوبة الزمان في الحفظ والذكاء والفهم وتوقد الذهن "[1].

وفي سنة 849هـ قصد الحجاز للحج ثم عاد ليستقر بالقاهرة ، ارتفع شأنه وذاع صيته عند سلطانها، وبث علومه فيها فزادت بذلك حظوته وعلت منزلته عند خاصتها وعامتها.

من تلامذته في تلمسان الإمام أحمد بن زكري مفتي الديار الزيانية، وبالشام ابن قاضي عجلون، وبالقدس الكمال ابن أبي الشريف، وبالقاهرة الشهاب البيجوري، ومن مؤلفاته شرح جمل الخونجي[2]. أما وفاته فكانت سنة 865هـ ببلاد الشام.

من أشعاره قصيدة قالها أثناء إقامته بتلمسان في التأسف على فراق أصدقائه ببجاية جاء فيها:

برق الفراق بدا بأفق بعادنا **** فتضعضعت أركانا لرعوده
كيف القرار وقد تبدد شملنا **** والبين شق قلوبنا بعموده
الله أيام مضت بسبيلها **** والدهر ينظم شملنا بعقوده[3]

14- محمد بن العباس بن محمد بن عيسى العبادي الشهير بابن العباس التلمساني:

من أشهر علماء تلمسان في زمانه، تولى الإفتاء بها، وبرز في علمي الفقه والنحو من تلامذته: الحافظ التنسي، وابن مرزوق الكفيف، والإمام السنوسي، وأحمد بن زكري والمازوني والونشريسي وابن صعد، والخطيب بن مرزوق حفيد الحفيد وغيرهم.

توفي بالطاعون في أواخر سنة 871هـ، ودفن بالعباد من تآليفه: " تحقيق المقال وتسهيل المنال في شرح لامية الأفعال "، و" العروة الوثقى في تنزيه الأنبياء عن فرية الإلقاء " ، و " شرح جمل الخونجي "، وفتاوى ذكرها المازوني في نوازله والونشريسي في معياره[4].

---

(1) التنبكتي، المصدر السابق، ج2، ص 333.

(2) نفسه، ص 232- 233.

(3) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق،ج2، ص 279.

(4) ابن مريم، المصدر السابق، ص 223- 224، وأيضا، التنبكتي، المصدر السابق، ج2، ص 336.

15- عبد الرحمن بن خلدون:

هو أشهر من أن يعرّف، غير أننا نقتصر هنا على ذكره لعلاقته بتلمسان حال إقامته بها، فهو ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، ولد بتونس عام 732هـ/ 1332م[1]، وهو شقيق أبي زكرياء يحيى بن خلدون كاتب السلطان أبي حمو موسى الثاني.

تلقى تعليمه الأول بتونس على يد والده، ثم غادرها متجولا في إفريقية، ثم رحل إلى تلمسان حيث التقى بالسلطان أبي عنان فارس المريني الذي صحبه إلى فاس[2]، وبها أتم تحصيله العلمي على يد علمائها أمثال: الشيخ أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي، وأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي الذي أخذ عنه مختلف العلوم العقلية، كما اعتنى ابن خلدون بالأدب وفنونه وأمور الكتابة والخط، فكان مقربا من البلاطات الملكية، حيث تولى كتابة العلامة بالبلاط الحفصي ثم غادره ليلتحق بالبلاط المريني سنة 753هـ بتلمسان، ثم دخل فاس عام 755هـ، حيث انظم إلى المجلس العلمي الذي ضم مشايخ علماء المغرب والأندلس فحصّل منهم إفادة جمة، غير أن المكانة الرفيعة التي أصبح يتمتع بها لدى السلطان أبي عنان أوقعت عليه عين الحاسدين والواشين الذين حالوا بينه وبين علاقته بالسلطان المريني الذي غضب عليه فسجنه مرتين لعلاقته بالأمير محمد[3] صاحب بجاية.

وبوفاة أبي عنان أطلق الوزير الحسن بن عمر سراح ابن خلدون وأعاده إلى كرامته وفي سنة 760هـ استعمله السلطان أبو سالم المريني كاتب سره، إلى أن توفي فغادر ابن خلدون المغرب نحو الأندلس فدخل غرناطة سنة 764هـ لينضم إلى مجلسها العلمي بعدما رحّب به بن الأحمر ووزيره ابن الخطيب، وكان سفيرا له لدى ملك قشتالة، فنجحت سفارته، فطلب منه هذا الأخير الإقامة عنده فلم يقبل فعاد محملا بالهدايا فأقطعه سلطان غرناطة قرية البيرة فحسنت حالته، غير أن هذه الحالة لم تدم طويلا، إذ سعى الواشون

---

(1) محمد بن عمرو الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص 209.

(2) الإحاطة، ج3، ص 493.

(3) هو أبو عبد الله محمد بن السلطان أبي زكرياء الحفصي، ولاه أبو عنان إقليم بجاية ليقف- دونها- في وجه ملوك تونس يومئذ ، راجع ، أخباره في العبر، ج7، ص 282.

بينه وبين السلطان فتوجه إلى بجاية سنة 766هـ التي عاد إليها صاحبها، فاستدعاه ليتدبر أمور مملكته، فكان خطيب جامع القصبة.

مكث ابن خلدون في خدمة الحفصيين حتى بعد وفاة صاحبها الأمير محمد، لكن وكما جرت العادة كثرت السعاية فيه للسلطان، فشعر ابن خلدون بذلك فطلب الإذن بالانصراف فخرج إلى العرب ثم قدم إلى بسكرة وكان بينه وبين شيخها أحمد بن مزني صداقة قديمة فأكرمه، ثم أن السلطان أبي حمو كتب إليه ليتولى حجابته وعلامته ملحا عليه بلزوم القدوم.

وبعد أن تقلب ابن خلدون في عدة مناصب سياسية بالمغرب الأقصى والأندلس استقر أخيرا مع أهله وولده في خدمة السلطان أبي حمو موسى الثاني فترة، ليغادر البلاط إلى قلعة بني سلامة من بلاد توجين من أعمال تلمسان، حيث أقام أربعة أعوام متخليا عن الشواغل، وهناك شرع في كتابة تاريخه العام، كما أكمل المقدمة(1)، ليرتحل سنة 780هـ إلى تونس ومنها إلى مصر فحج منها ليعود إليها سنة 784هـ، حيث أكرمه أهلها وأكثروا ملازمته والتردد عليه، فتصدر للإقراء بجامع الأزهر، فاشتهر أمره وكثر حساده، وبعث إلى أهله بالتوجه إلى المشرق إلا أن المركب غرق بهم في البحر فماتوا جميعا، فكانت نكبته عظيمة، ثم تولى قضاء المالكية بمصر حتى وافته المنية عام 808هـ/ 1406م، ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر(2).

ولعل أشهر ما خلّفه ابن خلدون من مؤلفاته كتابه التاريخي المشهور الذي عنونه: " بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر وأيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر "، ومقدمته التي تعرض فيها لفضل التاريخ وعلم الاجتماع والعمران البشري(3)، وأيضا شرحه للقصيدة المسماة بـ " البردة " شرحا بديعا، كما لخّص الكثير من كتب ابن رشد ولخّص محصل الإمام فخر الدين ابن الخطيب الرازي، وألّف كتابا في الحساب، أما نثره فقمة في البلاغة ومعدن فن وإبداع، كما نظم الشعر ومن قصائده تلك التي كتبها في تهنئة السلطان أبي حمو مسى الثاني بعيد الفطر جاء فيها:

---

(1) علي علواش، معجم مشاهير المغاربة، المرجع السابق، ص 195.

(2) التنبكتي، المصدر السابق ، ج2، ص ص 143- 145.

(3) محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 506.

هــذي الــديار فحيهن صباحا **** وقــف المطايا بينهن طلاحا
لا تسأل الأطلال إن لم تروها **** عــبرات عينك وألفا ممتاحا
فلقد أخذن عن جفونك موثقا **** أن لا يرين من البعاد شحاحا

إلى أن يقول:

ومــنازل الظاعنين استعجمت **** خزنا وكانت بالسرور فصاحا (1)

16- يحيى بن خلدون: (734- 780)هـ/ 1344- 1379)م:

هو أبو زكرياء يحيى بن محمد بن خلدون شقيق عبد الرحمن بن خلدون، ولد بتونس سنة 734هـ، ونشأ بها وتلقى العلم عن علمائها، أمثال: عبد المهيمن الحضرمي ومحمد بن إبراهيم الآبلي وأبو منصور الزواوي، والسطي وغيرهم(2).

وفي عهد السلطان أبي عنان المريني، انصرف إلى خدمة الدولة المرينية بفاس، وفي آخر سنة 761هـ رافق الأمير الحفصي أبا عبد الله محمد الذي نهض نحو بجاية ينتزعها من عمّه السلطان أبي إسحاق بمساعدة قبيلة رياح، فلم يحقق هذا الهدف إلا بعد أربع سنوات، ولما استولى أبو عبد الله الحفصي على بجاية سنة 765هـ عيّن يحيى بن خلدون في منصب الحجابة إلا أنه ترك هذا المنصب لأخيه عبد الرحمن الذي رجع من الأندلس سنة 766هـ، وبقي ابن خلدون في بجاية إلى أن استولى عليها أمير قسنطينة أبو العباس الحفصي في شعبان من سنة 767هـ، هذا الأخير أمر بسجن بن خلدون وذلك بعد أن غادر أخاه عبد الرحمن بجاية متجها إلى الجنوب وملتجأ عند ابن مزنى بناحية بسكرة، وبعد مدة فر يحيى من سجنه ولحق بأخيه(3).

وفي سنة 769هـ التحق يحيى بن خلدون ببلاط أبي حمو موسى الثاني الذي استكتبه وعيَّنه على ديوان الإنشاء الذي ظل على رأسه إلى أن ساءت الأوضاع بين بني مرين وبني زيان، واحتل السلطان عبد العزيز المريني تلمسان سنة 772هـ فتقرّب يحيى بن خلدون من بلاطه، لينتقل رفقة أخيه عبد الرحمن ولسان الدين بن الخطيب إلى فاس.

---

(1) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 234.

(2) المقري، المصدر السابق، ج9، ص 340- 341.

(3) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 295- 296، وأيضا، التنبكتي، المصدر السابق، ج2، ص ص 143- 145 وأيضا، عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الثاني، ص 174- 175.

وفي أوائل سنة 776هـ رجع يحيى بن خلدون إلى تلمسان، فرحب به السلطان أبو حمو موسى الثاني الذي أعاده مرة أخرى إلى منصب الكتابة، فألّف له يحيى كتاب " بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد "[1].

ومكث يحيى في خدمة البلاط الزياني إلى أن قتل في رمضان سنة 780هـ بتدبير من الأمير أبي تاشفين الذي اتهمه بالمماطلة في عقد ولاية وهران[2].

وقد ساهمت البيئة العلمية التي نشأ فيها يحيى بن خلدون في جعله يرتقي إلى طبقة الكتّاب المبرزين أمثال: أبي القاسم بن رضوان، ولسان الدين بن الخطيب وغيرهما، فكان كاتبا وشاعرا ومؤرخا يمتاز بثقافة أدبية واسعة، وأسلوب زاخر بالمحسنات البديعية والسجع المستظرف، إضافة إلى نبوغه في سائر العلوم اللسانية والاجتماعية وخصوصا التاريخ[3].

ومن تآليفه كتاب " بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد "ناهيك عن قصائد عديدة، نظمها في مدح أبي حمو موسى الثاني، وفي المناسبات الدينية.

ومن شعره في مدح السلطان أبي حمو موسى الثاني قوله:

يا بدر تم بالأوج قد ظهرا **** فضاء بالخافقين واشتهرا
ويامليكا له العلى خلقا **** ففي العلى ما نهى وما أمرا
ويا إماما له الورى خول **** يعتق إن شاء وإن شاء حصرا
ما الفخر إلا الذي أثبت به **** بأسا وحلما ونائلا حمرا
لولاك لم تلف كفؤها أبدا **** خلافة المصطفى بغير مرا
بوأتها من قريش رتبتها **** وكم غدت في سواهم عصرا
وليس للعالمين من ملك **** يرجى و يخشى سواك مقتدرا
وإن عرا الخطب أو نبا زمن **** بالناس كنت الشمال والوزرا[4]

([1]) عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الثاني، ص 175- 176.

([2]) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 292.

([3]) عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الثاني، ص 176.

([4]) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 124.

17- محمد بن أحمد بن أبي الفضل بن سعيد بن صعد:

من اكابر علماء تلمسان، فقيه عالم محصل، أخذ العلم عن أبي عبد الله التنسي، ومحمد بن العباس والإمام السنوسي وغيرهم، ألّف كتاب " النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب " و " تأليف في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم "، و " روضة النسرين في مناقب الأربعة المتأخرين "، وهم: الهواري وإبراهيم التازي، والحسن أبركان وأحمد بن الحسن الغماري.

قال عنه محمد العربي الغرناطي الأندلسي:

إذا جئت لتلمسان **** فقل لصنديدها ابن صعد

علمك فاق كل علم **** مجدك فاق كل مجد[1]

توفي بالديار المصرية في رجب سنة 901هـ.

18- أبو حمو موسى الثاني الزياني:

هو السلطان أبو حمو موسى الثاني بن أبي يعقوب يوسف الزياني، وهو الذي أحيى دولة بني عبد الواد وأخرج منها بني مرين بعد استيلاء سلطانها أبي عنان فارس عليها مرة ثانية، وإضافة إلى حنكته السياسية وقدرته العسكرية، فقد كان أبو حمو كاتبا بارعا وشاعرا فذا يقرض الشعر ويكرم الشعراء، ولعل ما خلّفه من آثار أدبية دليل على ثقافته الواسعة[2].

وأهم أثر لأبي حمو كتاب " واسطة السلوك في سياسة الملوك "[3]، وقد أودع فيه آراءه السياسية، وضمنه قصائده الشعرية، وقد كان عموما يحتفل بليلة المولد النبوي الشريف، حيث كان ينظم قصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وهي أول ما ينشد في الحفل ثم تنشد بعدها ما رفع إلى مقامه في تلك الليلة من القصائد خاصة تلك التي تمدحه وتمدح بني زيان. ومن شعر المولديات قصيدة أنشدها أثناء الاحتفال الذي أقيم في مولد سنة771هـ عنونها بـ " خليلي قد بان الحبيب "[4]؛ قال فيها:

([1]) البستان، ص 251- 252، وأيضا ، نيل الابتهاج، ج2، ص 335.

([2]) عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الثاني، ص 185.

([3]) للمزيد من المعلومات، راجع بالتفصيل عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الثاني، المرجع السابق، ص ص 187- 208.

([4]) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص ص 224- 226.

خليلي قد بان الحبيب الذي صدّا **** وقد عاقني صبري فلم أستطع ردّا
وسالت دموعي فوق خدي هواملا **** وقد صيّرت فوق الخدود لها خدا
قد اصفرّ لوني بعد حسن شبيبتي **** كما ابيضّ رأسي بعدما كان مسودا
وقد مر عمري في عسى ولعلما **** تواصلني لبني وتهجرني سعدي
وتزري بي الدنيا بذور غرورها **** فكم نقضت عهدا وكم نثرت عقدا

إلى أن يقول:

أنا المسرف الجاني أن المذنب الذي **** أشاهد باب العفو بالذنب قد سدا
لقد حق لي أبكي على فرط زلتي **** وأسكب دمعا كالعقيق على الخدا
إذا ذرفت عيناي زاد تفكري **** وتعظم أفكاري ووحدي لو أجدي
أعاتب نفسي في زمان بطالتي **** وقلبي على كسب المآثم قد جدا
وجيش شبابي قد مضى بسبيله **** وجيش مشيبي قد تقدم لي وفدا
وهذا نذير الشيب لاح بمفرقي **** يذكرني خوفا وينجز لي وعدا
هويت من الدنيا زخارفها التي **** بفرط هواها لا أطيق لها ردا
شغفت بها دهرا ولم أر ما مضى **** وقد بذلت من بعد قربي لها بعدا

إلى أن يقول:

إلهي هب لي منك عفوا و رحمة **** فما زلت يا مولاي تبلغني القصدا
وعبدك موسى لم يزل فيك راجيا **** ومن شيم المولى بأن يرحم العبدا
توسلت بالمختار من آل هاشم **** أجرني من النار التي أضرمت وقدا
نبي أتى والكفر باد ضلاله **** فأهدى الهدى للخلق يا حسن ما أهدى
هو الرحمة الهادي الشفيع لنا غدا **** هو المصطفى المختار يلهمنا الرشدا
هو الذخر للهول الشديد إذ أتى **** ومن ذا سواه للمخاف إذا اشتدا
ألا يا ربيع الخير لازلت رائقا **** لقد جئت بالرحمن وخولتنا السعدا
لك الفخر صل وافخر على الحول كله **** فأنت لنا عيد نوفي لك العهدا
أتيت بمن لم يأت دهر بمثله **** أبر بميثاق وأزكاهم مجدا
وأعظم عند الله جاها وحرمة **** وأندى الورى كفا إذا سئل الرفدا

سلام عليه طيب النشر عاطر **** يفوق بربّاه الرياحين والرندا
سلام مشوق من بلاد بعيدة **** يموت ويحيا من صبابته وجدا

ويضاف إلى هؤلاء كثير من الأدباء والشعراء الذين لم ينالوا ما ناله هؤلاء من علوّ المنزلة ولم يشتهر شعرهم رغم ما يبدو عند بعضهم من مواهب لا تجهر أمثال: القاضي أبي عبد الله محمد بن أحمد الحسني المعروف بابن يعلى وأبي محمد عبد المؤمن بن يوسف المديوني وأبي عبد الله محمد البطوي وأبي القاسم بن ميمون السنوسي وأبي الحسن علي ابن العطار وأبي العباس محمد بن سفيان، وأبي محمد عبد الوهاب بن محمد بن عبد القادر[1]، ومحمد بن صالح شقرون[2] وأبي علي حسن بن إبراهيم بن سبع[3] وأبي عبد الله محمد بن علي العصامي[4] ومحمد بن علي بن قاسم المرسي[5]، وأغلبهم كانوا كتابا في مختلف الدواوين بتلمسان الزيانية، وقد حفظت لنا كتب التاريخ قصائد لهؤلاء الشعراء، من دون أن تشير إلى حياتهم وتكوينهم الأدبي.

أما عن التاريخ فقد نال حظه الوافر في تلمسان الزيانية، حيث برز في هذا العلم كتاب وأدباء وفقهاء من أبناء المدينة سخّروا أقلامهم في هذا الاتجاه، واتخذوا أسلوبا فنيا يعتني بالتأليف في العبارة، وإظهار الحادثة في ثوب من الصياغة، رجاله يعدون من صفوة الكتاب الذين تولوا مناصب سامية في دواوين الدولة الزيانية والمرينية، وهي المناصب التي ساعدتهم على أن يكونوا قريبين من مصدر الخبر والأحداث، وجعله في متناولهم أرشيف بني زيان ووثائقهم[6].

فبفضل المكانة العلمية والمناصب الإدارية لهؤلاء ازدهرت كتابة التاريخ بمدينة تلمسان ازدهارا يتناسب مع مقام بني زيان العلمي وطموحهم السياسي والحضاري والعسكري، فنبغت في عهدهم جماعة من المؤرخين التلمسانيين دوّنوا مصنفات في تاريخ

---

(1) عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الثاني، ص 177.

(2) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص ص 143- 145.

(3) نفسه، ص ص 282- 284.

(4) نفسه، ص 315- 316.

(5) نفسه، ص 316- 317.

(6) عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، مصر، 1967، ص 75 وما بعدها .

الدولة وحضارتها، وتناولوا فنون التاريخ وفروعه كالسير والتراجم وتاريخ الملوك، ضاع بعضها، وبقي القليل منها، نذكر من ذلك:

* **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد:** من تأليف يحيى أبي زكرياء بن خلدون خصّه عن الدولة العبد الوادية من نشأتها إلى عصر المؤلف، والظاهر أنه قام بتصنيفه بطلب من السلطان أبي حمو موسى الثاني، بغرض تخليد أمجاد هذه الدولة، فقسّم كتابه إلى ثلاثة أقسام، اشتمل كل قسم على ثلاثة أبواب، انتهت حوادثه في أواخر سنة 776هـ/ 1374م، نظّم الأحداث ورتبها حسب السنوات، وهو المنهج الذي استعمله سابقوه[1].

* **المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن:** لأبي عبد الله محمد بن مرزوق الشهير بالخطيب جعله للسيرة الذاتية للسلطان أبي الحسن المريني وتخلّلته بعض الأحداث التاريخية العامة لبني زيان وبني مرين، أظهر فيه بعض المواقف والمنجزات العسكرية والحضارية التي تمت في عهده في المغربين الأوسط والأقصى، قسّم كتابه إلى مقدمة وجعلها في عدة فصول، أما المتن فبوّبه في خمسة وخمسين بابا، كلها تتحدث تقريبا عن خصال هذا السلطان، أما الخاتمة فضمّنها هي الأخرى عدة فصول[2].

* **المجموع أو الديوان:** لابن مرزوق أيضا ضمّنه السيرة الذاتية لأسرته: الجد الأكبر الوالد، ووالد الأم، ولسيرته هو نفسه، وما حدث في عهدهم من قضايا سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، ومنجزات عمرانية بتلمسان وفي غيرها من حواضر المغرب والمشرق خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، قسمه إلى عدة فصول.

* **زهر البستان في دولة بني زيان[3]:** لمؤلف مجهول، عاش في كنف الدولة الزيانية وعاصر السلطان أبو حمو موسى الثاني، لم يبق من هذا الكتاب إلى السفر الثاني، الذي خصه للحديث عن تاريخ أبي حمو موسى الثاني خلال الخمس سنوات الأولى من حكمه وهو يتضمن أخبارا مفصلة ودقيقة، أما الجزء الأول فهو في حكم المفقود، ولعله يتضمن تاريخ الدولة الزيانية قبل عهد أبي حمو موسى الثاني.

---

(1) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 62- 63.

(2) ابن مرزوق، المصدر السابق، ص ص 485- 487.

(3) مخطوط بمكتبة ريلاندر بمانشستر- إنجلترا – تحت رقم 283 (القسم الغربي).

* **نظم الدّر والعقيان في بيان شرف بني زيان:** من تأليف الحافظ محمد بن عبد الله التنسي، والكتاب يقع في خمسة أقسام، يحتوي كل قسم على عدة أبواب، يتضمن التعريف ببني عبد الواد وبيان شرفهم، وحسن سيرتهم وتاريخهم وحضارتهم، وتخلل الكتاب نوادر مستظرفة ومحاسن الكلام المستعملة في النثر والشعر، وقد أهدى هذا الكتاب إلى السلطان محمد المتوكل (866- 873)هـ الذي غمره بنعمته.

* **النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب:**لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن صعد الأنصاري التلمساني المتوفى سنة (901هـ/ 1415م)، يتضمن الكتاب ثلاثة أقسام تحدث فيها عن تراجم الأولياء والصلحاء من مختلف العجم، كما تضمن الكتاب بعض الرسائل التي تبادلها ابن الصعد مع بعض العلماء السلاطين، دوّنه صاحبه رغبة من السلطان الزياني المتوكل على الله.

وبرز من المؤرخين التلمسانيين في القرنين السابع والثامن الهجريين القاضي محمد بن منصور بن علي بن هدية، وقد سبق ذكره، وأبو محمد عبد الله الشريسي، الذي وصفه ابن مرزوق بالمؤرخ الثقة الذي عاش في القرن الثامن الهجري، وكان مقربا من أسرة المرازقة، ولهذا روى عنه ابن مرزوق الخطيب في مدوناته الكثير من الأحداث والأخبار[1].

ومنهم أيضا أبو العباس أحمد بن إبراهيم المعروف بابن القطان- وهو غير ابن القطان مؤرخ الموحدين- يعد من خواص أبي إسحاق التنسي وأبي عبد الله بن مرزوق الجد، اعتمد عليه الخطيب بن مرزوق اعتمادا كبيرا في تدوين مجموعه، وصنّف العالم الفقيه محمد بن بكر الأنصاري(ت 676هـ) كتابا جعله لوصف مكة والمدينة وبيت المقدس[2]، كما ألّف أحمد بن يحيى الونشريسي كتاب في التراجم سمّاه " الوفيات"، وألّف ابن الأصفر كتابا عن تاريخ تلمسان وهو مفقود[3].

([1]) عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 469.

([2]) ولد محمد بن أبي بكر الأنصاري ونشأ بتلمسان، ثم رحل إلى المشرق طلبا للعلم، فزار مصر والحجاز والشام والقدس.

([3]) ابن الخطيب، المصدر السابق، ج1، ص 91.

ويضاف إليهم كتاب " واسطة السلوك في سياسة الملوك "[1] الذي يتضمن وصايا حكمية وسياسية وعملية وعلمية تتعلق بالملك ونظامه صادرة عن تجربة سياسية ميدانية مارسها السلطان أبو حمو موسى الثاني، ومهما يكن من أمر فإن الجانب التاريخي أخذ حيّزا في هذا الكتاب، بحيث وظّف السلطان الأحداث التاريخية القديمة في إبداء بعض الأحكام والآراء السياسية.

2-2- العلوم العقلية:

أَوْلى الزيانيون نفس الاهتمام والرعاية بالعلوم العقلية والطبيعية إلى جانب العلوم النقلية، وعملوا على دراستها بتعمق، وتبحروا فيها، وقد شملت هذه العلوم على الرياضيات بفروعها من حساب وجبر وفلك وهندسة وتنجيم، بالإضافة إلى الطب والتشريح وعلم الهيئة والفلاحة والميكانيكا والموسيقي وغيرها من العلوم المتنوعة، وقد ساهمت العديد من العوامل على ازدهار وتطور هذه العلوم منها: التقدم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والعمراني الذي عرفه المغرب الأوسط خلال العهد الزياني، وكذا اهتمام السلاطين بالعلوم والعلماء وتشجيعهم على العمل والبحث والاختراع، إضافة إلى الصلات الثقافية التي كانت قائمة بين أقطار المغرب والمشرق، ونشاط الرحلات الثقافية في سائر هذه الأقطار خاصة بين دويلات المغرب الإسلامي.

كما أن هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأوسط واستقرارهم به قد أسهمت بشكل كبير في تطور هذه العلوم، ذلك أن من بين المهاجرين صنّاع وعلماء وأطباء وغيرهم، مما ترتب عن هذه الهجرة آثار حضارية في مختلف المجالات[2].

ومن أشهر التآليف التي كانت تدرّس في هذه الفترة في الرياضيات كتاب " حط النقاب عن وجوه أعمال الحساب "، و" تلخيص ابن البناء " ، و " بغية القارض في الحساب والفرائض "، و " كشف الجلباب عن علم الحساب " ، و كتاب " كشف الأنوار وكشف الأسرار عن علم الغبار "، و " قانون الحساب " ، و " شرح ابن ياسمين في الجبر والمقابلة ".

([1]) قامت بتحقيق كتاب " واسطة السلوك " وتقديمه جميلة شتيوي، إذ نالت به شهادة الكفاءة والبحث بكلية الآداب، جامعة تونس، 1989.

([2]) عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الثاني، المرجع السابق، ص 52.

وفي الطب كتاب " القانون لابن سينا "[1]، وفي الفلك والتنجيم : " قصيدة الحباك " " وأرجوزة أبي إسحاق "، و " بغية الطلاب في علم الإسطرلاب " للسنوسي.

ومن أشهر العلماء الذين برزوا في هذا المجال نذكر:

1- أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي التلمساني(681- 757)هـ/(1282- 1350) م:

هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد الآبلي شيخ العلوم العقلية والنقلية في عصره، أشهر علماء المغرب الأوسط في القرن الثامن الهجري، أصل أجداده من آبله بالأندلس[2]، ولد بتلمسان سنة 681هـ/ 1282م، ونشأ بها في كفالة جده القاضي ابن غلبون فشب على حب العلم والمعرفة فبرع في الحكمة والتعاليم واشتغل بالمعقولات، أخذ علوم المنطق والأصول عن أبي موسى بن الإمام وعن جده القاضي، وعن أبي الحسن التنسي[3]، ولما استولى يوسف بن يعقوب المريني على تلمسان استخدمه، فلم يستطع أن يمتنع للسلطان فقبل الوظيفة على مضض، ولم يلبث أن ضاق به وكَره المقام، فراح يتحين الفرص ليتخلص منه[4].

ومع موسم الحج جاءت الفرصة، فارتحل الآبلي إلى المشرق لأداء فريضة الحج فدخل الديار المصرية والشام والعراق، والتقى بعلمائها أمثال ابن دقيق العيد وابن الرفعة والصفي الهندي والتبريزي وغيرهم من فرسان المعقول[5]، ثم عاد قافلا إلى المغرب فاستقر لبعض الوقت في تلمسان التي كان على ملكها السلطان أبو حمو موسى الثاني وقد عرض على الآبلي ضبط جباية أمواله[6] بعدما بلغه من غزارة علمه في الحساب، فولّاه قيادة بني راشد، غير أنه أعرض عن ذلك، ففر إلى فاس واختفى بها عند شيخ التعاليم

(1) عبد الحميد حاجيات ، المرجع السابق، ص 53.

(2) أصله أندلسي من مدينة آبلة التي تقع إلى الشمال من مدريد، انظر، المقري، المصدر السابق، ج5، ص 244.

(3) نفح الطيب، ج5، ص 244، وأيضا، البستان، ص 215، وأيضا، نيل الابتهاج، ج2، ص 66.

(4) التعريف بابن خلدون، ص 34- 35، وأيضا، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 17.

(5) ابن مريم، المصدر السابق، ص 214- 215.

(6) عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص 54، وأيضا، الأخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 236.

خلوف المغيلي اليهودي[1] الذي هيأ له الظروف لاستكمال دروسه والتبحر في مختلف العلوم.

ومن فاس توجه إلى مراكش أواخر سنة 710هـ/ 1311 م ليتوغل أكثر في درس فنون التعاليم على يد العلامة الإمام أبي العباس أحمد بن البناء الذي زوده بمختلف العلوم باعتباره حسب قول ابن خلدون " شيخ المعقول والمنقول والمبرز في التصوف علما وجالا "[2]. ومن مراكش انتقل إلى الجبل حيث استقر في ضيافة شيخ الهساكرة علي بن محمد بن تروميت فقرأ عليه وأخذ عنه الكثير، واجتمع له طلبة العلم فكثرت إفادته واستفادته، ثم عاد إلى فاس فتوافد عليه الطلبة من كل ناحية، فانتشر علمه وذاع صيته، حتى صار يعرف بعالم الدنيا، ونُعت بأعلم خلق الله في فنون المعقول[3].

وعندما استولى السلطان أبو الحسن المريني على تلمسان التقى بعلامته أبي موسى بن الإمام فذكر له الآبلي وأثنى عليه ووصفه بالتقدم في العلوم، وكان أبو الحسن يهتم بجمع العلماء لمجلسه، فاستدعاه من فاس وضمه إلى طبقة العلماء، فعكف على التدريس والتعليم، ولازمه وحضر معه واقعة طريف، ثم انتقل معه إلى إفريقية سنة 748هـ/1349م التي مكث بها إلى أن استدعاه السلطان أبو عنان المريني بعدما استولى على المغرب الأوسط سنة 753هـ/1354م[4]، فغادر تونس نحو بجاية، فأقام بها شهرا حتى قرأ عليه طلبتها مختصر ابن الحاجب الأصلي ثم عاد إلى أبي عنان بتلمسان فنظمه في طبقة أشياخه من العلماء، وكان يقرأ عليه إلى أن هلك بفاس سنة 757هـ/1359م[5].

ويعد الآبلي من أنبغ رجال عصره في العلوم الطبيعية، حيث ساهم مساهمة فعالة في تكوين جيل من العلماء الكبار في المغرب، ومن تلاميذه عبد الرحمن بن خلدون وأخيه

(1) التعريف بابن خلدون، ص 37، وأيضا، البستان، ص 215، وأيضا، بغية الرواد، ج1، ص 17 وأيضا، نفح الطيب ج5، ص 244، وأيضا، تعريف الخلف، ج1، ص 94.

(2) التعريف بابن خلدون، ص 37، وأيضا، المسند، ص 147، وأيضا ، بغية الرواد ، ج1، ص 17 وأيضا، البستان، ص 215، وأيضا، نفح الطيب، ج5، ص 244، وأيضا، تعريف الخلف ، ج1 ص 95.

(3)التعريف بابن خلدون، ص 37، وأيضا، البستان، ص 215، وأيضا، تعريف الخلف، ج1، ص 94.

(4) البستان، ص 215.

(5) نفسه، نفس الصفحة.

يحيى، والمقري الكبير، وأبو عبد الله الشريف التلمساني، وابن مرزوق الجد، وسعيد العقباني، وابن الصبّاغ المكناسي، والسلطان أبو عنان المريني، وابن عرفة...وغيرهم.

أما تآليفه فرغم غزارة علمه إلا أن المؤرخين لم يذكروا شيئا عنها، خاصة وأنه هو القائل: " إنما أفسد العلم كثرة التآليف وأذهبه بنيان المدارس "[1].

فكانت التآليف في نظره تجعل العلوم سهلة التناول فتضعف الرغبة فيها ويقل التحصيل والاجتهاد، أما موقفه من المدارس فهو لا يرفض المؤسسة التعليمية في حد ذاتها وإنما يرفض المنطلقات السياسية التي بنيت من أجلها هذه المدارس، خاصة وأنه لاحظ سيطرة السلطة عليها والتي خوّلت لنفسها حق توجيهها، في حين يرى الآبلي أن طلب العلم منزّه عن أهواء ذوي السلطان ما عدا سلطان العقل[2].

ومن مآثره أيضا قوله: " لولا انقطاع الوحي لنزل فينا أكثر مما نزل في بني إسرائيل لأننا أتينا أكثر مما أتوا "، وفي كلامه إشارة إلى ما آلت إليه الأمة العربية من تفرقة وضعف وشتات[3] أكثر من افتراق بني إسرائيل.

2- أبو عبد الله محمد بن يحيى بن علي بن النجار التلمساني[4]:

أصله من مراكش، ولد نشأ بتلمسان، أخذ عن الكثير من علمائها ومن بينهم الآبلي الذي قال عنه :" ما قرأ علي أحد حتى قلت له: لم يبق عند ي ما أقوله لك غير ابن النجار"[5]، وقال عنه المقري :" لم يكن ابن النجار بصيرا بالفقه وإنما عنده ذكاء زائد..."[6].

ارتحل إلى المغرب الأقصى فدرس على يد أبي عبد الله محمد بن هلال شارح " المجسطي " بسبتة، ثم أخذ بمراكش عن أبي العباس بن البناء، فنبغ في العلوم العقلية والتعاليم، ثم عاد إلى تلمسان فدرّس بها، ثم التحق ببلاط أبي الحسن المريني أيام احتلاله

---

(1) البستان، ص 215، وأيضا، نيل الابتهاج، ج2، ، ص 71، وأيضا، محمد الطمار، تاريخ الأدب، ص 113.

(2) نفح الطيب، ج7، ص 272، وأيضا، محمد مكيوي، المرجع، السابق، ص 204.

(3) نيل الابتهاج، ج2، ص 70، وأيضا، البستان، ص 218.

(4)التعريف بابن خلدون، ص 48، وأيضا، بغية الرواد، ج1، ص 55، وأيضا، نفح الطيب، ج7، ص ص 160-162.

(5) نيل الابتهاج، ج2، ص 239، وأيضا، البستان، ص 153 -154.

(6) نفح الطيب، ج7، ص ص 160 -162، وأيضا، البستان، ص 154.

للمغرب الأوسط، فصحبه إلى إفريقية حيث توفي بتونس سنة 749هـ/1350م بالطاعون ومن تلاميذه: أبو عبد الله الشريف، والمقري الكبير، وأبو الحسن بن الفحّام[1].

3- أبو الحسن علي بن أحمد المشهور بابن الفحّام:

أخذ العلم عن أبي عبد الله بن النجار، أعرف أهل زمانه بفنون التعاليم، اشتهر بصنع المنجانة[2] التي ازدان بها قصر أبي حمو موسى الثاني، وأشاد بذكرها شعراء بلاطه، غير أن هذه المنجانة لم يصل إلينا منها إلا وصفها[3].

4- محمد بن أبي جمعة التلالسي:

ورد ذكره في العلوم اللسانية والاجتماعية، باعتباره شاعرا[4] وأديبا، ويجيد فن التوشيح، لكن كانت له مشاركة فعّالة في العلوم العقلية والتعاليم، إذ كان الطبيب الخاص لأبي حمو موسى الثاني، وهو من أسرة جل أفرادها علماء وأطباء[5]. توفي أوائل القرن التاسع الهجري[6].

5- محمد بن أحمد الشريف الحسيني الشهير بالعلوي:

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الشريف، أصله من قرية العلويين الواقعة شمال تلمسان[7]،ولد بها عام 710هـ/ 1310م، و بها نشأ ودرس على يد علمائها كأبي زيد بن يعقوب، وابني الإمام والآبلي، وأبي موسى عمران المشدالي وأبي محمد عبد الله المجاصي، وأبي عبد الله محمد بن عمرو التميمي، وأبي عبد الله محمد الباروني، وأبي

([1]) التعريف بابن خلدون، ص 48، وأيضا، نيل الابتهاج، ج2، ص 239، وأيضا، نفح الطيب، ج7، ص 162، وأيضا بغية الرواد، ج1، ص 119.

([2]) أصلها ينكان، وهي كلمة فارسية معناها: آلة القدماء يقيسون بها الزمن، هذا ومازال أهل تلمسان يسمون ساعة الحائط الكبيرة : مكانة، أما في المغرب الأقصى فالكلمة تعني الساعة على العموم، انظر في ذلك، التنسي، المصدر السابق ، ص 162، وقد ورد وصف دقيق لهذه الساعة في بغية الرواد، ج2، ص 40 – 41.

([3]) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 119، وأيضا، عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية في عهد بني زيان، مجلة الأصالة العدد 26، ص ص 153– 168، وأيضا، حاجيات، أبو حمو موسى الثاني، ص 179– 180.

([4]) للتلالسي عدة قصائد نظمها في مدح السلطان ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم، راجع في ذلك، بغية الرواد، ج1، ص 89– 90.

([5]) نفح الطيب، ج9، ص 336– 337، وأيضا، بغية الرواد، ج1، ص 89، وأيضا، حاجيات ، أبو حمو موسى، ص 173– 174.

([6]) حاجيات وآخرون، الجزائر في التاريخ، ج3، ص 448.

([7]) تسمى هذه القرية حاليا عين الحوت.

عبد الله بن هدية القرشي، وأبي العباس أحمد بن الحسن، والقاضي أبي عبد الله محمد بن عبد النور، فأظهر تفوقه في شتى العلوم العقلية والنقلية، كما درس العلوم العقلية على يد محمد بن علي النجار، ثم رحل إلى فاس ولازم الآبلي فأخذ عنه التعاليم ليعود إلى تلمسان.

وفي سنة 740هـ/1340م ارتحل إلى تونس فاجتمع بابن عبد السلام الهواري وابن عرفة وغيرهما من علمائها، ثم عاد إلى تلمسان، فتفرغ للتدريس بها، وبعد سنة 753هـ/ م استولى أبو عنان المريني على تلمسان، فقربه منه واصطحبه معه إلى فاس فكره الشريف هذا الاغتراب، فوقعت وحشة بينه وبين السلطان فقبض عليه ثم أطلقه لكن وبعد وفاة أبي عنان رجع الشريف إلى تلمسان التي كان يملكها يومئذ السلطان أبو حمو موسى الثاني فاستقبله استقبالا حسنا وأنكحه ابنته وبنى له مدرسة اليعقوبية التي ظل الشريف يلقي دروسه بها، ويحضر مجلسه طلبة كثيرون إلى أن وافته المنية عام 771هـ/ 1370م[1]، وقد حضر جنازته السلطان أبو حمو موسى الثاني، فكان الشريف علاوة على ما يحمله من علوم الشريعة إمام في العلوم العقلية كلها: كالرياضيات والتنجيم والطب والتشريح، والفلاحة والموسيقى، حتى قال عنه الآبلي: " هو أوفر من قرأ عليّ عقلا وأكثرهم تحصيلا "، كما قال عنه ابن عرفة :" لقد ماتت بموته العلوم العقلية " وقال أيضا: " غايتك في العلم لا تدرك "[2].

من تلاميذه ولده أبو محمد عبد الله، وأبي إسحاق الشاطبي، وابن زمرك، ومحمد بن علي المديوني، وإبراهيم المصمودي، وعبد الرحمن بن خلدون وأخوه يحيى، وإبراهيم الثغري، وابن السكاك، وابن عتاب وغيرهم ورغم غزارة علمه إلا أن لم يترك الكثير من التآليف لانصرافه إلى التعليم؛ ومن مآثره: كتاب في " القضاء والقدر "، و " شرح

---

(1) البستان، ص 165- 166 وأيضا، بغية الرواد، ج1، ص 120.

(2) نيل الابتهاج، ج2، ص 261، وأيضا، البستان، ص 170.

جمل الخونجي "، وكتاب في" المعاوضات " و" مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول " المطبوع بتونس عام 1346م[1].

6- محمد بن أحمد بن أبي يحيى الشهير بالحبّاك:

ولد ونشأ بتلمسان، أحد أعلام المغرب الأوسط خلال القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، برع في شتى أنواع العلوم خاصة الحساب والفرائض والفلك والهندسة وعلم الإسطرلاب[2]، إضافة إلى براعته في العلوم الدينية خاصة الفقه، حيث وصفه صاحب البستان ونيل الابتهاج بـــ " الشيخ الفقيه، العالم العلامة الأجل الصالح المعدّل[3] الفرضي العددي "[4].

ومن تلاميذه: الإمام محمد بن يوسف السنوسي الذي أخذ عنه الكثير مما يتعلق بعلم الإسطرلاب، كما يدل على ذلك كتابه المسمى " بغية الطلاب في علم الإسطرلاب "، كما ألّف الحبّاك أيضا " شرح التلمسانية في الفرائض "، و " شرح تلخيص ابن البناء "، كما شرح رجز الجادري المسمى " روضة الأزهار في قلم وقت الليل " والنهار في الفلك وسمى شرحه " تفجير الأنهار خلال روضة الأزهار "، ونظم رسالة الصفار في الإسطرلاب، و" تحفة الحساب في عدد السنين والحساب "و في وفيات الونشريسي. توفي الحبّاك سنة 867هـــ [5].

([1]) البستان، ص ص 164- 184، وأيضا، نيل الابتهاج، ج2، ص ص 257- 269، وأيضا، التعريف بابن خلدون ص ص 856- 858، وأيضا، عبد الرحمن الجيلالي،المرجع السابق ، ج2، ص ص 205 – 208، وأيضا حاجيات أبو حمو موسى الثاني، ص ص 162- 164.

([2]) الإسطرلاب: هي آلة يستعملها الفلكيون لقياس ارتفاع الكواكب

([3]) علم التعديل: هو علم يختص بدراسة تفاوت الليل والنهار وتداخل الساعات في الليل والنهار عند تفاوتها في الصيف والشتاء، انظر، مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص 177.

([4]) نيل الابتهاج ،ج2، ص 226، وأيضا، البستان، ص 219.

([5]) نيل الابتهاج، ج2، ص 226، وأيضا، البستان، ص 220.

7- علي بن محمد القرشي البسطي الشهير بالقلصادي(1):

هو أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن علي القرشي البسطي، ولد بمدينة بسطة الأندلسية سنة 815هـ ، أو قبلها بقليل وبها نشأ القلصادي وتلقى دراسته الأولى على يد شيوخها: أبي الحسن علي بن عزيز، وأبي عبد الله محمد القسطرلي، وأبي بكر البياز وأبي عبد الله محمد بن محمد البياني، وأبي أحمد جعفر بن أبي يحيى المتضلع في الفقه والفرائض والحساب، وأبي الحسن علي اللخمي القرباقي الحاذق لعلوم عصره(2) ومن ثم فقد كان نابغة في الرياضيات والفرائض وغيرها من العلوم.

وفي سنة 840هـ ابتدأ القلصادي رحلته العلمية، فتجول في معظم أنحاء المغرب والمشرق الإسلاميين، ومن المحطات التي نزل بها مدينة تلمسان التي استقر بها وهي في أزهى حياتها الثقافية، فأخذ عن أشهر أعلامها ومشايخها، ومن بينهم: محمد بن مرزوق العجيسي المعروف بالحفيد، وأبي مهدي عيسى الرتيمي، وأبي الحجاج يوسف الزيدوري، وأبي عبد الله محمد الشريف التلمساني، وأبي عبد الله محمد بن النجار، وأبي العباس أحمد بن زاغو، وقاسم بن سعيد العقباني(3).

وفي تلمسان حضر بعض المجالس العلمية واستفاد منها دون أن يقرأ بنفسه على شيوخها وأعلام هذه المجالس: الحسن بن مخلوف الراشدي، وأبو الفضل بن الإمام، وسليمان اليزيدي.

ولم يكن القلصادي يقتصر في هذا الوقت على التلقي عن شيوخ تلمسان، بل كان يهتم بالتأليف، ومما ألّفه في هذه الفترة كتابه " التبصرة الواضحة في مسائل الأعداد ".

كما كان يعقد جلسات للدرس ويتولى الإقراء، وتدريس بعض الكتب التي صنّفها بنفسه.

---

(1) القلصادي نسبة إلى مدينة قلصادة أو كالزادة التي يسميها الإسبان سانتا دومنغو كلزادا(Santa Domig de la Calzada) وهذه البلدة تتصل بتطيلة(Tudela) الواقعة شرقي غرناطة، وقلصادة هذه على مسافة 19 كلم إلى الغرب من (ناجرة) على طريق برغش، أنظر، رحلة القلصادي، المصدر السابق، ص 30.

(2) رحلة القلصادي، ص 31.

(3) وردت تراجم لهؤلاء العلماء في رحلة القلصادي أصلا وتعليقا، انظر في ذلك، ابن مريم ، البستان، ص 141-142.

ومن الذين أخذوا عن القلصادي بتلمسان نذكر: الشيخ أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي[1] والولي الصالح الفقيه صاحب التصانيف في علم الكلام، إذ قرأ عليه جملة من الحساب والفرائض وأجازه القلصادي في جميع ما يرويه، وممن قرأ عليه أيضا بتلمسان أبو عبد الله الملالي الذي قال عنه: " لما قدم – يعني القلصادي – من الأندلس إلى تلمسان قرأ عليه الجم الغفير من الناس، وقد قرأت أنا عليه شيئا منن تآليفه التي صنفها في العربية وذلك بأمر لي منه بذلك "[2].

وقد كانت لتلمسان الحظ الأوفر من إقامة القلصادي خلال هذه الرحلة، إذ تواصلت حوالي ثماني سنوات يضاف لها سبعة أشهر قضاها في طريق العودة إلى الأندلس، ومن تلمسان ارتحل إلى تونس محطته الثانية، التي انسجم مع جوها الثقافي وأعجب به، فأقام بها مدة سنتين ونصف، سكن خلالها بالمدرسة الجديدة بحي باب السويقة، وبالمدرسة المنتصرية القريبة من جامع الزيتونة.

وفي تونس تلقى القلصادي مختلف الفنون العلمية عن أعلام تونس ومن بينهم: أبو العباس أحمد القلشاني المتبحر في المذهب المالكي، المستحضر للنوازل الفقهية مع عناية بالتفسير والحديث وعلوم العربية، وأحمد المنستيري النحوي، وأبو عبد الله محمد الدهان الطبيب الماهر، وأبو عبد الله محمد بن عقاب الجذامي[3] قاضي الجماعة بتونس، وإمام جامع الزيتونة، ومحمد الواصلي وغيرهم، وخلال إقامته بتونس اشتغل القلصادي بالتدريس والتأليف، فقد صنّف فيها كتابه: " كشف الجلباب عن علم الحساب "، وكتابه " القانون في الحساب "، وكتابه " الكليات في الفرائض "، وشرحه نحو أربعة كراريس وبعد تونس ارتحل القلصادي نحو القاهرة، حيث أخذ فيها عن الشيخين: زين الدين طاهر النويري المالكي، وعلم الدين الحصني الشافعي، ولم تطل إقامته بالقاهرة إلا ستة أشهر لينتقل منها إلى البقاع المقدسة، ليعود مرة أخرى إليها مستقرا بها أكثر من ثلاثة عشر شهرا، اشتغل فيها بطلب العلم قراءة وإقراءا، فأخذ عن أعلامها المشاهير أمثال: قاسم

([1]) رحلة القلصادي، ص 33، وأيضا، نيل الابتهاج، ج2، ص 328، وترجمته في البستان، ص ص 238- 248 وفي تعريف الخلف، ج1، ص ص 176- 186، وأيضا، نفح الطيب، ج2، ص 622.

([2]) رحلة القلصادي، ص 33، وأيضا، نيل الابتهاج، ج2، ص 382.

([3]) البستان، ص 142، وأيضا، رحلة القلصادي، ص 34 - 35.

النووي، وتقي الدين الشمني الحنفي، وعبد السلام البغدادي، وأبو العباس شهاب الدين أحمد بن حجر وجلال الدين المحلي، كما أخذ المنطق عن بعض العجم، ودرس كتبا في التفسير والبلاغة والعلوم العقلية على الشيخ السمرقندي شمس الدين محمد الكريمي(1).

أما في البقاع المقدسة فقد اشتغل القلصادي بتأليف كتاب في الفرائض وهو " شرح فرائض ابن الحاجب "، كما اشتغل برواية الأحاديث النبوية عن الشيخ المحدّث أبي الفتح الحسن المراغي الذي أجاز القلصادي في أسانيده على كتب الأحاديث(2).

وبعد هذه الرحلة العلمية الهامة انتقل القلصادي إلى غرناطة، وفيها لازم شيخي الأندلس وعالميها المفتيين: أبا إسحاق إبراهيم بن فتوح، وأبا عبد الله محمد السرقسطي كما اشتغل بالتأليف والتدريس، وكان ممن أخذ عنه في غرناطة أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد البلوي الذي قال عنه: " أول ما قرأت عليه بحضرة غرناطة شيخنا الإمام العلامة الحاج الصالح الرحّال وفرضي العصر وعدديه ذو التصانيف العديدة الكثيرة الغزيرة أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن علي القرشي الشهير بالقلصادي...أخذت عنه علمي العدد والفرائض تفقها وعملا " (3).

وعندما أحس القلصادي بالخطر يتفاقم في وطنه رحل إلى مدينة باجة التونسية حيث واصل نشاطه العلمي الذي لم يعرف الفتور، وبها توفي القلصادي في منتصف ذي الحجة من سنة 981هـ الموافق لشهر ديسمبر 1486م، ودفن بمكان يعرف بباب المسيد بضاحية سيدي فرج(4).

مآثره: يعد القلصادي من أكثر علماء الأندلس في عهدها الأخير إنتاجا، وقد اشتهر بتآليفه التي تناولت علوما مختلفة، وكان أغلبها في الحساب والفرائض.

فمن مصنفاته في الحساب التي تبلغ ثلاثة عشر كتابا نذكر منها: " غنية ذوي الألباب في شرح كشف الجلباب "، " وكشف الأسرار في علم الغبار "، و " كشف الجلباب عن علم الحساب "، و " شرح تلخيص ابن البناء "، و " انكشاف الجلباب عن قانون الحساب " ومن

---

(1) رحلة القلصادي، ص 36.

(2) نفسه، نفسه الصفحة.

(3) رحلة القلصادي، ص 38، وأيضا، البستان، ص 142.

(4) رحلة القلصادي، ص 52، وأيضا، البستان، ص 142.

مصنفاته في الفرائض: " الضروري في علم المواريث "، و" الكليات وشرحه " و" المستوفى لمسائل الحوفي "، و شرحان على التلمسانية، و " بغية المبتدي وغنية المنتهي "، وشروح لفرائض مختصر خليل وفرائض التلقين، وفرائض ابن الحاجب وفرائض صالح بن شريف، وفرائض أبي القاسم بن الشاط.

ومن مصنفاته في الفقه: " شرح مختصر خليل "، و " شرح الرسالة "، و" هداية الأنام في شرح مختصر قواعد الإسلام "، و" أشرف المسالك إلى مذهب مالك ".

أما في النحو فله: " غنية النحاة وشرحاه "، و" شرح على رجز بن مالك "، و " شرح الأجرومية "، و " شرح على رجز ابن مالك "، و " شرح جمل الزجاجي ".

وله في العروض: مختصر، و"شرح الخزرجية "، وفي المنطق: " شرح الساغوجي" وفي النجوم شرح أرجوزة ابن فتوح "، و في التراجم: " رحلته الشهيرة التي ترجم فيها شيوخه "، وفي التصوف ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم وأسمائه: " شرح حكم ابن عطاء الله "، و " شرح البردة "، و " شرح رجز أبي عمرو بن منظور قاضي الجماعة في أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم.

أما تصانيفه في القراءات والحديث فمنها: " " شرح رجز بن بري "، و " شرح الأنوار السنية لابن جزي " ، بالإضافة إلى ذلك له كتاب" النصيحة في السياسة العامة والخاصة" وغيرها من الكتب الأخرى الهامة "[1].

8- منصور الزواوي:

هو منصور علي بن عبد الله الملقب بأبي على الزواوي، ولد ببجاية سنة 710هـ ونشأ بها، وأخذ عن والده وشيوخ مدينته، منهم: منصور المشدالي، وأبي العباس بن عمران، ويوسف الزواوي، وقاضي الجماعة ببجاية أبي عبد الله محمد بن يوسف[2].

وبتلمسان درس على يد محمد بن عبد المهيمن الحضرمي، وأبي إسحاق بن أبي يحيى، والعباس بن يربوع وغيرهم ، ارتحل إلى الأندلس سنة 753هـ فلقي ترحيبا بها، فاشتغل في التدريس والإقراء بغرناطة، كما أنه تلقى العلم عن ابن الفخار لبيري الذي أجازه،

([1]) رحلة القلصادي، ص ص 40 – 48، وأيضا، البستان، ص 142- 143، وأيضا، علي لواش، معجم مشاهير المغاربة، ص ص 442- 444.

([2]) علي علواش، المرجع السابق، ص 267.

كما أخذ عن قاضي الجماعة الشريف الحسن السبتي الذي قرأ عليه " تسهيل الفوائد لا بن مالك "[1]. ولما استُفتي في مسألة فقهية خالف فيها فقهاء الفروع في زمانه في الأندلس، فاشتد هؤلاء في معارضته وإذايته اضطر إلى مغادرة الأندلس[2] والارتحال إلى تلمسان سنة 765هـ حيث استقر بها يقرئ ويدرس سنوات عديدة.

له مشاركة في مختلف العلوم النقلية والعقلية، وهو على اطلاع بالأصول والمنطق وعلم الكلام، ودراية كبيرة بالحساب والهندسة والآلات[3].

ومن تلاميذه: أبو علي الزواوي، ويحيى بن خلدون، ويحيى السرّاج، ولسان الدين بن الخطيب، وأبو إسحاق الشاطبي، والمقري الكبير وغيرهم[4].

ويضاف إلى هؤلاء العديد من أعلام المغرب الأوسط الذين نبغوا في العلوم العقلية والتعاليم وكانت لهم مشاركات هامة في هذا المجال نذكر منهم: محمد بن محمد بن أبي القاسم المشدالي أبو الفضل[5]، و محمد بن إبراهيم بن الإمام أبو الفضل[6]، ومحمد بن علي بن فشوش[7] ومحمد بن قاسم بن تومرت التلمساني[8]، وسعيد العقباني الذي سبق ذكره، وعلي بن موسى بن عبد الله بن محمد ين هيدون البجائي[9]؛ وغيرهم كثير ممن أنجبهم المغرب الأوسط خلال حكم الدولة الزيانية.

([1]) البستان، ص 293، وأيضا، بغية الرواد، ج1، ص 132، وأيضا، الإحاطة، ج3، ص 328، وأيضا، نيل الابتهاج، ج2، ص 310.

([2]) للاطلاع على هذه المسألة انظر، البستان، ص 293.

([3]) نيل الابتهاج، ج2، ص 379.

([4]) بغية الرواد، ج1، ص 132، وأيضا، البستان، ص 293- 294، وأيضا، نيل الابتهاج، ج2، ص ص 378- 380 وأيضا، عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى ، ص 194 – 195.

([5]) نيل الابتهاج، ج2، ص 332- 333، وأيضا، عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص ص 271- 280.

([6]) البستان، ص 220، وأيضا، نيل الابتهاج، ج2، ص 320- 321.

([7]) المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 131، وأيضا أبو القاسم سعد الله،المرجع السابق ، ج1، ص 35، وأيضا، عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 254.

([8]) البستان، ص 237، وأيضا، نيل الابتهاج، ج2، ص 340- 341.

([9]) عبد الحميد حاجيات وآخرون، الجزائر في التاريخ، ج3، ص 452.

المبحث الثاني : الحياة الثقافية في الدولة المرينية

تمهيد :

لم يقل اهتمام المرينيين بالعلم و العلماء عن الزيانيين، فقد أولوا هذا الجانب عناية فائقة، و سخروا له كلّ الإمكانيات المادية و البشرية، فقد اهتم سلاطين بني مرين بتقريب العلماء من مجالسهم، و إجراء الأرزاق عليهم، و منحهم مناصب هامة في الدولة واستشارتهم في أمورها و حضور حلقات دروسهم، خاصة في فترة حكم السلطان أبوالحسن المريني(732-749هـ/1331-1348م)، و التي شهدت توسعًا كبيرًا للدولة على حساب أراضي المغربين الأوسط و الأدنى، واكبتها، نهضة عمرانية هامّة، خاصّة بناؤه للمدارس و المساجد التي تميّزت به فترة حكمه، حيث كان يرعى المشاريع الكبرى في حياة والده عندما كان وليًّا للعهد، فأسند إليه تشييد مدرسة الصهريج بفاس، و التي دام العمل بها حوالي عامين (721-723هـ/1321-1323م)، و في نفس الوقت أشرف على بناء "مدرسة السبعين" القريبة منها، كما تابع بناء مدرسة العطارين بفاس سنة (723هـ/1323م).

و قد استمر هذا السلطان في البناء و التشييد بعد توليه الحكم، فكانت حركته واسعة طبعتها بناء المدارس التي فاق عددها الثمانية عشر مدرسة، و ذلك عبر مختلف مدن دولته، حيث يقول ابن مرزوق في هذا المجال : «...ثم أنشأ رضي الله عنه، في كلّ بلاد المغرب الأقصى و بلاد المغرب الأوسط مدرسة، فأنشأ بمدينة تازا قديمًا مدرستها الحسنة، و ببلدة مكناسة، و سلا، و طنجة، و سبته، و آنفي، و آزمور و آسفي، وآغمات و مراكش، و القصر الكبير، و بالعباد بظاهر تلمسان، و بالجزائر، مدارس مختلفة الأوضاع بحسب إختلاف البلدان...»[1].

أدرك السلطان أبو الحسن أنّ القوّة السياسية و العسكرية، لا تكف لبسط النفوذ وإحكام السيطرة على كامل تراب المغرب الإسلامي، لا بل أنّه في حاجة إلى دعم العلماء و الفقهاء فتقرّب منهم، و ضمهم إلى مجالسه، فكان شغوفًا بالعلم، ينقل معه العلماء حيث ما حل وارتحل، إذ تذكر المصادر التاريخية أنّه اصطحب الكثير من صفوة العلماء أثناء

(1) ابن مرزوق، المسند، ص 406.

رحلته إلى إفريقية، حتى أنّ بعضهم توفى بالطاعون الذي عمّ البلاد آنذاك حيث يقول ابن خلدون في ذلك: « كان السلطان أبو الحسن لدينه و سراوته و بعد شأوه في الفضل يتشوّق إلى تنويه مجلسه بالعلماء و اختار منهم جماعته لمصاحبته ومجالسته»[1]، و حين خروجه إلى إفريقية ، كان موكبه حافلاً بالعلماء لإتخاذه مظهرًا من مظاهر دولته في تقدير العلم والتباهي به.

و لعلّ اهتمام هذا السلطان بالعلم و العلماء، و تهيئة كلّ الظروف و الوسائل لهم منها بناء المدارس، كان يخفي وراءه حسب بعض المؤرخين رغبة المرينيين في إضفاء الشرعية التي كانت تنقصهم، و إلغاء نظرة الغزاة الطامعين من نفوس المغاربة.

لكن مهما كانت الأهداف و النوايا، فإنّ هذه المرحلة شهدت إزدهارًا علميا و حركة فكرية نشيطة، حيث ظهر جيل من العلماء و الفقهاء و المؤرخين الذين أسهموا بشكل كبير في إثراء الحياة العلمية و الفكرية، فسما المغرب الإسلامي بهم، و تشهد لهم مؤلفاتهم ومصنفاتهم التي تنقل صورة واضحة عن ذلك العصر و ما عرفه من رقي وازدهار وتجربة علمية و معرفية هامة.

1- المؤسسات الثقافية و التعليمية المرينية :

أ- المساجد :

1/ <u>الجامع الكبير بتازا :</u> أنشأ هذا الجامع الخليفة الموحّدي عبد المؤمن بن علي (1152-1163م)، و وسّعه السلطان المريني أبو يعقوب و أصلحه و رمّمه السلطان أبو عنان، و يعتبر من أجمل المساجد في شمال المغرب بعد القرويين بفاس[2].

2/ <u>الجامع الكبير بفاس :</u> نسب هذا الجامع إلى السلطان أبي يوسف يعقوب (674هـ/1275م)، حيث أمر ببناء هذا الجامع بفاس الجديد سنة 676هـ/[3]21 مارس 1276م، و سار العمل فيه سريعا و اكتمل و صلّى الناس فيه في يناير

([1]) ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 80.

([2]) صالح، بن قربة ، المرجع السابق، ص 101.

([3]) نفسه، ص 102.

1279م. و هو مسجد مغربي أندلسي في هيئته، يتكوّن من بيت صلاة فسيح يحتل نصف مساحته، و صحن واسع يحتل النصف الثاني و لا تحيط بالصحن إلاّ مجنبة واحدة في كلّ ناحية، و في مدخل ببيت الصلاة من الصحن تقوم قبّة صغيرة فوق البلاطة الأولى من الرّواق الأوسط، أمّا المئذنة فتقوم في الرّكن الأيمن من الجدار المقابل لجدار القبلة أي في الجدار الشمالي(1).

3/ جامع الحمراء : أنشأ هذا الجامع السلطان الأحمر في عصر بني مرين في القرن 8هـ/14م، و لكن بعض الروايات تروي بأن إمرأة حمراء أتت من تافلالت في عصر بني مرين، كرّست كلّ ثروتها لبناء هذا الجامع و لذلك سمّي هذا الجامع باسم لآلة الحمراء بفاس الجديد(2).

4/ جامع الزهر بفاس الجديد : شيّد هذا الجامع السلطان أبو عنان في سنة 759هـ/1357م، و لهذا المسجد مئذنة عبارة عن برج مربّع التخطيط طول ضلعها 3,50م، و ارتفاعها من أرضية المسجد حتى قمّة الشرفات 16,85م، مطموسة في جزئها الأسفل(3).

5/ جامع الشرابليين بفاس الجديد : يرجع تاريخ هذا المسجد إلى العصر المريني بالمغرب الأقصى، و بالضبط إلى القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، رمّم في عهد السلطان مولاي سليمان (1792-1823م)، و لم يبق من هذا المسجد سوى المدخل الرّئيسي، و المئذنة اللّذان احتفظا بمظهرهما القديم(4).

6/ جامع أبي حسّان بفاس الجديد : يرجع تاريخ إنشائه حسب النقش الكتابي الموجود على اللوحة الرخامية المثبّتة فوق المدخل من الحائط الغربي للصحن إلى سنة 742هـ/1341م(5).

---

(1) حسين مؤنس ، المرجع السابق، ج2، ص 29.

(2) صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 104.

(3) نفسه، ص 105.

(4) نفسه، ص 106.

(5) نفسه، ص 109.

و تبرز الدراسات الأثرية الحديثة روعة الفنّ المعماري المريني الذي جعله منفردًا ومميّزًا و لعلّ ما يميّز المساجد المرينية عن سابقتها الموحّدية بأنّ هذه الأخيرة كانت أكثر اتّساعًا منها عمقًا، غير أنّ المساجد المرينية كانت أكثر طولاً منها عرضًا. والذي زاد منها في الإتساع أكثر من غيره هو الصحن خاصّة، فهو يشغل ما يقرب من نصف البناء، و توسيع الصحن يرجع بدون شك إلى أسباب عملية و هو أنه جرت العادة أن تقام الصلاة في فصل الصيف، في صحن المسجد و قد خصص لذلك في مدخل البهو المحوري محراب ثانوي، هو ما يسمّى بالعنزة.

ومن التغييرات الفنية التي أدخلها المرينيون على جوامعهم، علّو هذه المساجد، النموذجي، و أقواس الأبهاء ذات ارتفاع مساوٍ لإرتفاع أعمدتها، و قد ترك نهائيا القوس المتجاوز و المنكسر و الذي يتجاوز عرض ما بين الأعمدة الذي كان معمولاً به في المساجد الموحّدية أي عادوا إلى القوس ذي الإنحناء نصف الدّائري المتجاوز كمساجد قرطبة[1].

ب- المدارس :

اختصّت المدارس عمومًا في هذه الفترة بالمغرب الإسلامي بتدريس العلوم الدينية وخاصّة الشريعة الإسلامية و الفقه على المذهب المالكي، حيث تولّى بنو مرين الدّفاع عنه و حمايته[2].

و قد انتقل نظام المدارس بشكله و وظيفته إلى مدينة فاس المرينية بعد ثلاثين سنة من تأسيس أوّل مدرسة حفصية في تونس و تعتبر الدولة المرينية، أكثر دويلات المغرب الإسلامي نشاطا و حيوية في مجال التشييد العمراني بصفة عامّة و بناء المدارس بصفة خاصّة، حيث أنفق سلاطينها على بنائها و تزيينها أموالا طائلة[3]، و اتخذوا حركة تشييد المدارس مظهرًا لسياستهم الدينية والعلمية، و بالتالي مظهرًا للتأثير السياسي والإجتماعي

---

(1) وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية المغربية، الفن المعماري في المساجد المغربية حسب العصور، على موقع الشبكة، http : //www.habous.gov.ma.p,1

(2) شارل أندري، جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج2، ترجمة محمد مزالي وبشري سلامة، الدار التونسية للنشر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1969، ص 240، وأيضا، عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، ص 312.

(3) G. Marçais, l'architecture …, p 285

على رعاياهم، رغبة في تحقيق أهدافهم الرّامية إلى إعادة توحيد المغرب الإسلامي تحت لوائهم سياسيا و دينيا و إداريًّا، بعد قضائهم على دولة الموحّدين[1] ومحو تعاليم ابن تومرت و العودة بالمذهب المالكي إلى مكانته السابقة[2].

ولتحقيق ذلك أكثروا من إقامة المدارس في المغربين الأقصى و الأوسط، و قد انتشرت هذه العملية خاصة على عهدي أبي الحسن و إبنه أبي عنان و منها:

1/ <u>مدرسة الصفارين :</u> كانت أولى المدارس التي أنشئت بالمغرب الأقصى، شيدها السلطان أبو يعقوب بن عبد الحق (657-685هـ) /(1258-1286م)، بالقرب من سوق صناعة النحاس، أقامها لطلبة العلم، فأوقف عليها الأوقاف، و أجرى المرتبات على الطلبة و كان ذلك حوالي سنة 670هـ/1271م[3]، و كان قد زودّها بخزانة كتب، و صلت إليه من الأندلس[4].

وقبل وفاته بقليل سنة 685هـ/1286م، أنشأ السلطان أبو يعقوب مدرسة أخرى بمراكش[5]. و مسجدًا جامعا بمكناس يضم مدرسة، كما أنشأ مدرسة أخرى في فاس البالي في مسجد جامع القرويين و ابتنى في هذه الأخيرة دارًا لطلب العلم[6].

2/ <u>مدرسة فاس الجديد أو مدرسة دار المخزن :</u> شيدها السلطان أبو سعيد عثمان الثاني بن يعقوب (710-732هـ) /(1310-1331م)[7].

([1]) محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 108.

([2]) السلاوي، المصدر السابق، ج3، ص 65.

([3]) نفسه، ص 65.

([4]) في العبور الرّابع لأبي يوسف يعقوب إلى الأندلس سنة 684هـ/1285م قام بغزوة واسعة في بلاد قشتالة ممّا اضطرّ الملك سانشو إلى طلب الصلح و بالفعل تمّ الصلح بين الجانبين، و تعهّد هذا الملك باحترام حدود مملكة غرناطة و الكفّ عن العدوان عليها و على تجار المسلمين، فأرسل سانشو إلى أبي يوسف ثلاثة عشر حملة من الكتب العربية التي كان النصارى يجمعونها و يحرقونها، فكانت هذه الكتب نواة المكتبة السلطانية في فاس. انظر، حسين مؤنس، مرجع سابق، ص 27.

([5]) محمد عيسى الحريري، مرجع سابق، ص 324.

([6]) حسين مؤنس، مرجع سابق، ص 29.

([7]) السلاوي، مصدر سابق، ج3، ص 175، 176.

3/ مدرسة الصهريج أو المدرسة الكبرى : بناها الأمير أبو الحسن المريني في عهد والده السلطان أبو سعيد عثمان، و استغرق بناؤها عامين (721-723هـ) (1321-1323م)[1]، تقع بالقرب من جامع الأندلسيين بفاس، و هي عبارة عن مجمّع معماري متكوّن من مدرسة الصهريج " أو المدرسة الكبرى و المدرسة الصغرى أو مدرسة السبعين، و دار للضيافة عرفت بدار أبي حبسة "، حسب اللّوح التأسيسي للمدرسة، لكن سقطت هذه الدّار كليا وأعيد بناؤها سنة 1946م[2].

وتحتوي هذه المدرسة على حوض كبير يتوسط صحنها نُقِلَ إليها من الأندلس[3]، عبر البحر، و هو حوض كبير من الرّخام الأبيض، و كانت تدعى أيضا بمدرسة الرّخام، و لعلّ هذه التسمية تنسب إلى هذا الحوض، و قد وضع هذا الأخير في هذه المدرسة سنة 725هـ/1325م، و بعدها حُوّل إلى المدرسة المصباحية بعد بنائها، و لا زال يتواجد بها إلى يومنا هذا. و تضمّ هذه المدرسة كتلتين رئيسيتين: أولهما المدرسة نفسها والثانية قاعة الوضوء، ويتوسط هذه المدرسة صحن مستطيل، تليه قاعة الصلاة جنوبًا، و يقع مدخل هذه القاعة مع المدخل الرّئيسي للمدرسة[4].

لكن يبدو أنّ هذه المدرسة تعرّضت إلى تشوّهات كبيرة في زخارفها ولتدهور كبير في الفترة الإستعمارية و قبلها رغم الترميمات التي أجريت عليها في عهد السعديين الذين أعادوا بناءها بالكامل تقريبا [5].

4/ مدرسة السبعين : بناها الأمير أبو الحسن، في نفس الفترة التي بنيت فيها مدرسة الصهريج (721-723هـ/1321-1323م)؛ وتعدّ ملحقة لها لإتصالها بها و صغر حجمها الذي لا يتعدى نصف حجم مدرسة الصهريج، و هي تتصل معها في

([1])السلاوي ، المصدر السابق ، ج3، ص 175، 176.

([2]) العربي لقريز، مدارس السلطان أبي الحسن (مدرسة سيدي أبي مدين نموذجا، دراسة أثرية و فنية)، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، تلمسان، 2000- 2001، ص 34.

([3]) جلب هذا الصهريج من مدينة ألمرية الأندلسية في عهد السلطان أبي الحسن المريني، طوله 3,20 م، و عرضه 1,5م. نقل إلى المدرسة المصباحية بعد إتمام بنائها سنة 747هـ/1347م.

([4]) العربي لقريز، المرجع سابق، ص 35.

([5]) نفسه، ص 37.

الجدار الشرقي الجنوبي بواسطة باب يفتح على قاعة صلاة المدرسة الكبرى – الصهريج – في الجدار الشرقي لها وسميت بمدرسة السبعين لأنها خصّصت للقراءات السبع[1]، و تتكوّن هذه المدرسة من صحن مكشوف ، قاعة للصلاة و غرف للطلبة و المقرئين.

إلاّ أنّ هذه المدرسة هي الأخرى عانت التخريب، فأجريت عليها ترميمات أفقدتها زخرفتها الأصلية، بحيث أعيد تشكيل معظمها.

5/ مدرسة العطّارين بفاس : بناها السلطان أبو سعيد، و قد شرع العمل فيها سنة 723هـ/1323م. و انتهت سنة 725هـ/1325م[2].

6/ المدرسة المصباحية بفاس: بناها السلطان أبو الحسن بالقرب من جامع القرويين وعرفت بهذا الإسم نسبة للعالم "مصباح بن عبد الله" الذي درس بها لأوّل مرّة[3] وقد تزامن بناؤها مع بناء "مدرسة العبّاد" بتلمسان سنة 747هـ/1347م، وتحتوي هذه المدرسة على عدد كبير من الغرف التي تقدر ب 117 غرفة خصصت لإيواء الطلبة حتى بداية القرن الماضي، غير أنّ الترميمات التي تعرّضت لها أفقدتها جمالها الأصيل[4] وكسابقاتها تضم هذه المدرسة صحنًا يتوسط الحوض الكبير أو الصهريج الذي جُلب من مدرسة الصهريج بأمر من السلطان أبي الحسن نفسه[5]، و قاعة للصلاة، و غرف للطلبة موزعة على ثلاث طوابق، و بيوت للوضوء

(1) كان يقرأ فيها القرآن على حسب التلاوات السبع المشهورة للقرآن و هي : قراءة نافع و قراءة ابن كثير الدّاري وأبي عمر و اليحصبي و اليحصبي، و حمزة ابن حبيب و قراءة الكسائي، أنظر في ذلك محمد الزحيلي، مجمع العلوم الإسلامية، ط2، دار المعرفة، دمشق، ط2، 1992، ص 149.

(2) G. Marçais, l'architecture …, p 286 .

– وأيضا، عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، ص 314.

(3) هو أحد العلماء المقرّبين للسلطان أبي الحسن، انظر، عبد الهادي التازي، جامع القرويين المسجد و الجامعة بمدينة فاس، ج2، دار الكتاب اللّبناني، 1973، ص 359، راجع ترجمته في الفصل الخاص بعلماء بني مرين.

(4) بقيت المدرسة المصباحية مشغولة بالطلبة حتى بداية القرن الماضي إلى سنة 1919م، انظر، شارل أندري جوليان، ج2، المرجع السابق، ص 214، و أيضا، محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 324.

(5) تعرف كذلك بمدرسة الخصّة كما جاء في ألواح الحبوس، نسبة إلى الحوض العظيم الذي جلب إليها من فناء مدرسة الصهريج، انظر، عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص 359.

يفصلها عن مدخل القرويين مدخل مستقل حسبما يذكر التازي بأنّه توجد لوحة رخامية تصل الميضاة بأحد أبواب جامع القرويين يستعملها الطلبة كممرّ يمشون فوقها حفاةإلى المسجد بعد الوضوء مباشرة، و تعدّ هذه المدرسة أغنى المدارس المرينية لما توفّره لها عائدات الحبوس من غابات الزيتون و البساتين و خزائن الدباغة و الحوانيت التي تدرّ بعائداتها على الطلبة و المدرّسين، لكن و رغم هذا الثراء إلاّ أنّ المدرسة عرفت تصدّعًا كبيرًا في هيكلها، فأغلقت تمامًا في مطلع القرن الماضي[1].

7/ **المدرسة البوعنانية بمكناس:** بعد إعتلاء أبي عنان عرش بني مرين شرع في بناء سلسلة من المدارس حملت إسمه، و منها المدرسة البوعنانية بمكناس التي بدأت الأشغال فيها على عهد السلطان أبي الحسن في حدود سنة 745هـ/1345م غير أنها لم تكتمل إلاّ في عهد إبنه و لذلك حملت إسمه و هي تقع بالقرب من الجامع الكبير بمكناس، وهي كمثيلاتها من المدارس المغربية تضم صحنا يتوسطه حوض مربّع و قاعة للصلاة، و غرف للطلبة موزعة على طابقين أرضي وعلوي، وبيوت للوضوء. وأهم ما يميّز هذه المدرسة مدخلها الشاهق الملبس بالنحاس والذي يشبه إلى حد ما بوابة جامع المنصورة بتلمسان. و بوابة سيدي أبي مدين بالعبّاد، أجريت لها ترميمات عديدة جعلتها تفقد أصالتها الفنية والزخرفية و قد أعيد بناؤها كلية سنة 1919م[2].

8/ **المدرسة البوعنانية بفاس :** و تدعى المدرسة المتوكلية كذلك، و هو أحد ألقاب منشئها السلطان أبو عنان، و يقول عنها حسن الوزّان بأنّها تمتاز بروعة فائقة سعة و جمالاً[3]. و تعد هذه المدرسة ختامًا لسلسلة المدارس العظمى التي أنشأها بنو مرين.

([1])عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص 363.

([2]) العربي لقريز، المرجع السابق، ص 48-، 49.

([3]) الحسن الوزّان ، المصدر السابق، ج1، ص 215، وص225-226.

9/ مدرسة أبو الحسن – سلا : تعتبر هذه المدرسة من أحسن المدارس المرينية شكلاً و رونقًا، و أرفع المباني القديمة و أتقنها و ضعا و إحكاما و لطفًا و ظرفًا وقد أودعها الصنّاع من بديع الصنائع ما لا مزيد عليه من الحسن والإتقان وحالها اليوم شاهدة بذلك.

كان إبتداء بنائها سنة ثلاث و ثلاثين و سبعمائة، حسبما هو مكتوب على بابها نقشا في الخشب الذي هو فوق القوس الحجري و نصّ ذلك : «اقتضى أمر أمير المسلمين هذه السنة في أسعد حين لثلاث و ثلاثين بها أسّست و السبعمائة، أضرعوا الله في النصر له و أدخلوها بسلام آمنين». وتم بناؤها يوم الجمعة التاسع عشر لجمادى عام اِثنين و أربعين و سبعمائة حسبما هو مكتوب برخامتها المنصوبة بحائطها الجوفي بداخل المدرسة[1].

أمّا عن بانيها فهو السلطان أبو الحسن المريني[2] دفين شالة المتوفى سنة 752هـ، و هو المعروف عند العامة بالسلطان الأكحل لشهرة لوته[3].

ونظرًا لوفرة أحباس المدرسة التي كان قد أوقفها عليها السلطان أبو الحسن، لأجل العلم و العلماء و الفقهاء من الطلبة و المتعاطين القراءة و توزيع الأموال التي تستفاد من تلك الأحباس على من ذُكر من المدرّسين و المتعاطين، كان الطلبة بها كثيريين جدًّا، و المدرّسون، و يذكر أنّ الوزير ابن الخطيب السلماني ورد عليها فلقيه بها من شعرائها عدد كبير ينيف على المائة شاعر في مختلف القافيات و الأوزان و ذلك ما جعله يفضل السكن بها مدّة من عمره عند خروجه من الأندلس[4].

([1]) مجلة دعوة الحق، العدد 293، السنة 33، 1992 م، ص 31.

([2]) الإستقصاء، ج3، ص 175.

([3]) أبو الحسن المريني هو واسطة عقد الأسرة المرينية ولد في صفر 697هـ و بويع يوم الجمعة 25 ذي القعدة سنة 73هـ، و توفي بجبل هنتاتة جنوبي مراكش ليلة الثلاثاء 27 ربيع الأول سنة 752هـ، و نقل بعد دفنه بمراكش إلى شالة فدفن بها، انظر، الإستقصاء، ج3، ص ص 118، 179.

([4]) مجلة دعوة الحق ، المرجع السابق، ص 31. وأقام بهاثلاث سنين صحبة أهله .

وقد كانت تدرّس بها سائر العلوم الشرعية و سواها ما بين رسائل من علوم اللّسان و مقاصد من علوم الدّين و كماليات من علوم التصوّف و الفلسفة والصنائع، و أفاد ابن الخطيب في كتابه "مُثلى الطريقة في علم الوثيقة"[1] أنّ أهل سلا في عصره أواسط المائة الثامنة للهجرة كانت لهم مشاركة في سائر العلوم واختصاص ببعضها التي لا يتعاطاها سواهم إذاك و الدّليل على الإختصاص المذكور أنّ أعيان علماء فاس في ذلك الزمان كانوا يرحلون إلى سلا لأخذ الطب و التصوّف عن أساتذتها كالعلاّمة الطبيب ابن غياث السلوي[2]، و الطبيب الماهر أبي الفضل العجلاني السلوي[3]، و كلاهما له تأليف في الطب و التشريح والعلاج، و كانا يديران الأعمال العلاجية و الدراسة بمارستان أبي عنان المريني[4]، بداخل مدينة سلا في حدود 760هـ، و يأخذان علم التصوّف حالا ومقالاً عن الشيخ الصوفي سيدي الحاج أحمد بن عاشر الأندلسي[5]، والخطيب الصالح أبي الحسن سيدي علي بن أيوب[6]، و الولي الكبير سيدي عبد العزيز الصنهاجي[7].

وذكر المؤرّخ أبو عبد الله الحضرمي في تاريخ نسبه المسمّى بلغة الأمنية [8]:

" أنّ الإمام المشارك أبا عبد الله محمد بن المجراد السلوي[9] كان من أهل المشاركة في كثير من العلوم التي منها : الطب، و التشريح، و سواهما ".

([1]) أو مثلى الطريقة في ذمّ الوثيقة، مخطوط خ ح 10976، ص 7، 9.

([2]) دعوة الحق، ص31 ، ص 32، و في حاشية الأصل : المعروف بسيدي مغيث صاحب المشهد بطالعة سلا.

([3]) دعوة الحق، ص 34.

([4]) نفسه، ص 35.

([5]) نفسه، ص 35.

([6]) نفسه، نفس الصفحة.

([7]) نفسه، ص 36.

([8]) هو كتاب بلغة الأمنية و مقصد اللبيب، فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرّس و أستاذ و طبيب لمؤلف مجهول، تحقيق عبد الوهّاب بن منصور، المطبعة الملكية، 140هـ-1984م.

([9]) محمد حجّي، سيدي الإمام السلاوي 788هـ/1376م، مجلة أبو رقراق، جمعية أبي رقراق، سلا، العدد 9، سبتمبر 1991، ص 39- 40، نقلا عن الشبكة : www.habous.gov.ma.p.3

وكان لهذا العهد من علماء سلا الأعيان أبو محمد عبد الله بن الصبّاغ السلوي المتوفي عام 747هـ[1]، و الشيخ أبو الحسن علي بن موسى المطماطي السلوي المتوفي عام 773هـ، أوّل من درس بها العربية و الفقه و التفسير، و تولى مشيخة المدرسة لعهد السلطان بانيها، العلامة ابن إبراهيم بن علي الأنصاري المالقي الأندلسي المعروف بسلا إلى هذا العهد بسيدي علي الغرناطي[2].

وقد قال ابن الخطيب في الإحاطة في حقه: «يُكنى أبا الخير[3]، صاحبنا حفظه الله، حاله آية الله في الحفظ، و ثقوب الذهن[4] و النجابة في الفنون وفصاحة الإلقاء، و خريج طبعه و تلميذ نفسه و مبرز إجتهاده إمام في اللغة العربية لا يشق له فيها غبار حفظًا و بحثا و توجيها و إطلاعًا و عثورًا على سقطات الأعلام ذاكر للّغات و الآداب، قائم على التفسير مقصود للفتيا عاقد للوثيقة، مشارك في الفنون ينظم و ينثر، فلا يعدو الإجابة و السداد سيلقي[5]، الصدر، أبي النفس، كثير المشاركة مُجدي للصحبة، بعيد عن التسمّت، رحل عن بلده مالقة بعد التبريز في العدالة و الشهرة بالطلب[6]، فاستقر في المغرب بسلا و استوطن بها رئيس المدرسة بها، مجمهرًا بكرسيها فارعا بمنبرها بالواردة السلطانية يفسّر كتاب الله بين العشاءين شرقًا، كثير العيون، محذوف الفصول[7]، بالغًا أقصى مبالغ الفصاحة مسمعًا على المحال النائية[8]، و يدرس بين الغدوات بالمدرسة دولاً في العربية و والفقه أخذه بزمام النبل مترامية إلى أقصى حدود الإطلاع، و حضر المناظرة بين يدي السلطان فاستأثر بشقص من وعيه، و أعجب بقوة جأشه وأصالة حفظه فانمى جراياته و نوّه به»[9].

---

(1) مجلة دعوة الحق ، مرجع سابق، ص 34.

(2) ابن الخطيب، المصدر السابق، ج4، ص ص 116-120 و أيضا، دعوة الحق، ص 33، عن الإتحاف، ص 182.

(3) و في الإحاطة أبا الحسن.

(4) و في الإحاطة، الذهب.

(5) في الإحاطة سليم.

(6) في الأصل في الطبّ .

(7) في الإحاطة الفضول.

(8) في الأصل النائية و في الإحاطة النابية.

(9) الإحاطة، ج4، ص 116، 117.

ولم تزل هذه المدرسة السلوية يتولّى التدريس بها فحول العلماء، و أعيان القضاة الواردين عليها من الآفاق تنفيذاً لشرط أبي الحسن المريني المحبس وإغتنامًا لما يعود من النفع العام بتعليم العام و الخاص بحيازة جزء من مال الوقف يستعان به على لوازم الحياة.

فمن المدرّسين بها من أعلام أهل سلا الفقيه المشارك النظار أبو القاسم محمد بن داود بن الفخّار السلوي(1)، كان يقوم على تدريس مختصري ابن الحاجب الأصلي و الفرعي توفي آخر المائة الثامنة، والقاضي العلاّمة المشارك النظار سعيد العقباني التلمساني(2)، و القاضي الفقيه الفرضي أبو الحسن علي بن عطية المكناسي الونشريسي(3)، كلاهما ولي قضاءها لبني مرين، و من فقهائها القاضي العلاّمة المشارك أبو محمد عبد الله بن سعيد السلوي(4)، من أقران الذي قبله علما و تحصيلا، و زاد عليهم بالرّحلة إلى مصر و الحجاز فأضاف إلى معلوماته علمًا جمًّا و أسانيد عالية، و ولده العلاّمة المشارك الرّحالة أبو سعيد فرج بن عبد الله بن أبي سعيد السلوي، شيخ أشياخ الإمام ابن غازي المكناسي، و الإمام العلاّمة المشارك المدرّس المقرئ أبو عبد الله محمد بن عمران الفنزاري السلوي المعروف بإبن المجرد(5) و آخرين يطول تعدادهم.

آخر من درس بها العلوم من أهل عصرنا: الفقيه العلاّمة الفصيح البليغ السيد أحمد بن محمد بن موسى الحسناوي الهمساسي(6) الأصل السلوي الولادة و النشأة و القراءة و الوفاة و المدفن، كان يقرأ بها علومًا متعدّدة كالنحو و البيان و المنطق و الأصول و التوحيد و الفقه والحديث و التصوّف و سواها من سنة 1302هـ إلى سنة 1310هـ، حيث انقطع التدريس بها منذ ذلك الحين، و لعلّ السبب في ترك القراءة و التدريس بها راجع إلى مجاورتها للمسجد الأعظم و

(1) مجلة دعوة الحق، مرجع سابق ، ص 33.

(2)الإحاطة، ص 178، وأيضا، دعوة الحق، ص 33.

(3) الإحاطة ، ص 144، وأيضا، دعوة الحق، ص 34.

(4) الإتحاف، ص 135.

(5) مجلة دعوة الحق، ص38.

(6) نفسه، ص39.

إضافة أحباسها لأحباسه و كونها ضيقة المساحة لا تسع حلقات الدروس المتعدّدة و تعدّد الفقهاء والتلاميذ و الطلبة و تباين المعارف و العلوم و المسجد الأعظم جوارها متسع المساحة، ويمكن أن تدرّس فيه سائر العلوم بسائر الأوقاف مع تعدّد المدرّسين والطلبة من غير حصول تشويش و لا اختلاط بخلاف المدرسة المذكورة، فلا يتأتى أن يعقد فيها مجلسان في آن واحد، لكن استقرار الطلبة لم يزل معروفًا بها في القديم و الحديث : و هناك يشتغلون بالمطالعة و الكتابة و حفظ أمّهات العلوم التي يدرسونها على أشياخهم بالجامع الأعظم، و كثيرًا ما كان يستقر بها الفضلاء الصالحون و العبّاد الزاهدون و آخر من استقر بها من صلحاء عصرنا الفقيه المؤدب سيدي محمد بن سالم الحناوي[1] المتوفى سنة 1325هـ.

ج- الزوايا :

شيد المرينيون العديد من الزوايا سواءًا بالمغرب الأقصى أو بالمغرب الأوسط عند احتلالهم له كزاوية سيدي الحلوي.

أمّا عن زوايا المغرب الأقصى فهي كثيرة، مثل زاوية مقبرة سلا[2]. و الزاوية المتوكلّية التي بناها السلطان أبو عنان نفسه و بنفس المدينة و هي معاصرة لزاوية سيدي الحلوي[3].

([1]) دعوة الحق، ص 38.

([2]) شيّد السلاطين المرينيين هذه المقبرة في سلا بجوار الرباط دفن أكثرهم فيها مثل: أبي يوسف، و ابنه أبي يعقوب، و وأبي ثابت و أبي سعيد عثمان، و آخرهم أبي الحسن الذي أجرى فيها أعمالاً جليلة و أحاطها بسور حيث وجد نصّ تأسيسي في لوحة منقوشة بكتابة نسخية كانت تعلو المدخل التذكاري للمقبرة حيث تشير إليها بصيغة رباط و في تاريخ يعود لفترة أبي الحسن. و بنيت داخل أسوار هذا الرباط العديد من القباب و الأضرحة على قبور السلاطين المرينيين ومن دفن معهم من العلماء و الأولياء. كما ضمّت هذه الأسوار مصلّيات أو خلوات أو زوايا أهمّها الخلوة أو الزاوية المعروفة باسم خلوة سلا التي أسسها أبو الحسن قبل وفاته بأربعة عشر سنة.
أمّا عن اللّوح التأسيسي للمقبرة فانظر : G. Marçais, l'architecture…, p 282

([3]) ابن الحاج النميري، فيض العباد، و إفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة و الزّاب، دراسة و إعداد محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص 93-94، و ص ص 206-209.

ويسبق ذلك كلّه رباط تافرطاست[1] أو زاوية تافرطاست التي بناها أبو يوسف يعقوب سنة 684هـ/1285م[2] بالقرب من مكناسة، و التي خصّصت لتلاوة القرآن على روح الأمير المريني أبي محمد عبد الحق بن محيو و ولده إدريس اللّذين قتلا في معركة واجرهان سنة 614هـ/1217م، ضدّ بني عمومتهم بنو عسكر و مناصريهم عرب رياح[3].

وقد اِختلف ابن أبي زرع و ابن خلدون في التعبير الإصطلاحي للمبنى الذي شيّده أبو يوسف، فالأول يسميه الزاوية و الثاني يسمّيه الرّباط، ممّا يؤدّي بنا إلى واحدية المعنى و تشابه الوظيفة.

و يقول ابن مرزوق في هذا الصّدد : «و الظاهر أنّ الزوايا عندنا في المغرب هي المواضع المعدّة لإرفاق الواردين و إطعام المحتاج من القاصدين، و أمّا الرّبط على ما هو المصطلح عليه في المشرق فلم أر في المغرب على سبيلها و نمطها إلاّ رباط سيدي أبي محمد صالح و الزاوية المنسوبة لسيدنا أبي زكريا يحيى بن عمر (نفع الله بهم) بسلا غربي الجامع الأعظم منها. و لم أرَ لهما ثالثا على نحوهما في ملازمة السكّان و صفاتهم وشبههم بمن ذكر نفع الله بهم»[4].

2- أصناف العلوم النقلية والعقلية:

رغم المكانة السياسية والعسكرية التي تبوأتها دولة بني مرين إلا أنها لم تركز جهودها على هذا الجانب فحسب لضمان بقائها واستمراريتها، بل أدركت أنها لا بد أن ترتكز على أسس متينة وقوية تحقق أهدافها البعيدة الرامية إلى توحيد المغرب الإسلامي تحت لوائها، وإنشاء دولة مترامية الأطراف.

ولذلك أولى سلاطين بني مرين الجانب العلمي والفكري اهتماما كبيرا، فقربوا العلماء من مجالسهم وأغدقوهم بالأموال لتحفيزهم على الإبداع والنشاط، وأعطوهم مطلق الحرية في التنقل لانتهال العلوم والتحصيل، فتنوعت على عهدهم العلوم وازدهرت، وتوافد طلاب

---

(1) عبد الرحمان، بن خلدون ، المصدر السابق، ج7، ص 435.

(2) ابن أبي، زرع ، المصدر السابق، ص 257.

(3) الذخيرة السنية، ص 33.

(4) ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 413.

العلم من كل صوب وحدب علىفاس وغيرها من حواضر المغرب الأقصى للإيجازة والتحصيل، وكان اهتمام علماء بني مرين بمختلف العلوم النقلية والعقلية، إلا أنهم أولوا العلوم الدينية كالتفسير والفقه والحديث عناية خاصة.

2-1- العلو م النقلية :

أ- العلوم الدينية (الفقه ، التفسير، الحديث):

ومن أعلامها:

1- علي بن محمد بن عبد الحق، القاضي أبو الحسن الزرويلي المعروف بالصُّغير:

شيخ الشيوخ، و إمام الفقهاء، العلامة العلم، البحر، المفتي، المرجع؛ ولد حوالي 600هـ، كان أحد مفتيي المالكية في المغرب، مرجوعًا إليه في مسائل الدّين و الدّنيا، توفى حوالي سنة 719هـ، و عمره نحو المائة و العشرين عامًا، درّس بجامع القرويين بفاس، فتخرّج بين يديه العديد من العلماء و الفقهاء الذين ذاع صيتهم، فكان أحد الأقطاب الذين تدور عليهم الفتوى، تَرِدُ عليه الأسئلة من جميع بلاد المغرب، فيحسن التوقيع على ذلك.

أقام أوده و عضده فانطلقت يده على أهل الحياة، فأقام الحق على الكبير والصغير وجرى في تولّي القضاء بفاس، قدّمه أبو الرّبيع سلطان المغرب، أخذ عن صهره أبي الحسن بن سليمان و أبي عمران الحوراني، و عن الفقيه راشد بن أبي راشد الوليدي، وانتفع به و عن أبي سالم بن أبي يحيى.

اشتهر بالرّد على أهل البدع عمومًا و الصوفية خصوصًا. من تآليفه : "شرح الشاطبية"، و له رسالة عنوانها "الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر"، و رسالة أخرى وجدت في إحدى الفهارس المجهولة الإسم، و كتاب "فهرس مَا لم يُفهرس" من المخطوطات المغربية في الخزانات و له فتاوى جمعها عنه تلاميذه، وكتاب "الدّر النثير على أجوبة أبي الحسن الصّغير"، كُتب عليه تأليف أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلي التسولي التازي المعروف بابن أبي يحيى، جَمَعه أبو سالم اِبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر، و وضع رُتَبَهُ و نَسَّق أبوابه أبو سالم اِبراهيم بن هلال بن علي

السلجماسي قاضي سلجماسة عليها تقييدات، فرغ من تأليفه يوم عيد الأضحى عام 900هـ.

وله كتاب شرح تهذيب المدوّنة للبراذعي قال عنه الإمام العالم أبو عبد الله بن مرزوق : «هو شيخ الإسلام جمع بين العلم و العمل، و بِمَقامه يُضرب المثَلُ في التفقه والتحصيل». و للإشارة فهناك إمام آخر اِشتهر بهذا الإسم أي أبي الحسن الصغير المكناسي، لكن هذا الأخير كان متأخّرًا، و هو الذي ردّ على السّنوسي الصّوفي الأشعري في كتاب سمّاه "نصرة الفقير في الرّد على أبي الحسن الصغير"، و جاء ذلك إثر تأليف المكناسي لكتاب اِسمه : " الردّ على الفقراء " شنّع فيه على الصوفية و بيَّنَ ضلالهم[1].

2- القبّاب :

الإمام الحافظ العلامة الصالح الزاهد، أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن، أحد الحفاظ المشهورين بالدّين و الصلاح و التقدّم في العلوم، تولّى الفتيا بفاس، و له فتاوى مشهورة، و هو أوّل من نقل الونشريسي عنه في المعيار، أخذ عن الحافظ السطّي و أبي الحسن بن فرحون المدني و القاضي الفشتالي و عن الإمام الشاطبي، و الصالح عمر الرّجراجي و غيرهم[2].

ذكره اِبن الخطيب في الإحاطة فقال: هو من صدور عدول فاس فقيه نبيه جيّد النظر سديد الفهم، ولي قضاء جبل الفتح (جبل طارق)، متصفا بجزالة و دخل غرناطة عام اِثنين و ستين و سبعمائة موجها من قبل سلطان المغرب أبي سالم بن أبي الحسن، ثمّ رفض العيش من الشهادة و تنسك على عادة الفضلاء[3] و قال عنه اِبن الخطيب القسنطيني : «شيخنا الفقيه الحافظ، الصالح المفتي الحاج أبو العباس، حضرت مجلسه في الحديث و الفقه و أصول الدّين، توفي سنة تسع و سبعين و سبعمائة، هكذا في رحلته،

([1])أبو الوليد أيوب الخريبكي، " أبو الحسن الصغير "، مجلة دعوة الحق ، مطبوعات وزارة الأوقاف المغربية، على الموقع: **www.ahlalhadeeth.com**

([2]) نيل الإبتهاج، ج1، ص 100.

([3]) الإحاطة، ج1، ص 187.

وزاد في وفياته شيخنا الفقيه المحقق، له شرح حسن على قواعد عياض، و شرح بيوع ابن جماعة، لازمت درسه بفاس في الحديث و الفقه و الأصلين»[1].

من آثاره: إختصار أحكام النظر لإبن القطان أسقط فيه الدّلائل و الإحتجاج وشرحه على القواعد في غاية الإتقان، و له مباحث مشهورة مع الإمام الشاطبي في مسألة مراعاة الخلاف في المذهب أحسن فيها غاية الإحسان، و نقل عنه البرزلي في ديوانه، و وصفه بالعلم و الصلح.

وقع بينه و بين الإمام سعيد العقباني مناظرة بل مناظرات و مراجعات في مسائل جمعها العقباني في كتاب سمّاه : «لباب اللّباب في مناظرة القباب»[2].

3-محمد بن سليمان السّطي [3]:

الفقيه حافظ المغرب، العلامة الفرضي الجليل، أخذ العلم عن إمام المالكية بالمغرب أبي الحسن الصّغير و تفقه عليه، و كان أحفظ الناس للمذهب و أفقههم فيه، أخذ الفرائض عن أبي الحسن الطنجي، ختم عليه الحوفية ثماني ختمات، و كان له في فهمه و إقرائه وحلّ عقده اليد الطولى، إختاره السلطان أبو الحسن المريني مع جماعة من العلماء لصحبته إلى تونس[4]. من تآليفه : تعليق صغير على المدوّنة و شرح جليل على الحوفية و تعليق على ابن شاس فيما خالف فيه المذهب.

أخذ عنه ابن عرفة و العقباني و ابن خلدون، و المقرّي، و العبد و سي الكبير، والخطيب ابن مرزوق، و القباب.

حظي بمكانة مرموقة عند أبي الحسن المريني، إذ كان يؤم به و مفتيه و خطيبه، نشأ مكبًّا على النظر و القراءة و التقييد حتى في مجلس السلطان.

---

(1) نيل الإبتهاج، ج1، ص 100.

(2) نفسه، ص 102.

(3) السطي نسبه إلى سطة بطن من قبيلة أوربة.

(4) نيل الإبتهاج، ج2، ص 62- 63.

حضر مع السلطان أبي الحسن واقعة القيروان و خلص معه إلى تونس و أقام معه بها نحوًا من سنتين ثمّ توفي غريقًا في سواحل بجاية مع من غرق من الفضلاء وغيرهم[1].

4- إبراهيم بن عبد الكريم أبو إسحاق [2]:كان فقيها مدرّسًا بمكناسة الزيتون، يقدّر أقوال الأئمة و كلام الناس و يعلم الصبيان، توفى بعد سبعة عشر و سبعمائة.

5- إبراهيم بن حكم الكناني السلوي الشهير بأبي إسحاق :

يقول تلميذه أبو عبد الله المقري في مشيخته: «هو شيخنا مشكاة الأنوار يكاد زيتها يضيء و لو لم تمسسه نار، ورَدَ على تلمسان بعد العشرين و السبعمائة، ثم لم يزل بها إلى أن قتل يوم دخلت على (يد) بني عبد الوادي في ثامن عشرين من رمضان عام سبعة وثلاثين»[3].

6- محمد بن الصبّاغ الخزرجي المكناسي :

يقول عنه ابن خلدون : «كان مبرزًا في المنقول و المعقول عارفا بالحديث ورجاله، إمامًا في معرفة كتاب الموطّأ و إقرائه، أخذ العلوم عن مشيخة فاس و مكناسة، و لقي شيخنا أبا عبد الله الآبلي و لازمه و أخذ عنه العلوم العقلية فاستنفذ بقية طلبه عليه فبرّزَ آخرًا، و اختاره السلطان فاستدعاه و لم يزل معه حتى هلك غريقا في ذلك الأسطول، يعني أسطول أبي الحسن آخر سنة خمسين و سبعمائة»[4].

كان ابن الصبّاغ من كبار العلماء فقيها شهيرًا عالمًا علاّمة اجتمع في رحلته إلى تونس التي استصحبه فيها السلطان أبو الحسن بالإمامين ابن عبد السلام و ابن هارون والإمامين أبي زيد و أبي موسى ابني الإمام فأخذ معهم في العلم و أعطى. و ممّن مات معه في ذلك الأسطول الفقيه الحافظ السطّيّ و الأستاذ الزواوي، له نظم في علاقات المجاز[5].

---

(1) التعريف بابن خلدون، ص 33.

(2) نيل الإبتهاج، ج1، ص 23.

(3) نفسه، ص 24.

(4) التعريف بابن خلدون، ص 46.

(5) نيل الإبتهاج، ج2، ص 65.

7- موسى بن محمد بن معطي العبدوسي [1]:

و به عرف أبو عمران الفاسي مدرّسها و عالمها و مفتيها، قال عنه ابن الخطيب القسنطيني : «شيخنا و مفيدنا طريقة الفقه الشيخ الحافظ، مجلسه بفاس أعظم المجالس يحضره الفقهاء و المدرّسون و الصلحاء و حفاظ المدوّنة يحضره من نسخها بيد الطلبة نحو أربعين».

و يذكر ابن الخطيب : «بأنّ الشيخ العبدوسي كان آية الله في المدوّنة، و كان الشيوخ يقولون : فقهاء العصر على ثلاثة أقسام : من أعطى الحفظ فقط و من أعطى الفهم فقط و من جُمعا له و هو سيدي العبدوسي، و قد قيّد عنه شيخنا الفقيه الحافظ عمر ابن موسى تقييدًا كبيرًا في عشرة أسفار على المدوّنة، و له تقييد آخر عليها و آخر على الرسالة».

و يقول في موضع آخر : «كان له في الفقه مجلس لم يكن لغيره في زمانه، لازمته في المدوّنة و الرّسالة بفاس ثماني سنين».

و ممّن كان يحضر مجلسه من كبار الصالحين ابن عبّاد و أبو حفص الرجراجي وأبو عبد الله الهواري و غيرهم من الأئمة.

8- محمد بن موسى بن محمد بن معطي العبدوسي [2]:

أبو عبد الله بن أبي عمران، و صفه بعضهم بالفقيه المدرّس العالم الخير الأزكى الورع الصالح العلامة ابن الإمام العلاّمة، كان حيًّا بعد التسعين و سبعمائة، و هو والد الإمام عبد الله العبدوسي، و أخو أبي القاسم العبدوسي، والده الإمام الحافظ موسى العبدوسي.

([1]) نيل الإبتهاج، ج2، ص 300، 301.

([2]) نفسه،ج 2، ص 148، 149.

9- عبد الله بن محمد موسى بن معطي العبدوسي :

الفسي مفتيها و عالمها و محدثها و صالحها الإمام الحافظ العلامة الصالح، ولي الفتيا بالمغرب الأقصى و إمامة جامع القرويين بفاس، و مات فجأة و هو في صلاة سنة تسع و أربعين و ثمانمائة[1].

وقال عنه الشيخ أحمد زروق : «كان أبو محمد العبدوسي عالمًا صالحًا مفتيا حُملت إليه و أنا رضيع و لم أزل أتردد إليه في ذلك السن لكون جدتي تقرأ عليه مع أختيه فاطمة و أم هانيء و كانتا فقيهتين صالحتين، و كان قطبا في السخاء إمامًا في نصح الأمة أمات كثيرًا من البدع بالمغرب و أقام الحدود و الحقوق..و كان أكثر علمه فقه الحديث».

تخرّج به جماعة من العلماء كالفقيه المحقق ابن أملال، و الفقيه القوري، و أبي محمد الورياجلي و غيرهم.

له نظم حسن مشهور في مسألة شهادة السماع نقله، و نقل عنه الونشريسي جملة من الفتاوى[2].

10- أم هانئ بنت محمد العبدوسي [3]:

الفقيهة الصالحة أخت الإمام الحافظ عبد الله العبدوسي، قال عنها الشيخ زرّوق في كناشته : «كانت فقيهة صالحة ذات علم و صلاح، طعنت في السنّ إلى قرب المائة، توفيت سنة ستين و ثمانمائة، و هي آخر فقهاء هذه الأسرة الشريفة».

11- الشمّاع : أحمد بن محمد الهنتاتي أبو العبّاس [4]:

أحد تلامذة ابن عرفة، أخذ عنه الشيخ أبو زيد عبد الرحمن الثعالبي، و ولي قضاء محلّة السلطان أبي فارس، و وقع بينه و بين الحافظ البرزلي نزاع كبير في مسألة العقوبة

---

(1) السخاوي ، المصدر السابق،ج5، ص 67.

(2) نيل الإبتهاج، ج1، ص 249، 250.

(3) نفسه، ج2، ص 316.

(4) نفسه ، ج1، ص 112.

بالمال هل هي جائزة باق حكمها أو منسوخة ؟ فوقع بينهما خلاف كبير و هجو، نقل عنه في المعيار.

12- أحمد بن سعيد القيجميسي المكناسي الخطيب الشهير بالحبّاك [1]:

خطيب جامع القرويين بعد العبدوسي، كان فقيها متصوّفا شاعرًا فصيحًا، ظريفًا علاّمة، نظم مسائل اِبن جماعة في البيوع، كان يدرّس بالمدرسة المتوكّلية المعروفة بأبي عنان ولد سنة أربع و ثمانمائة و توفي في حدود سبعين و ثمانمائة بفاس.

13- خلف الله المجاصي [2]:

الفقيه الحافظ من علماء فاس و شيوخها و أحد الحفاظ بها، كان يحفظ المقدّمات والبيان و التحصيل لاِبن رشد، أخذ عن أبي الربيع سليمان الونشريسي توفي سنة 732هـ.

14- أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بزرّوق[3]:

الإمام العالم الفقيه المحدّث الصوفي الولي الصالح الزاهد القطب الغوث العارف بالله، ذو التصانيف العديدة و المناقب الحميدة و الفوائد العتيدة، قد عرّف بنفسه و أحواله وشيوخه في كناشته و غيرها. فقال : " ولدت يوم الخميس طلوع الشمس ثامن و عشرين من محرّم سنة ست و أربعين و ثمانمائة، و توفيت أمي يوم السبت بعده و أبي يوم الثلاثاء بعده كلاهما في سابعي، فبقيت بعين الله بين جدّتي الفقيهة أمّ البنين فكفلتني حتى بلغت العشر و حفظت القرآن و تعلّمت صناعة الحرز ثمّ نقلني الله بعد بلوغي سادس عشر إلى القراءة فقرأت الرّسالة على الشيخين : علي السّطي و عبد الله الفخّار قراءة بحث و تحقيق، و القرآن على جماعة منهم : القَوْري و الزرهوني و كان رجلاً صالحًا، و المجاصي و الأستاذ الصغير بحرف نافعٍ و اِشتغلت بالتصوّف و التوحيد فأخذت

([1]) نيل الابتهاج، ج1، ص 130، 131.

([2]) نفسه ، ج1، ص 179.

([3]) السخاوي، المصدر السابق، ج1، ص 222 و أيضا، نيل الإبتهاج، ج1، ص 128- 129- 130.

الرّسالة القدسية و عقائد الطوسي على الشيخ عبد الرحمن المجدولي، و بعض التنوير على القوري، و سمعت عليه البخاري كثيرًا و تفقهت عليه في كلّ أحكام عبد الحق الصغرى و جامع الترمذي، و صحبت جماعة من المباركين لا تحصى كثيرة بين فقيه وفقير ".

ومن شيوخه كما ذكر هو : الشيخ الإمام عبد الرحمن الثعالبي، و الولي اِبراهيم التازي، و المشدالي و الشيخ حلولو و السراج الصغير، و الرّصاع و أحمد بن سعيد الحبّاك، و الحافظ التنسي و الإمام السنوسي، و اِبن زكري و أبو مهدي عيسى الماواسي.

وبالشرق عن جماعة كالنور السنهوري و الحافظ الدّيمي، و الحافظ السخاوي والقطب أبي العباس أحمد بن عقبة الحضرمي و ولّي الله الشهاب الإبشيطي و غيرهم.

له تآليف كثيرة منها : شرحان على الرّسالة، و شرح الإرشاد لاِبن عسكر، وشرح مختصر خليل، و شرح الوغليسية و شرح القرطبية و شرح الغافقية، و شرح العقيدة القدسية للغزالي و نيف و عشرون شرحًا على الحكم.

أخذ عنه جماعة من الأئمة كالشمس اللقائي و العالم محمد بن عبد الرحمن الخطاب و الزين طاهر القسنطيني و غيرهم. توفي بتكرين من عمل طرابلس في صفر عام 899هـ.

من نظمه قوله [1]:

ألا قد هجرت الخلق طرًا بأسرهم **** لعلّي أرى محبوب قلبي بمقلتي
و خلفت أصحابي و أهلي و جيرني **** و تيمت نجلي و اِعتزلت عشيرتي
و وجهت وجهي للذي فطر السما **** و أعرضت عن أفلاكها المستنيرة
و علقت قلبي بالمعالي تهمما **** و كوشفت بالتحقيق من غير مرية
و قلدت سيف العز في مجمع الوغى **** و صرت إمام الوقت صاحب رفعة
و مُلكتُ أرض الغرب طرًا بأسرها **** و كلّ بلاد الشرق في طي قبضتي
فملكنيها بعض من كان عارفًا **** و خلفني فيها بأحسن سيرتي
فأرفع قدرًا ثم أخفض رتبة **** لأرفع مقدارًا بأرفع حكمتي

([1]) نيل الإبتهاج، ج1، ص 140، 141.

و أعــزل قــومًا ثــم أولـــي سواهم **** و أعــلى مــنار البعض فوق المنصّة
و أجــبر مــكسورًا و أشــهر حاملاً **** و أرفـــع مــقدارًا بــأرفع هــمّتي
و أقــهر جــبارًا و أدحــض ظــالمًا **** و أنــصر مــظلومًا بسلطان سطوتي
و ألــهمت أســرارًا و أُعطيت حكمة **** و حــزت مــقامات الــعلا المستنيرة
أنـــا لــمــريدي جــامــع أشتاته **** إذا مــا ســطا جــور الــزمان بنكبة
و إن كنت في كرب و ضيق و وحشة **** فــنــاد أيـــا زرّوق، آت بــسرعة
فــكم كــربة تــجلى بــمكنون عزنا **** و كــم طــرفة تجنى بأفراد صحبتي

15- محمد بن الحسين بن محمد بن حمامة الأوربي النيجي الشهير بالصغير(1):

ولد ببلاد نيجة بطن من أوربة عام 803هـــ، و توفي بفاس ليلة السادس شعبان عام 887هـــ، و دفن قريبا من قبر الولي أبي زيد الهرميزي.

قال عنه ابن غازي : «شيخنا الأستاذ العالم الإمام العلامة الشهير الخطيب الكبير وحيد دهره و فريد عصره، ما رأت عيناي قط مثله خلْقا و خُلقًا و إنصافًا و حرصًا على العلم و رغبة في نشره و اجتهادًا في طلبه و إدمانًا على تلاوة القرآن، ...و بلغ في علم النحو ما لم يصل إليه أشياخه و لا أترابه مع مشاركة في سائر العلوم الشرعية.... لازمته كثيرًا، ختمت عليه بالسبع، و حدّثني به عن شيخه أبي العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي موسى الشهير بالفلالي، و أبي الحسن الوهري و شيخه محمد بن أبي سعيد السلوي و الحافظ الحجة أبي محمد العبدوسي».

و أخذت عنه كثيرًا من كتب القراءات و الحديث دراية و رواية و لازمته سنين في التفسير، ينقل كلام ابن عطية و السفاقسي و يضيف إليه كلام الزمخشري و الإنتصاف والطيبي و غيرها، و أدرك شيخ الجماعة أبا مهدي بن علال و تلميذه أبا القاسم التازغدري و العكرمي و ابن أملال و أبا راشد يعقوب الحلفاوي و أبا الحسن الأنفاسي وغيرهم.

---

(1) نيل الإبتهاج، ج2، ص 240، 241، 242.

و ممّا أنشده محضًا على الجدّ قوله :

و النفس راغبة إذا رغبتهـــا**** و إذا ترد إلى يسير تقنــــع

و قوله أيضا :

صلاة و صـــوم ثم حـــجّ و عمـــرة **** عكوف طوّاف و ائتمام تحتّمـــا

وفي غيرها كالطّهر و الوقف خيِّرَن **** فمن شاء فليقطع و من شاء تَمَّمَا

16- محمد بن قاسم بن محمد بن أحمد بن محمد القُوْرِي [1]:

اللّخمي المكناسي ثمّ الفاسي، أندلسي الأصل شهر بالقوري نسبة لبليدة قريبة من إشبيلية، الإمام العلاّمة المحقق له مشاركة في العلوم العقلية و النقلية، قال عنه تلميذه ابن غازي في فهرسته: «شيخنا الإمام الفقيه العالم العلم العلامة المفتي المشاور الحجة الأنوه الحافظ المكثر أبو عبد الله، كان آية في التبحّر في العلم و التصرّف فيه و اِستحضار نوازل الفقه و قضايا التواريخ، مجلسه كثير الفوائد مليح الحكايات لازمته في المدوّنة أعوامًا ينقل عليها كلام المتقدّمين و المتأخرّين من الفقهاء و الموثقين و يطرّز ذلك بذكر مواليدهم و وفياتهم و حكاياتهم و ضبط أسمائهم و البحث في الأحاديث المستدّل بها في نصر آرائهم، فمجلسه نزهة السّامعين...سمعت عليه كثيرًا من الموطأ، و بعض سير ابن إسحاق بحثًا و تفقهًا و بعض المدارك و الجوزقي و وثائق الجزيري و مختصر خليل والمدوّنة و الرّسالة و التفسير و المرادي، أدرك من شيوخ مكناسة أبو موسى عمران الجاناّتي رواية أبي عمران العبدوسي الذي جمع عنه التقييد البديع على المدوّنة و عليه اِعتمد في قراءتها، و الشيخ المتفنّن أبا الحسن علي بن يوسف التلاجدوتي أخذ عنه العربية و الحساب و العروض و الفرائض، و عن الشيخ اِبن جابر الغسّاني القراءات السبع، وعن أبي عبد الله الحاج عزوز الحديث و التاريخ و السّير و الطب، و عن الشيخ اِبن غياث السلوي علم الطب، و كان مجيدًا فيه، و بفاس عن الشيخ المتفنّن الفقيه العالم المحقق أبي القاسم التازغدري و الشيخ الفقيه المحدّث الحافظ أبي محمد العبدوسي، باحثَه كثيرًا واِستفاد منه مشافهة و مكاتبة، و هو الذي ولاّه التدريس بفاس، و ولى الفقيه الزاهد عبد

([1]) للمزيد من المعلومات راجع : الضوء اللاّمع، ج8، ص 280، و أيضا نيل الإبتهاج، ج2، ص 233، 234، 235.

الله بن حمد و غيرهم». ولد بمكناسة أوّل القرن و توفي عام 872هـ بفاس و دفن بباب الحمراء.

ذكره السخاوي في الضوء اللاّمع : كان متقدّمًا في حفظ المتون و فقهها، علّق شيئا على المختصر و لم ينتشر و انتفع به الطلبة، أخذ عنه الفاضل أحمد زرّوق و قال : «إنّه مات آخر ذي القعدة عام اثنين و سبعين»[1].

17- مصباح بن عبد الله الياصلوتي :

أبو الضياء الفاسي، من أكابر أصحاب أبي الحسن الصغير، كان فقيها صالحًا حافظا نوازليّا، و هو أوّل من درّس بمدرسة أبي الحسن المريني بفاس فنسبت إليه، وكانت أمّه من الصالحات و لا ترضعه إلاّ على وضوء، تفقه على أبي الحسن الصغير وغيره، توفي بفاس سنة 750هـ، و له فتاوى نقل بعضها في المعيار[2].

18- عبد الرحمن بن عفان الجزولي أبو زيد [3]:

صاحب تقاييد الرسالة المشهورة، الشيخ الفقيه الحافظ شيخ الرسالة و المدوّنة، كان علاّمة في المذهب ورعًا صالحًا، أخذ عن أبي الفضل راشد، و أبي عمران الجورائي، وأبي زيد الرّجراجي، و أبي محمد عبد الصّادق الصبان، و كان الناس يحتفلون بمجلسه للأخذ عنه، قيّدوا عنه تقاييد على الرسالة، و كان معمّرًا و ما قطع التدريس على ضعفه.

توفي حين خرج للقاء السلطان أبي الحسن المريني بعد عودته من معركة طريف، فنزل له عند لقائه عن فرسه و نزل له السلطان أيضا إجلالاً له و سقط هو عن دابّته فتضعضعت أركانه فمات من ذلك عام 741هـ.

من تلامذته الشيخ الصالح يوسف بن عمران الأنفاسي و الإمام الحافظ أبو عمران العبدوسي و غيرهم.

---

(1) الضوء اللاّمع، ج8، ص 280.

(2) نيل الإبتهاج، ج2، ص 306.

(3) نفسه، ج1، ص 265، 266.

19- عبد الرحمن الرّجراجي [1]:

الحافظ الفقيه أبو زيد، كان ممّن يتكلم على المدوّنة بفاس و أملى عليها إملاءً حسنًا، أخذ عنه عبد الرحمن بن عفّان الجزولي، توفي سنة 718هـ.

20- عبد الرحمن بن العشاب أبو زيد [2]:

ذكره أبو العباس الونشريسي فقال عنه : «نقلت من خطّ الأستاذ أبي الحسن بن بري أنّ أبا زيد العشاب كان شابًا صالحًا قرأ بتازا و أخذ عليَّ النحو و أكمل الإيضاح تفهمًا، ثم نظر في المعقول و شارك في الحديث و التفسير، كان ثاقب الفهم شديد النظر معمور الأوقات بالبحث و المطالعة و المذاكرة، له وِرْدٌ باليل و إجتهاد في العبادة على صغر سنّه، لم يزل دءوبًا على الخير حتى وفاته ليلة الجمعة ثاني رمضان عام 724هـ، و دفن عقب الجمعة و سنه نحو عشرين سنة، و ألفيت له تقييدًا على كتاب الشمائل لم يكمله، وله أسئلة نفيسة في التفسير و غيره».

21- أبو عبد الله محمد الرندي الفاسي [3]:

الفقيه الحافظ، القائم على المذهب، إمام في العربية مقدّم في النظر، اِنتفع به خلق كثير، توجه مع السلطان أبي الحسن المريني لإفريقية فمات سنة 746هـ، له تأليف حسن في شرح الجلاّب أبان فيه عن فضله و تصرّفه.

22- محمد بن أحمد بن شاطر المرّاكشي :

ذكر المقري بأنّه كان من أصحاب أبي زيد الهزميري و اِبن البناء و رزّوق وغيرهم من الصالحين. كان حيًّا سنة 757هـ.

([1]) نيل الابتهاج، ج1، ص 264.

([2]) نفسه، ج1، ص 264، 265.

([3]) نفسه، ج2، ص 56.

23- محمد بن أحمد بن أبي عفيف المكناسي أبو عبد الله [1]:

كان فقيها عدلاً خيّرًا متصدّرًا لقراءة الشفاء النبوي، و لديه حملة حسنة من أصول الفقه، أشف بها على كثير من نظرائه، قرأها على الإمام أبي عبد الله بن الصبّاغ و شاركه في قراءتها على الإمام أبي عبد الله الآبلي.

24- محمد بن عبد الرزّاق الجزولي [2]:

قال عنه ابن خلدون : «شيخنا شيخ وقته جلالة و تربية و علمًا و خبرة بأهل بلده وعظمة فهم، نشأ بفاس و أخذ عن مشيختها، و رحل لتونس فلقي القاضيين ابن عبد الرفيع، و أبا عبد الله النفزاوي و طبقتهما، أخذ عنهم و تفقه عليهم، و رجع للمغرب ولازم الأكابر و المشايخ إلى أن ولاه السلطان أبو الحسن قضاء فاس فبقي عليه إلى أن عزله بالفقيه المقري، ثم لمّا جمع شيوخ العلم للتحقيق بمجلسه و الإفادة منهم استدعاه معهم فلم يزل كذلك إلى أن هلك قبل مهلك أبي عنان بيسير».

روى عنه ابن مرزوق الخطيب، و توفي سنة 758هـ بفاس.

25- محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي الفاسي [3]:

و قاضي الجماعة بها، و سلفه من أهل الصلاح و الخير فيها، كان من أكابر الفقهاء المشاركين في العلوم، لكن غلب عليه الفروع و اقتصر على حفظ المسائل و تقدّم في علم الوثائق و اشتهر بها، كان منقبضًا عن الناس كثير الصمت متحفّظًا للسانه لا يتكلم إلاّ في ضرورة، تقلّد خطة القضاء بفاس و سلك سيرة قضاة العدل، له نظم حسن و كتابه رائقة يضمن فيها، فمنها ممّا رفعه لأبي عنان قوله :

أيَا إماما ندى كفّيه قـــد و كفـــا **** حسبي إعتصامي بحبل منكم و كفى
و كيف أصرف وجه القصد عن ملكٍ **** ما صدّ عنّي سَنَا بشر و لاَ صَرَفَــا

([1]) نيل الابتهاج، ج2، ص 73.

([2]) نفسه، ج2، ص 74، 75.

([3]) نفسه، ج2، ص 106.

و قال عنه ابن الخطيب في الإحاطة : ... له أبوّة صالحة و أصالة زاكية....صدر من الصدور في الوثيقة و الأدب ... مديد الباع في الأدب شاعر مجيد، كاتب بليغ، علم من أعلام المشيخة، قدمه السلطان العالم أبو عنان لقضاء حضرته اختصّه و اشتمل عليه فعرف حقه، و تردّد للأندلس سفيرًا فذاع فضله و علم قدره[1].

و يقول أبو زكرياء السراج في فهرسته بأن شيخه كان عالمًا بالفقه مشاركًا في غيره من العلوم مسددًا في الفتاوى عارفًا بأخذ الشروط،...أخذ عن الأستاذ أبي الحسن بن سليمان و الشيخ الصدر قاضي الجماعة ابن عبد الرزّاق، سمع عليه الترمذي، و عن الإمام السطي و الصدر المحقق أبي عبد الله بن آجروم، و الحافظ الناقد المحقق أبي زكرياء بن واثق و الفقيه العالم أبي عبد الله الرّندي و الخطيبين أبي عبد الله الطنجالي وأبي جعفر الزّيات، و المحدّث ابن جابر الوادي آشي، و عبد المهيمن الحضرمي.

و يذكر ابن الخطيب القسنطيني بأنّ شيخه توفي سنة 779هـ، و كان قد أخذ عن القبّاب[2].

له تأليف في الوثائق مشهور مليح و كلام في الدّعاء بعد الصلاة على الهيئة المعهودة، ردّ عليه فيه الإمام أبو يحيى بن عاصم الشهير في تأليفه الذي ردّ فيه على شيخ الشيوخ ابن لب، منتصرًا للإمام الشاطبي.

26- يحيى بن أحمد بن محمد بن حسن القُسِّي، الرّندي النفزي الحميري الفاسي أبو زكرياء عرف بالسراج [3]:

فقيه محدّث صالح، ابن الفقيه الصالح أبي العباس، أخذ عن جماعة كالفقيه المفتي المحدّث القاضي أبي البركات ابن الحاج البلفيقي، و القاضي عبد النور. توفي بفاس سنة 803هـ.

---

(1) الإحاطة، ج2، ص 187.

(2) نيل الإبتهاج، ج2، ص 106، 107.

(3) نفسه، ج2، ص 335، 336.

27- أبو الحجاج يوسف بن عمران الأنفاسي [1]:

قال ابن الخطيب القسنطيني : «كان شيخًا صالحًا عالمًا محقّقا عابدًا، إمام جامع القرويين بفاس، له أوراد و مجالس لقراءة العلم و التصوّف، توفي سنة 761هـ، عن مائة سنة و صلّي عليه عقب صلاة الجمعة، و إبنه العالم الصالح أبو الربيع سليمان».

و للشيخ يوسف تقييد مشهور على الرسالة متداول بين الناس.

28- محمد بن سليمان الجزولي [2]:

الشيخ العالم العارف الصالح القطب، كان فقيها ألّف في التصوّف و له كتاب دلائل الخيرات في الصلاة على النبي صلّى الله عليه و سلّم.

و كان ببلاده وقت قتال انفصل فيه الصّفان عن قتيل تبرّأ كلّ من قتله و لم يحضره هو فأرادَ إصلاحهم فقال لهم : أنَا قتلته و عادتهم إخراج القاتل من بينهم فالتقى بصديقه فمنعه من سفر الشرق و كان يحفظ فرعي ابن الحاجب فرجع لفاس و قيّد بها دلائل الخيرات و فيها لقيه الشيخ زروق، ثمّ رجع للساحل و لقي به الحفيد أبا عبد الله أمغار الصغير فأخذ عنه ثم انقطع في الخلوة أربعة عشر عامًا.

توفي مسمومًا في الركعة الأولى من صلاة الصبح سادس ربيع الأوّل عام 870هـ.

29- أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله الشريف الحسني السبتي ثم الغرناطي [3]:

القاضي أبو جعفر و أبو العباس الشيخ الفقيه العالم الأبرع ابن الإمام العلامة أبي القاسم الشريف، شارح المقصورة، أخذ عن شيخ الشيوخ أبي سعيد فرج بن لب و غيره، و أخذ عنه الإمام أبو يحيى بن عاصم شارح التحفة، و له أخ عالم فقيه يسمى محمّدًا ويُكنى أبَا المعالي، قال صاحب الكوكب الوقاد فيمن دفن بسبتة من العلماء و الزهاد : "لقيت هذين الشيخين و أجازاني، أولهما و أكبرهما ذكره الوزير ابن الخطيب في شعراء الكتيبة الكامنة، و ذكر له قصيدة لزومية. نقل عنه صاحب المعيار".

([1]) نيل الابتهاج، ج2، ص 226، 227.

([2]) نفسه، ج2، ص 229، 230.

([3]) نفسه، ج1، ص 111.

30- أحمد بن محمد الحبّاك [1]:

الأستاذ الفقيه الصالح الفاسي، روى عن الأستاذ الفقيه أبي الرفيع سليمان اِبن أبي يعربين اليزناسي و الإمام اِبن غازي و غيرهما، و أخذ عنه الشيخ الصالح أبو شامة بن اِبراهيم و أجازه و غيره، و كان قوامًا بالحق مغيّرًا للمنكر، توفي مسمومًا سنة 938هـ، حسب قول تلميذه أبو عبد الله الدّقاق.

31- أبو العباس أحمد بن علي بن قاسم الزقاق :

التجيبي الفاسي الفقيه الحافظ، أخذ عن أبيه أبي الحسن و غيره، و تفقه عليه جماعة من أهل فاس، و نوظر عليه و ألّف شرحًا على منظومة أبيه و شرح بعض الرسالة والمدوّنة و مختصر خليل قال عنه الشيخ المنجور في فهرسته : «شرح أبو العباس الزقاق منظومة والده المسماة المنهاج المنتخب في قواعد المذهب» شرحًا مختصرًا رشيقًا وصل منه نحو النصف و مات و لم يكمله، و أخذ عنه اِبن أخيه الحافظ عبد الوهاب الزقاق ولازمه و توفي سنة 932هـ أو في التي قبلها[2].

32- الحسن بن عطية التجاني المكناسي المعروف بالونشريسي :

قال عنه اِبن الأحمر في فهرسته : «شيخنا الفقيه المفتي المدرّس القاضي أبو علي اِبن الشيخ الصالح عطية، أجازني الموطأ رواية يحيى بن يحيى، توفي عام 781هـ، أخذ عن الفقيه الإمام العالم المحصل المتكلم النظار المفتي المدرّس البحر أبي عبد الله محمد بن أبي الفضل بن الصباغ الخزرجي المكناسي»[3].

---

(1) نيل الابتهاج، ج1، ص 149.

(2) نفسه، ج1 ، ص 150.

(3) نفسه ، ج1، ص 170، 171.

33- الحسن بن منديل المغيلي أبو علي [1]:

قال عنه الشيخ زرّوق في كناشته: «هو الفقيه الحافظ العلم كان إمامًا بالمدرسة العنانية، صلّيت خلفه و حضرت مجلسه بجامع القرويين... و كان يغلب نقله حتى يظن أنّه يزيد عليه، وكان بينه و بين القوري و المزجلدي منافرة، توفي عام 864هـ». و قال عنه تلميذه ابن غازي في فهرسته : «شيخنا الفقيه الحافظ المكثر الخطيب المدرّس العلم العلاّمة، كان آية في حفظ النقول و سرد نصوص المذهب و أقاويل الشيوخ على رسالة أبي محمد، إذا حرّك الكلام في العلم أتى الفيض بالمدّ، وكان عامة فاس يستفتونه كثيرًا ويقلّدونه في دينهم ويصدرون عن رأيه و لا يبدّلونه بغيره.

نسخ في صغره تأليف الجزولي و صحّحه كثيرًا لصغر سنّه ثم حبسه بالخزانة...لازمته بجامع القرويين و استفدت منه، و ممّن أدركه من شيوخ فاس أبو وكيل ميمون و الحافظ و الفقيه أبو مهدي عيسى ابن علال و أبو زيد عبد الرحمن به تفقّه»[2].

34- أحمد بن محمد بن يوسف الصنهاجي الشهير بالدّقون [3]:

الفقيه الأستاذ الرّاوية الشاعر الخطيب بجامع القرويين بفاس، أخذ عن الأستاذ الصغير، قرأ عليه بالسّبع و قارب الختم فمات الشيخ فكمل على ابن غازي، و روى عن الإمام المواق فهرسته، و كان مقرئا كثيرًا المزاح، روى عنه أبو القاسم بن ابراهيم وغيره، توفي في شعبان عام 921هـ.

35- محمد بن علي بن البقال الأنصاري الفاسي :

قال عنه ابن الأحمر في فهرسته : «الفقيه العدل الكثير الحياء و الصمت أبو عبد الله ابن الفقيه المدرّس، أخذ عن والده و عن الإمام أبي العباس بن البناء العددي، و توفى بفاس عام 778هـ، أجازني عامة»[4].

---

(1) نيل الابتهاج ، ج1، ص 176، 177.

(2) نفسه، ج1، ص 176.

(3) نفسه، ج1، ص 146.

(4) نفسه، ج2، ص 120.

36- أبو عبد الله محمد بن سعيد بن محمد بن عثمان الرّعيني الأندلسي الفاسي:

مولدًا و وفاة و من أعلامها، فقيه فاضل متواضع مولع بالتقييد و التصنيف، تفقه على أبي الحسن الصغير و الحافظ غبد الرحمن الجزولي، و أبي سالم اليزناسي و أبي الحسن المزدغي. و أخذ عن جماعة شرقًا و غربًا كأبي الحسن بن سليمان، و المفسر عبد الله بن أيوب الصنهاجي، و الإمام ابن البنا الأزدي. سمع عليه من تآليفه تفسير الباء من بسم الله، و تفسير الإسم و تأويله، و تفسير سورة الكوثر، و مراسم الطريقة في فهم الحقيقة من حال الخليقة. و مقالة في المكاييل الشرعية، و الكلام على القبلة.

وعن الشيخ الفقيه الرّاوية الرُّحلة أبي القاسم التجيبي السبتي، لقيه بفاس و أجازه برنامج روايته و مؤلفاته، و الخطيب الرّاوية المحدث ابن رشد، و الشيخ المسند الرّاوية أبي بكر محمد بن محمد بن أبي عمر محمد بن خليل السكوني، و الأصولي النظار قاسم بن الشاط، و عن القاضي أبي عبد الله القرطبي السبتي و ابن عبد المنعم، و الناصر المشدالي و ابن عبد الرّفيع، و ابن قداح و أثير الدّين أبي حيان، و ابن سيد الناس وجماعة كثيرة توفي في الثامن صفر عام 779هـ.

و قال بعضهم: كان من فقهاء فاس نسخ بخطّه أزيد من مائة و خمسين كتابًا وألّف في فنون عدّة منها : تحفة الناظر و نزهة الخواطر في غريب الحديث، و الجامع المفيد في سفرين و المغرب في حُثالة صلحاء المشرق و المغرب، و القواعد الخمس والمقامات و شرحها، و الوعظ و الشعر، و المهاد و الإعتماد في الجهاد، و تنبيه الغافل و تعليم الجاهل، و الرّوضة البهية في البسملة و التصلية، و اختصر مقدّمات ابن رشد والأسئلة والأجوبة و اختصار حدود الشيرازي و نظم مراحل الحجاز، و روى عن نحو ستين شيخًا غربًا و شرقًا منهم : ابن الشاط و ابن رشد، و أبو حيان و أبو الحسن الصغير، والناصر المشدالي و أبو الربيع اللّجائي[1].

([1]) نيل الإبتهاج، ج2، ص ص 120- 122.

37- أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عمر اللّخمي الفاسي[1]:

و به اِشتهر، قال عنه أبو زكريا السراج في فهرسته: «شيخنا الفقيه المسن الأستاذ الجليل المقرئ الرّاوية المتخلق الصالح الفاضل، اِنفرد بِعُلو الرّواية في قطرنا وجلس للإقراء بفاس، مواضبا عليه...قرأ عليه خلق كثير حتى كبر و ضعف و عجز عن الخروج فأقرأ بداره مدّة ثم اِشتدّ ضعفه فصار يقرئ في بعض الأوقات، أخذ عن أبي الحسن بن سليمان القرطبي القراءات و عن قاضي الجماعة اِبن عبد الرزّاق. ولد عام 703هـ و توفي ليلة الأحد ثاني عشر محرّم عام 794هـ».

38- محمد بن أبي البركات اِبن السّكاك العياضي [2]:

أستاذ أصولي فاسي الأصل، اِنتقل منها صبيّا مع والده التلمساني فنشأ بها و قرأ على شيوخها كالإمامين العلمين الشريف التلمساني، والمحقق أبي عبد الله الآبلي العبدري، ولي قضاء سبتة مرارًا و قضاء الجماعة بفاس زمن موسى اِبن أبي عنان ثم أعيد لقضاء سبتة و غيرها.

ذكره الونشريسي في وفياته فقال:«هو محمد بن أبي غالب بن أحمد بن علي بن أحمد المكناسي ثم العياضي القاضي الإمام المفسّر أبو يحيى، عرف باِبن السّكاك قاضي الجماعة بفاس شرح الشفا و أجاده و أخذ عن جماعة كالشريف التلمساني».

و له تآليف في الأدعية، و آخر سمّاه نصح ملوك الإسلام بالتعريف بما عليهم من حقوق أهل البيت عليهم السلام. توفي بفاس سنة 818هـ، و هو في ثمانين من عمره.

39- عبد الرحمن بن سليمان اللّجائي أبو زيد اِبن أبي الرّبيع [3]:

أحد تلاميذ اِبن البناء و أصحابه، حقق عنه علومه، و والده أبو الرّبيع أول من أدخل فرعي اِبن الحاجب في المغرب و عنه أخذ، و كان فقيها متفنّنا، له تآليف توفي سنة 773هـ. أخذ عنه اِبن الخطيب القسنطيني.

---

(1) نيل الابتهاج ، ج2، ص 125، 126.

(2) نفسه ، ج2، ص 150، 151.

(3) نفسه، ج1، ص 270.

40- عبد الله بن أحمد بن أبي بكر بن علي [1]:

الشهير بابن مسلم القصري نزيل سبتة، قال عنه أبو زكرياء السراج في فهرسته : «شيخنا الفقيه القاضي النزيه الأستاذ المقرئ الحاج الرُّحلة الرّاوية أبو محمد، كان عارفًا بالفقه و القراءات، وافر الحظ من الرواية مشاركا في غيرها خيّرًا ديّنًا فاضلاً..تفقه على الفقيه الحافظ المفتي المدرّس مصباح، لازمه اِثني عشرة سنة و ختم عليه التهذيب مرّتين تفقها، و العالم الصّالح عبد الرحمن بن عفان الجزولي و الحافظ الرّندي، و اِبن آجروم والفقيه الصالح عبد العزيز القيرواني، و على الأستاذ أبي العباس أحمد الحسني و أبي الحسن بن سليمان و محمد بن عبد الرزّاق، و الفقيه الأصولي المتكلم أبي علي بن قداح الهواري، و إمام جامع الزيتونة أبي محمد بن البراء، و اِبن سلامة و الفخر بن المنير وخلق كثير. أجازني عام ثمانية و ستين و سبعمائة».

41- عبد الله الوانغيلي الضرير أبو محمد :

قال عنه اِبن الخطيب القسنطيني : «شيخنا و مفيدنا الفقيه الحافظ المفتي بفاس، أخذ عن الربيع اللّجائي تلميذ القرافي، و اِنفرد بمعرفة كتابي اِبن الحاجب في الأصول والفروع، و ختمت عليه الأصلي بفاس و حضرت درسه في المدوّنة مدة، أخذ عنه الإمام المكودي و الشيخ الصالح عمر الرجراجي، توفي سنة 779هـ، و نقل عنه في المعيار فتاوى و أثنى عليه».

42- عبد الله الزكندري أبو محمد [2]:

قال عنه اِبن الخطيب القسنطيني : «هو قاضي الجماعة بمراكش الفقيه العالم، تالي كتاب الله دائما، حضرت درسه بمراكش في التفسير و الحديث و لم يكن بها مثله في زمانه. توفي سنة 808هـ».

---

(1) نيل الابتهاج ، ج1، ص 238، 239.
(2) نفسه، ج1، ص 240.

43- عبد الله بن عبد الواحد الوريا جلي الفاسي [1]:

قال عنه ابن غازي في فهرسته: «الفقيه القاضي المدرّس المفتي أبو محمد، جالسته كثيرًا و ذاكرته و استفدت منه في الفقه كثيرًا و الأصلين و أجازني بلفظه و خطه جميع مَا حمله عن شيوخه كالشيخ الفقيه المحقق العالم أبي القاسم التازغدري، و الشيخ الفقيه المحدّث الحافظ أبي محمد العبدوسي و الشيخ العالم المتفنن أبي عبد الله العكرمي والخطيب أبي القاسم محمد بن يحيى السراج».

لقي من شيوخ تلمسان الإمام العالم العلاّمة الرباني محمد بن أحمد ابن محمد بن مرزوق، و الإمام أبو الفضل و الفقيه المحقق المحدّث يحيى أبو الرّبيع سليمان بن الحسن البوزيدي، و غيرهم.

44- عبد الرحمن بن أبي القاسم القرموني القيسي أبو زيد [2]:

قال تلميذه ابن غازي : «هو الفقيه العاقل الصالح الزاهد، جالسته كثيرًا و استفدت منه و حضرته في الرسالة...أدرك أبا حفص الرجراجي، و شيخ الجماعة ابن علال وأبا القاسم التازغدري، و أبا مهدي عيسى المغراوي، و من المكناسيين الفقيهين الزاهدين عبد الله بن أحمد، و ابن فتوح التلمساني ولد عام 801هـ و توفي سنة 864هـ».

و قال عنه الشيخ أحمد زرّوق في كناشته : «عبد الرحمن القرموني فقيه مدرّس رئيس خيّر من بيت خير... و قال أيضا : كان من بيت علم و تصرّف و فيه ديانة وكان مدرّسًا»[3].

45- عبد الرحمن بن سليمان التالي المعرّف بالحميدي الفاسي [4]:

أخذ عن القوري و غيره، توفي في 21 محرّم عام 904هـ.

([1]) نيل الابتهاج، ج1، ص 251، 252.

([2]) نفسه، ج1 ، ص 280.

([3]) نفسه ، ج1، ص 280.

([4]) نفسه ، ص 287.

46- عبد العزيز بن محمد القروي الفاسي [1]:

الفقيه الصالح أبو محمد، من أصحاب الشيخ أبي الحسن الصغير، قال الإمام المقرّي: «هو أكبر تلاميذ أبي الحسن علمًا و دينًا».

و كذا قال الإمام ابن مرزوق الحفيد و زاد أنّ تقييده عنه على المدوّنة أحسن تقاييده، و هو الآن بخطّه محبسًا بفاس و أمّا التقييد الكبير فجمعه رجل من صدور الطلبة يقال له اليحمدي.

47- عبد العزيز بن محمد البوفرجي [2]:

الفقيه الصالح الورع الخطيب بالقرويين بفاس، توفي بها سنة 899هـ، و تولى خطابته بعده أبو الحجاج يوسف الفندلاوي المكناسي.

48- عبد النور بن محمد بن أحمد الشريف العمراني الفاسي [3]:

كان ذا معرفة تامة بالفقه و مشاركة في أصوله و أصول الدّين، من أهل الشورى ومقدّميهم و قلمه أفصح من لسانه.

أخذ عن الأستاذ المحدّث أبي الحسن علي بن سليمان القرطبي، و أبي عبد الله محمد بن يحيى الحسن، مولده عام 685، وله تقييد على المدوّنة و فتاوى نقل عنه بعضها في المعيار.

49- عبد الواحد بن منديل بن عبد الواحد الأنصاري الفاسي :

قال عنه ابن الأحمر في فهرسته: «شيخنا الفقيه الكاتب العدل المتدين ابن الفقيه، الكاتب المعروف بالزيتوني، أخذ عن الفقيه المحدّث الرّاوية أبي القاسم بن يوسف التجيني السّبتي و الأستاذ النحوي أبي عبد الله بن هانئ و جماعة كثيرة. توفي بفاس سنة 778هـ»[4].

---

(1) نيل الابتهاج، ج1، ص 297.

(2) نفسه، ج 1، ص 304.

(3) نفسه، ج 1، ، ص 319.

(4) نفسه، ج 1، ، ص 322.

50- موسى بن أبي علي الزناتي الزموري المولد و المنشأ نزيل مرّاكش:

الفقيه الصالح المدرّس المذكر أبو عمران شارح الرسالة و المدوّنة و المقامات وغيرها كتأليفه في المولد، أخذ عنه أبو العباس بن البنا بمراكش سنة 712هـ[1].

51- عمران بن موسى الجاناتي أبو موسى المكناسي [2]:

الفقيه الحافظ، أخذ عن الإمام الحافظ موسى العبدوسي، و هو المقيد عنه التقييد البديع على المدوّنة في عشر مجلدات ذكر ابن غازي بأنّ الإمام القوري أخذ عنه، توفي سنة830هـ.

52- إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله اليزناسي [3]:

قاضي الجماعة بفاس، كان إمامًا حافظا علاّمة بارعًا في الفقه نظارًا، أثنى عليه الإمام ابن مرزوق الحفيد فقال : «إنّه من مفاخر قطره، وصفه بعضهم بالفقيه المفتي المدرّس المحقّق العلامة الصدر العلم الشهير، و وصفه في المعيار بالفقيه الأعدل الأنزه القدوة الأوحد ابن الفقيه الجليل الأصيل الماجد الوجيه النزيه العلم الصدر ابن الفقيه ابن المدرّس المفتي المحقق القدوة العلم الفذ الصالح الزاهد الخاشع الولي العارف المجاب الدّعوة المبرور أبي سالم». له فتاوى عديدة ناظر فيها و حقق ذُكر منها في المعيار، توفي يوم الخميس 18 رجب سنة 794هـ.

53- أحمد بن محمد الزواوي [4]:

قال عنه ابن خلدون في التاريخ الكبير : «هو شيخ القرّاء بالمغرب، أخذ العلم والعربية عن مشيخة فاس، و روى عن أبي عبد الله محمد بن رُشد، و كان إمامًا في القراءات لا يُجاري، و كان يصلي بالسلطان التراويح».

([1]) نيل الابتهاج، ج2، ص 299، 300.

([2]) نفسه، ج1، ص 398.

([3]) نفسه، ج1، ص 40.

([4]) التعريف بابن خلدون، ص 46.

54- أحمد بن محمد بن حزب الله الخزرجي العبادي السعدي [1]:

من بيت علم بفاس و أصالة، أصلهم من الأندلس، كان فقيها خطيبًا مدرّسًا مقرئًا، توفي شهيدًا في وقعة طريف سنة 741هـ.

55- أحمد بن عبد الرحمن بن تميم اليفرني المكناسي [2]:

أخو الشيخ أبي الحسن الطنجي شيخ الحافظ السَّطي، كان من الفقهاء و الأساتيذ، أخذ عن الأستاذ أبي عبد الله محمد بن قاسم بن محمد الأنصاري المالقي، نزيل مكناسة، وروى عن اِبن الزبير اِبن سليمان الوادي آشي و اِبن هانئ و اِبن رشيد و أبي يعقوب البادسي، رحل إليه الناس من فاس للأخذ عنه، فلما رجع صار يدعى بالمكناسي، توفي بفاس سنة 753هـ.

56- محمد بن علي المديوني أبو عبد الله الشهير بإبن أملال الفاسي [3]:

فقيه مدرّس، و مفتي المسلمين، ولِيّ الفتيا بعد تأخير الشيخ القوري أيّامًا ثم مات فعادت إليه، توفي سنة 856هـ، و مات معه في ذلك اليوم الفقيه الوزروالي، و كان لهما مشهد عظيم. أخذ عنه الشيخ إبراهيم بن هلال الفلالي.

57- سليمان الونشريسي [4]:

يسمّى أبا الربيع الإمام المقرئ بفاس، أخذ عنه الفقيه أبو سالم اليزناسي و قرأ عليه أبو عبد الله الرندي كتاب الجلاّب، و كان قائمًا عليه و على المدوّنة، توفي بفاس سنة 705هـ.

([1]) نيل الإبتهاج، ج1، ص 88.

([2]) نفسه ، ج1، ص 91.

([3]) نفسه، ج2، ص 212.

([4]) نفسه، ج2، ص 196، 197.

58- علي بن عبّاد التستري البكري الفاسي المغربي [1]:

أخذ عن أبي بكر اليرجي الفقيه و أسئلة كثيرة عن محمد القوري، و سمع الحديث على عبد الرحمن الثعالبي، و من تآليفه لطائف الإشارات في مراتب الأنبياء في السماوات الذي فرغ منه في ذي الحجّة سنة 880هـ.

و كان مولده سنة 830هـ.

59- عيسى بن علال المصمودي و يقال الكتامي أبو مهدي الفاسي [2]:

شيخ الجماعة، فقيه فاس و قاضيها، أخذ عن الحافظ أبي عمران العبدوسي وغيره و صاحب الشيخ عمر الرجراجي، و هو إمام جامع القرويين، له رحلة سمع فيها، و له تعليقه على مختصر ابن عرفة، أخذ عنه القوري و الأستاذ الصغير، توفي سنة 823هـ.

60- عيسى بن أحمد أبو مهدي الماواسي البطري الفاسي [3]:

فقيهها و مفتيها : كان أستاذًا فقيها خطيبًا مفتيًا، أخذ العلوم عن شيوخ فاس وتلمسان كالشيخ الإمام أبي محمد عبد الله العبدوسي و الإمام القوري الذي تولى الفتوى بعده و أخذ عنه الشيخ زرّوق و المحدّث سُقين و غيره، يذكر أنّه خطب بفاس الجديدة نحو ستين سنة.

توفى سنة 896هـ. و نقل عنه فتاوى في المعيار.

61- محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن غازي العثماني المكناسي ثم الفاسي:

شيخ الجماعة بها الإمام العلاّمة البحر الحافظ الحجة المحقق الخطيب، خاتمة علماء المغرب و آخر محققيهم ذو التصانيف المفيدة العجيبة[4].

ولد بمكناسة الزيتون، و أخذ العلم بها و بفاس عن مشايخ جلة كالأستاذ النيجي والفقيه القوري و غيرهما، أنفق عمره في طلب العلم و إقرائه و العكوف على تقييده

([1]) الضوء اللاّمع، ج5، ص 273، و أيضا، نيل الإبتهاج، ج1، ص 386.

([2]) نيل الإبتهاج، ج1، ص 334.

([3]) نفسه، ج1، ص 335.

([4]) نفسه، ج2، ص 271، 272، 273.

ونشره، ألف في القراءات و الحديث و الفقه و العربية و الفرائض و الحساب والعروض و غيرها، ولّي خطابة مكناسة ثمّ بفاس الجديدة ثم الخطابة و الإمامة بجامع القرويين، ولم يكن في عصره أخطب منه.

تخرّج بين يديه عامّة طلبة فاس و غيرها، رحل الناس للأخذ عنه و نافسوا فيه، وممّن أخذ عنه ابن العبّاس الصغير و أحمد الدّقون، و المفتي علي ابن هارون.

أمّا تآليفه فمنها: شفاء الغليل في حلّ مقفل خليل بيّن فيه هفوات وقعت لبهرام، ومواضع مشكلة من المختصر، و تكميل التقييد و تحليل التعقيد على المدوّنة كمّل به تقييد أبي الحسن الزرويلي و حلّ مشكل كلام ابن عرفة في مختصره في ثلاث أسفار كبار، وحاشيه لطيفة على الألفية، و منية الحساب في الحساب بديع النظم و شرحها حسن مفيد سمّاه بغية الطلاب في مجلّد، و ذيل الخزرجية في العروض و نظم مشكلات الرسالة، وفهرسة شيوخه،و إنشاد الشريد في ضوال القصيد، تكلم فيه على الشاطبية، و الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون...و غيرها كثير. ولد سنة 841هـ، و توفي في التاسع جمادى الأولى سنة 919هـ فدفن في عدوة فاس الأندلس و احتفل الناس بجنازته إحتفالاً عظيمًا، حضرها السلطان و وجوه دولته و تأسفوا لفقده تأسفًا عظيمًا.

ب- العلوم اللسانية و الإجتماعية : (الأدب و النثر، النحو، الشعر، التاريخ...)

1- أبو عبد الله القشتالي :

و هو محمد بن أحمد بن عبد الملك، أبو عبد الله القشتالي، قاضي فاس، المتوفى سنة 777هـ/1375م. من العلماء بفقه المالكية و الأدب و أحد الكتاب البلغاء في عصره، و هو الذي خاطبه لسان الدّين بن الخطيب بأبيات، أوّلها : «من ذا يعدّ فضائل القشتالي»، ولاّه سلطان المغرب قضاء فاس سنة 756هـ، و كان له تأليف يعرف "بوث ائق القشتالي" علّق عليه الونشريسي في كتاب سمّاه : "غنية المعاصر"[1].

2- مالك بن المرحّل السبتي :المولود سنة 604هـ بسبتة و المتوفى سنة 699هـ بفاس (1207-1299م) تعاطى صناعة التوثيق في بلدته، و تقرّب كثيرًا من يعقوب

(1) الإحاطة، ج2، ص 133.

المنصور و خصّه بمدحه وكان إلى ذلك عالمًا، و قد قامت بينه و بين معاصره اِبن رشيق الثعلبي مهاجاة مقذعة، فقال بن رشيق في مطلع قصيدته :

لَكلابُ سبتة في النباح مدارك
و أشدّها عند التهارش مالك.
شيخ تفانى في البطالة عمره
و أحلّ محكيه الكلام الإفك.

فردّ عليه مالك :

كِلابُ المزابـــل آذيننـــي
بأبوالهنّ علـــى باب داري
و قد كنت أُوجعها بالعصى
و لكن عوَت من وراء الجدار

و من شعر مالك في الزهد :

بني الدّهر أما للدّهر فهو عدوّكم
و إن لاح يوم في ثياب حبيب
بلاءكم و أبلاكم بقلب صروفــه
فيا ويحها من أنفس و قلوب

و قال في تحريض المغاربة على نصرة الأندلس :

حدّوا السّلاح و أنفروا و سارعوا
إلـــى الذّي مـــن ربّكم وُعدتم
إنّ أمام البحـــر من إخوانكـــم
خلقا لهـــم تلفـــت إليكـــم
و نحوكم عيونهـــم ناظـــرة
لا يَطعمِ النوح و كيف تطعم ؟

و قال في وصف مدينة سبتة :

أخطر علي سبتة و أنظر إلى
جمالها نُصب إلى حُسنِه

كأنّها عود الفنــاء و قـــد

ألقي في البحر على بطنه[1].

و له قصائد في المدح و التهنئة كالتي رفعها إلى الأمير أبي مالك عبد الواحد ابن أمير المسلمين[2].

3- عبد العزيز الملزوزي المكناسي :

المتوفي سنة 697هـ، وهو شاعر الدولة المرينية على عهد يعقوب المنصور حيث قال في بني مرين :

هنيئًا يا مرين لقد علَوْتُــم **** بني الأملاك بأسًا و إنتجابًا

و له قصائد عدّة مواكبة لكلّ الأحداث التي مرّ بها بنو مرين خلال معاصرته لهم.

فمن شعره ما أنشده إرتجالاً في حضرة الأمير عبد الواحد و هو بقصره بحضرة مراكش : حيث قال في وصف ذلك اليوم من شهر رمضان.

الــيوم يــوم مــدامة و عــقار **** و تــبلغ الأمــال و الأوطــار

أو ما رأيت الشمس أخفي نورها **** و تــسترت عــن أعين النظّار

و بــكا الــسحاب بدمعه فكأنّه **** دتق بــكا مــن شدة التذكــار

و الــبرق لاح مــن الغمام كأنّه **** ســيف تــألّق فــي سماء غبار

لا شيء أحسن فيه من نيل المُنا **** بــمدامة تــبدو و كــشعلة نار

لــولا صيام عاقني عن شربها **** لــخلعت في هاذا النهار عذاري

أو كان يجزي عنه صوأ و فدا **** مــا صوم شهر في صيام نهار

لــكن تــركت سروره و مذاقه **** حــتى أكــون عــليه ذا إقرار

فأمر له الأمير بخمسمائة دينار و كسوة[3].

([1]) http://www.Islamicfeach.com الموقع

([2]) الذخيرة السنية، المصدر السابق، ص 119، 120.

([3]) نفسه ، ص 124.

ويقول في قصيدة رفعها إلى أمير المسلمين يعقوب بمدحه و يحرّضه على غزو يغمراسن بن زيان أوّلها [1]:

أرَا كــلّ جــبّار بــسيفك يــصغر **** و كــل مــليك عــن فعالك يقصر
و كــلّ عــزيز خاضعًا متواضعًا **** و كــلّ يــمان عــن يمينك يمطر
تــنام عيون الناس طرأ و أنت في **** صلاح العلا و الخلق ما زلت تسهر
أضــاءت بك الدّنيا فزال ظلامها **** فــأيّامها مــن نــور وجهك تسفر
و كــلّ مــليك خضت دار الفلاله **** فــحسَّمته بــالسبق ســاعة يظهر
و كــان لدينا الدّين قد ضاع حقه **** و لــم يــبق منه غير عين تحدر
بــعثت إلــى يغمور بالصلح معلما **** وقــلت عــساه بــالبصيرة ينظر
فــلم يغتبط بالصلح جهلاً و غلظة **** فــيا عجبًا من خاسر كيف يحشر
أردت بــأن تــهديه للرشد و الهدا **** و كــيف يــرا رشــدًا شقي مغير

و قد كان في المرينيين شاعرات منهنّ :صفية العزفية و قد مدحتها الشاعرة سارة الفاسية بقصيدة قالت فيها :

و من مثل ذات العلم و الحلم و النُّهى
لقد سَار مسرى الشمس معجزها الأرقي
لقد سَار مسرى الشمس فخر صفيه
و نورًا إكبارًا لهــا الغرب و الشرقَــا.

و كان في الملوك المرينيين من ينظم الشعر العربي كهذا الذي نظمه أبو العباس أحمد بن أبي سالم (776-786هـ)/(1374-1384م) و هو من أمّ عربية تدعى نزهة[2].

و من شعره :

الهوى يا صاحبي فألفتـــه **** وعهدته من عهد أيّام الصبا
قوت النفــوس و حلتهـــا **** فاتخذته دنيــا إليّ و مذهب
رأيت له الفــراق منغصـــا **** لا مرحَبًا بتفريــق لا مَرحبًا

([1])الذخيرة السنية، المصدر السابق ، ص 126- 128.

([2]) http://www.Islamicfeach.com الموقع

و منهم كذلك الأمير عبد الواحد بن يعقوب[1] الذي كان على غاية العقل و الذكاء والكرم و النباهة و السياسة و الإقدام و الحذق و الشهادة و مكارم الأخلاق، محبّا للأدب والتاريخ ذاكرًا بكثير من ذلك متقرّبًا للعلماء و الفقهاء، و كان مع ذلك عالمًا بأنساب بني مرين و غيرهم من قبائل زناتة ذاكرًا لأيّامهم و حروبهم، يجلس العلماء و الفقهاء والشعراء و يذاكرهم و اِختص بمجالسته و مسامرته جماعة من أهل الأدب و الفقه منهم: الفقيه القاضي الزكي يوسف بن حكم، و كان من أهل الأدب البارع مشاركًا في علوم كثيرة أخذ عن جماعة من فقهاء الأندلس و إفريقية و أدبائها، وولّاه الأمير عبد الواحد قضاء فاس.

و كان من جلسائه أيضا الفقيه القاضي البليغ البارع علي بن محمد المغيلي، و الفقيه الأديب مالك بن المرحل و كان يكتب له الرّسائل، و منهم الفقيه الأديب أبو عمران التميمي و عبد العزيز الملزوزي .

و كان الأمير عبد الواحد يحب الشعر و يروي كثيرًا منه و يأخذ نفسه بنظمه فينظم منه البيتين و الثلاثة في معنى الإفتخار، فمن ذلك قوله :

فرقت في الميدان كلّ مليك **** و جمعت بين جرأة و نُسوك
و جَعلْتُ للإسلام جدّا مالكًا **** كيما يغيره العدا بسلـــــوك

و هو القائل أيضا يفتخر [2]:

أجود بما لي لكـــــلّ العفـــــاة **** و أقتحم الهول في المعضلات
أقود الجيوش و أصلا الحروب **** و أقتطف الهام بالمرهفـــــات
و أحمي ثغوري من أن تُنـــال **** و أغزو و أنهبُ أرض العداة

([1]) الذخيرة السنية ، ص 122، 123.
([2]) نفسه ، ص 123، 124.

4- أحمد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن الفاسي المكّي الحسني والد قاضي المالكية بمكّة تقي الدّين [1]:

ولد سنة 754هـ، و عني بالعلم فمهر في عدّة فنون خصوصًا الأدب فقال الشعر الرّائق و فاق في معرفة الوثائق و درّس و أفتى و حدّث قليلاً، سمع عز الدّين بن جماعة و أبا البقاء السبكي و غيرهما. توفي في الحادي عشر شوال سنة 819هـ.

5- إسماعيل بن الأمير يوسف بن السلطان القائم بأمر الله محمد بن الرّئيس الأمير أبي سعيد فرج أمير مالقة ابن الأمير إسماعيل ابن يوسف المعروف بابن الأحمر من ذرية سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي [2]:

عاش هذا الرّجل هو و والده في كنف الدولة المرينية، و ارتسم في جندها، أخذ العلم عن جماعة من الشيوخ منهم : أبو القاسم بن رضوان و أبي سعيد بن عبد المهيمن الحضرمي، و ابنه عبد المهيمن، و أبي المكارم منديل ابن آجروم، و الحسن بن عطية الونشريسي، و أبي زيد المكودي، و الفقيه الزموي المعروف بأنقشابو و أبي زكرياء السرّاج و غيرهم.

له تآليف كثيرة في الأدب كمستَودع العلامة و مستبدع العلامة ذكر فيه من تولّى العلامة من الكتاب عن الملوك، و حديقة النسرين في أخبار دولة بني مرين تكلم فيها على بيوتات فاس و مشاهيرها و أخبارها، و كتاب آخر سمّاه روضة النسرين في أخبار بني عبد الواد و بني مرين، و نظم و شرحه على منهاج رقم الحلل لإبن الخطيب، وعرائس الأمراء و نفائس الوزراء، و شرح البردة، و تأنيس النفوس في إكمال نقط العروس، ونثير الجمان فيمن ضمّه و إيّاه الزمان من أهل النظم، وكان معتنيا بالتقييد، توفي بفاس عام 810هـ.

(1) الضوء اللاّمع، ج2، ص 35 و أيضا، نيل الإبتهاج، ج1، ص 114.

(2) نفح الطيب، ج5، ص 7 و أيضا، نيل الإبتهاج، ج1، ص 158، 159.

6- أحمد بن محمد بن علي التجيبي السبتي أبو العباس الشهير بابن القراق :

قال عنه أبو عبد الله الحضرعي : «شيخنا الفقيه الحاج الكاتب الأديب الحافظ الصدر، كان أحد وجوه الأدباء القدماء، كثير النظم في النبويات و غيرها، كتب عن أمراء الأندلس و المغرب، و استظهر بالقاهرة موطأ الإمام مالك حفظا من صدره عن ظهر قلب، فاحتفل له شيوخ المالكية و ضربوا الطبول و البوقات على رأسه إشادة وتنويها، توفي أوائل رمضان بفاس عام 725هـ»[1].

7- أبو محمد عبد الله المرسي السبتي :

كان فقيها فاضلاً، مشاركًا نبيلاً، محسنًا، شاعرًا يسري الهمّة، نزيه النفس، لم يزل كاتبا العزفيين، فانتقل إلى الحضرة المرينية ليصبح من كتاب السلطان أبي الحسن المريني، كان مشاركًا في علوم عدّة[2].

8- أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن الأشقر الفاسي [3]:

فقيه من أهلها، كاتب بارع، أديب شاعر، مشارك في علوم، صدر من الصدور، قرأ على الأستاذ ابن آجروم و على جماعة، كان ينشئ و يجيد و يشارك الفقيه الصدر أبي علي بن تادرارت كتابه الكتب الملوكية و أشباهها، كان وقورًا، ديّن سليم الصدر، ذاكر بالتأريخ و أيام الناس، كتب هو و ولده عبد العزيز، و لم يزل معدودًا في جملة الكتّاب إلى أن توفي بفاس.

9- إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن موسى بن إبراهيم ابن عبد العزيز بن إسحاق بن قاسم :

النميري الغرناطي أبو إسحاق المعروف بابن الحاج، الفقيه الإمام الرّحالة النخبة الصدر المحدّث الرّاوية العلامة، عالم وقته و محدّث زمانه و حافظ عصره، كان كاتبا

([1]) نيل الإبتهاج، ج1، ص 86.

([2]) المسند، المصدر السابق، ص 375.

([3]) نفسه، ص 375.

للأمير أبي عبد الله بن أمير المؤمنين أبي يحيى، ثمّ إلتحق بعليّة العلماء و أئمة الحضرة ومشيخة الكتاب و هو من فحول الشعراء، له التقدم في طريقة أشعار العرب والمحدّثين[1]. تقدّم لمشيخة الكتاب و كتابة السّر لدى السلطان أبي عنان فارس.

قال عنه الحضرمي: «صاحبنا الفقيه الجليل الكاتب البارع الأديب البليغ، الناظم الناثر المتفنن القاضي العدل الماجد الحسيب، تولى القضاء بأحواز الحضرة»[2].

و ذكره اِبن الخطيب في الإحاطة فقال : «نشأ على عفاف و طهارة، و نظم الشعر و بلغ الغاية في جودة الخط، و حاصر بالأبيات و اِرتسم في الإنشاء، مع حسن صمت وجودة أدب و خط، و في أثناء ذلك يقيد و لا يفتي، مع تخوّل العناية، مليح الدُّعابة»[3].

ولد بغرناطة عام 713هـ، اِرتحل إلى المشرق سنة 737هـ، فحجّ و تطوّف وقيّد و اِستكثر و دَوّن رحلة، ثمّ قفل و اِستقر ببجاية مضطلِعًا بالكتابة، ثمّ اِتصل بأبي الحسن بالعبّاد، مؤثرًا الخمول و عكوف باب الله تعالى، ثمّ أجبره السلطان أبو عنان على الخدمة، و لحق بالأندلس بعد موته، فلقي العناية و التّرحاب، و أستَعْمِل في سفارة الملوك، و ولي القضاء في الأحكام الشرعية[4].

له عدّة تآليف منها: جزء في بيان الإسم الأعظم كثير الفائدة، و كتاب اللباس والصحبة جمع فيه طرق المتصوّفة المدعى أنّه لم يجتمع مثله، و جزء في الفرائض ورجز في الجدل، و آخر في الأحكام الشرعية سمّاه الفصول المقتضبة في الأحكام المنتخبة، و له نظم و نثر كثير، أمتحن بالأسر عام 768هـ، ثمّ فك، و ممن أخذ عنه القاضي أبو بكر بن عاصم صاحب تُحفة الحكام[5].

([1]) المسند، المصدر السابق ، ص 376.

([2]) نيل الإبتهاج، ج1، ص 31.

([3]) الإحاطة، ج1، ص 343.

([4]) نفسه ، ص 344.

([5]) نيل الإبتهاج، ج1، ص 32.

10- إبراهيم بن عبد الحق الحسناوي التونسي [1]:

قال عنه ابن الأحمر في فهرسته : «شيخنا الفقيه المتفنن الكاتب الشاعر المكثر المعمّر ابن الفقيه أبي محمد، أخذ عن الفقيه المحدّث الحافظ الرّاوية المغربي أبي العبّاس بن موسى البطروني، و توفي بفاس سنة 775هـ».

11- عبد الله بن يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان النجاري المالقي ثمّ الفاسي[2]: قال عنه أبو زكرياء السراج في فهرسته: «شيخنا الفقيه الخطيب البليغ النحوي اللغوي الرّاوية المتفنّن الناظم الناثر الصدر الأوحد رئيس الكتاب أبو القاسم ابن الفقيه الوزير الجليل الماجد الأصل الفاضل، كان متفنّنا في معارف شتى عارف بعقد الشروط آخذًا بحظ وافر من الرواية، شاعرًا مجيدًا كاتبا بليغًا، حسن الخط...محبّا لأهل الدّين معظما لهم و لمن ينتسب للصوفية...».

أخذ عن والده و خاله ابن الحاكم ابن القاضي أبي القاسم بن ربيع والفقيه العالم قاضي مالقة أحمد بن عبد الحق الجدلي، و الإمام الولي أبي عبد الله الطنجالي، والقاضي أبو بكر بن منظور، و القاضي ابن بكر سمع عليه مسند البزار، و العالم الصدر الخطيب ابن أبي الجيش الضريحي، قرأ عليه الكرّاسة و الجمل و ألفية ابن مالك وتسهيله والمقرّب و الإيضاح و الأسرار العقلية لأبي العزّ، و فرعي ابن الحاجب و تلخيص ابن البناء تفقها و تفهّما؛ كما أخذ عن الخطيب الحافظ أبي القاسم بن جزى قرأ عليه كثيرًا من كتب القراءات و أبعاضًا من الموطأ و مسلم و الترميذي و النسائي و أبي داود و الشمائل والشفا و سراج ابن العربي و غيرها من التآليف. و الشيخ الفقيه قاضي الجماعة أبي البركات بن الحاج، و الفقيه الصوفي أبي علي عمر بن عتيق الهاشمي، و الفقيه الصوفي عبد الله بن سلمون، و أستاذ الجماعة رئيس النحاة ابن الفخّار البيري تفقه عليه في الجمل و كتاب سيبويه و التسهيل، و لازم عبد المهيمن الحضرمي سفرًا و حضرًا، و عن الإمام الآبلي و القاضي أبي سعيد عثمان بن أبي رمّانة و قاضي مراكش أبي عبد الله بن سعود

---

(1) نيل الإبتهاج، ج1 ، ص 33.

(2) نفسه ، ص 236، 237.

و ابن عبد السلام الهواري و خلق كثير. ولد عام 718هـ و له تأليف حسن في السياسة السلطانية و توفي و لم يذكر تاريخ وفاته.

12- عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي [1]:

الشيخ الصالح الإمام النحوي أبو زيد الفاسي، ألّف شرحًا مختصرًا على الألفية اعتنى به الطلبة كثيرًا، و آخر كبيرًا لم يتم أتلفه الحسدة إلاّ أوائله على ما قيل.

نقل عنه ابن غازي و غيره و له شرح الجرمية و نظم المعرب من الألفاظ والمقصورة في مدحه صلى الله عليه و سلم على سنن مقصورة ابن دريد نحو ثلاثمائة بيت و فيها يقول :

مقصورة لكنّها مقصـــورة **** على امتداح المصطفى خير الورى
ما شبتها بمدح خلق غيـره **** لرتبة أحظـى بها و لا جَـدى
فاقت علاء كل ذي مقصورة **** و إن هُمُ نَلوا الأيـادي و اللّهـى
فحازم قد عُدَّ غير حـازم **** و ابن دريد لم يفـده مـا درى

و له أيضا رجز في التصريف نحو أربعمائة بيت و يقول فيه :

فلو نهوا عن الهوى النفوسا **** و جانبوا التمويه و التلبيسا
لسلموا أنّي فيهم ماهـرُ **** و نور فهمي في العلوم باهر
لكن كبار أهل هذا العلـم **** يدرون تحصيلي له وفهـمي

توفي سنة 807هـ، و أخذ عنه ابن مرزوق الحفيد، و أثنى عليه بالعلم و الصلاح والفضل، و أنجب ولده حماد و كان عالمًا بالنحو، و لكن دون والده[2].

---

(1) نيل الإبتهاج، ج1، ص 272.

(2) نفسه، ج1، ص 272، 273.

13- عبد العزيز بن عبد الواحد اللّمطي الفاسي:

نزيل طيبة المشرفة الإمام العالم العلامة المتفنّن الفصيح الناظم الناثر، له عدّة منظومات في فنون وقف على كثير منها في الأصلين و الفرائض و التصوّف و البيان والمنطق و الجدل و غيرها.

قرأ بفاس على أبي العباس الزقاق، و كان آية في التوسع في العلوم و التفنن فيها، بعث لأخيه شيخنا عثمان اللمطي منظومة له فيها نيف و عشرون فنًّا، و نظمه حلو رشيق.

حج أزيد من ثلاثين حجّة و مات بالمدينة و بها سكناه. ألّف ألفية في النحو وضمن ألفية ابن مالك، و له تقييد على مختصر خليل.

14- يحيى بن أبي يعزى [1]: قال عنه الشيوخ زرّوق في كناشته: «كان قاضيا بالمدينة البيضاء بفاس، يدرس النحو عارفًا بعلوم الأدب و التنجيم و نحوها، توفي آخر تسع و ثمانمائة».

وقال عنه الونشريسي في وفياته : «سنة إحدى و تسعين توفي الفقيه القاضي بالدار البيضاء الكريم الشمائل أبو زكرياء بن أبي حامد حفيد ولي الله أبي يعزى».

15- عبد الواحد بن أحمد بن يحيى بن علي الونشريسي [2]**:**

قاضيها و مفتيها، قال عنه الشيخ المنجور في فهرسته: «شيخنا الفقيه المحقق المفتي الموثق النحوي الأديب الخطيب الفصيح الناظم الناثر أبو محمد، ولد بفاس بعد الثمانين وثمانمائة، أخذ عن أبيه أبي العباس، و الشيخ ابن غازي و الأستاذين الحبّاك والهبطي والفقيه أبي زكرياء السوسي ختم عليه الألفية أزيد من عشر مرّات، و ابن هارون وغيرهم. كان رائق الخطّ فائق الإنشاء و الشعر، متقدّمًا في الوثائق و المكاتبات بأبدع كلام بلا تكلف...».

له نظم كثير في مسائل كشهادة السماع و مفتيات البيع الفاسد و ما يفتيه حوالة السّوق و مواضع الإقالة في البيع و غيرها، جمعها أبو زيد الكلالي، و له نظم قواعد أبيه

---

(1) نيل الابتهاج ، ج2، ص 340.

(2) نفسه ، ج1، ص 322، 323.

إيضاح المسالك نظما مستوفيا و زادها قواعد بأمثلتها و صورًا و مُثلاً اِنتزعها من مختصر اِبن عرفة. توفي مقتولاً في ذي الحجة سنة 955هـ عن نحو سبعين سنة.

16- عمر بن عثمان الونشريسي المكناسي أبو حفص [1]:

قال عنه اِبن الخطيب في نفاضة الجراب : «كان فقيها مدرّسًا أستاذًا في فن العربية، حضرت مذاكرته في مسألة أعوزت عليه، و طال سؤاله عنها و هي قول الشاعر:

و النّاس أكْيَس من أن يمدحوا رجُلاً

مَـا لَمْ يرَوا عنده آثـار إحسان

و صورة السؤال كيف صحّ وقوع أفعل بين شيئين لا اِشتراك بينهما في الوصف ؟ إذا أوقع الشاعر أكْيَس بين الناس و بين أن يمدحوا و هو مسؤول بالمصدر و هو المدح ولا يوصف بذلك». توفي بفاس عام 816هـ.

17- إبراهيم بن هلال الفلالي السجلماسي [2]:

مفتيها و عالمها الفقيه العالم الحافظ الصالح، أخذ عن الفقيه اِبن أملال و الإمام القوري مفتي فاس و غيرهما، كان آية في النظم و النثر و نوازل الفقه.

له عدّة تآليف منها : كتاب المناسك و تعليق على مختصرخليل و لم يكمل، و شرح على البخاري اِختصر فيه اِبن حجر و له فتاوى مشهورة، توفي سنة 903هـ.

18- أحمد بن شعيب الفاسي [3]:

ذكر اِبن خلدون بأنّه برع في اللّسان و الأدب و العلوم العقلية من فلسفة و تعاليم وطب و غيرها، و له شعر يسابق به فحول المتقدّمين و المتأخّرين، وله إمامة في نقد الشعر.

([1]) نيل الإبتهاج، ج2 ، ص 339.

([2]) نفسه، ج1، ص 58.

([3]) الإحاطة، ج1، ص 272 و أيضا، التعريف باِبن خلدون، ص 48.

19- محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن يجبش التازي [1]:

الفقيه الصالح الأديب الناظم الناثر أبو عبد الله، كان فقيها نحويًا عروضيا، شاعرًا، له عدّة قصائد منها تلك التي كان يندب بها الناس للجهاد عن كائنة غرناطة، و قصائد في مدح تآليف الإمام السنوسي كالصغرى و شرح مسلم و مراسلات معه.

ذكره تلميذه الإمام الملالي، ومن نظمه في الرّد على البيتين الذين ذكرهما الزمخشري في الطعن على أهل السنة و هما:

لجماعة سمّوا هواهم سُنّة **** لجماعة حُمُرٌ لعَمْرِي موكَفة

قد شبهوه بخلقه و تخوّفوا **** شنع الورى فتستّروا بالبلكفة

20- محمد بن جابر الغساني المكناسي [2]: الفقيه العالم الناظم، نظم المرقبة العليا في تعبير الرؤيا لابن رشد، و نظم رجزًا بديعًا في التعريف ببلده سماه نزهة الناظر لابن جابر، و له تأليف في رسم القرآن، أخذ عنه الحافظ القوري، و له تسميط البردة للبوصيري توفي سنة 827هـ.

21- علي بن منون أبو الحسن الشريف الحسني المكناسي [3]:

قال عنه اِبن غازي في فهرسته : «الشيخ الأستاذ النبيل...، ختمت عليه القرآن مرارًا و تمرّنت عليه في الفرائض و الوثائق و إعراب القرآن و اِستفدت منه كثيرًا، أدرك الفقيه المفتي أبا الحسن علي بن عمر، و أبا حفص الرجراجي، و أبا مهدي بن علال، و أبا يعقوب يوسف بن منحوت، و أبَا زيد الجاديري و أبا وكيل ميمون، و أبا عبد الله النجّار، و كانت فيه دعابة، أنشدني لبعضهم :

يا معشر الإخوان أوصيكم **** وصية الوالد و الوالـــده

لا تعلموا الأقدام إلاّ لمـن **** كانت لكم في وصله فائده

إمّا لعلم تستفيـدونـــه **** أو لكريم عنده مائـــدة

(1) نيل الإبتهاج، ج2، ص 273.

(2) نفسه ، ج2، ص 156.

(3) نفسه ، ج1، ص 378، 379.

ولد سنة 790هـ، و مات بعد 870هـ بمكناسة».

2-2- العلوم العقلية (الطب، الفلك، ....):

و من شيوخ العلوم الطبيعية في الدولة المرينية نذكر :

1-إبن البنّاء (654-721هـ/1256-1321م) :

عالم مراكشي متفنّن في علوم جمّة، برز بصفة خاصة في الرياضيات، و الفلك والتنجيم و العلوم الخفية، و كذلك في الطّب.

وهو أحمد بن محمّد بن عثمان الأزدي المعروف بأبي العبّاس بن البنّاء المراكشي كان أبوه البنّاء، ولد في مراكش عام 654هـ/1256م و قضى أغلب فترات حياته بها وهذا هو السبب في اِنتسابه لهاو بها درس النحو و الحديث و الفقه، ثم ذهب إلى فاس ودرس الطب و الفلك و الرياضيات، و كان من أساتذته اِبن مخلوف السجلماسي الفلكي و اِبن حجلة الرياضي، و قد حظي اِبن البنّاء بتقدير ملوك الدولة المرينية في المغرب الذين اِستقدموه إلى فاس مرارًا، و توفي في مدينة مراكش عام 721هـ/1321م(1).

إسهاماته العلمية :

من إسهامات اِبن البنّاء في الحساب أنّه أوضح النظريات الصعبة و القواعد المستعصية، و قام ببحوث مستفيضة عن الكسور، و وضع قواعد لجمع مربّعات الأعداد و مكعّباتها. و قاعدة الخطأين لحلّ معادلات الدرجة الأولى، و الأعمال الحسابية، و أدخل بعض التعديل على الطريقة المعروفة "بطريقة الخطأ الواحد"، و وضع ذلك على شكل قانون.

و جاء في دائرة المعارف الإسلامية أنّ اِبن البنّاء قد تفوّق على من سبقه من علماء الرياضة من العَرب في الشرق، و خاصّة في حساب الكسور، كما عُدّ من أهمّ الذين اِستعملوا الأرقام الهندسية في صورتها المستعملة عند المغاربة.

(1) http://www.isesco.org.ma/pub/arabic/fikr/page39.htm.

مؤلفاته [1]:

ألّف اِبن البنّاء أكثر من سبعين كتابًا في الحساب، و الهندسة و الجبر، و الفلك والتنجيم، ضاع أغلبها و لم يبقَ إلاّ القليل منها، و أشهرها:

* **كتاب تلخيص أعمال الحساب :** يعترف "سميث" و "سَارطون" بأنّه من أحسن الكتب التي ظهرت في الحساب، و قد ظلّ الغربيون يعملون به إلى نهاية القرن السادس عشر للميلاد، و كتب كثير من علماء العرب شروحًا له، و اِقتبس منه علماء الغرب، كما اِهتم به علماء القرنين التاسع عشر و العشرين، و قد ترجم إلى الفرنسية عام 1864م على يد مار، و نشرت ترجمته في رومَا، و قد أعَاد ترجمته إلى الفرنسية الدكتور محمّد Marre سويسي، ثمّ نشر النص و الترجمة مع تقديم وتحقيق سنة 1969م.
* **مقالات في الحساب :** و هو بحث في الأعداد الصحيحة، و الكسور، و الجذور، والتناسب.
* **كتاب الجبر و المقابلة.**
* **كتاب الفصول في الفرائض.**
* **رسالة في المساحات.**
* **كتاب الإسطرلاب و اِستعماله.**
* **كتاب اليسارة في تقويم الكواكب السيّارة.**
* **منهاج الطالب في تعديل الكواكب :** و قد حقق المستشرق الإسباني فيرنه خينس مقدمّة الكتاب و بعض فصوله و تَرجمها إلى الإسبانية سنة 1952.
* **كتاب أحكام النجوم....** [2]

و قد صدر للأستاذين محمد أبلاغ و أحمد جبّار كتاب بعنوان"حياة و مؤلفات اِبن البنّا" ضمن منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس بالرباط سنة 2001 يتضمن جردًا شاملاً لمؤلّفاته.

---

(1) نيل الإبتهاج، ج1، ص 84، 85.

(2) http://www.isesco.org.ma/pub/arabic/fikr/page39.htm.

2-إبراهيم بن المصمودي :

الفقيه الفرضي الحيسوبي متقدّم في الفرائض و الحساب، تصدّر لهما بفاس، أخذ عن جماعة من العلماء منهم عبد الحق المصمودي و غيره. توفي سنة 913هـ[1].

3-عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن ابن يوسف بن محمد بن عطية

المديوني[2]: ثمّ الجاديري و به اِشتهر، الفاسي الشيخ الفقيه العالم الموقت الإمام، ولد سنة ست أو سبع و سبعين و سبعمائة و اِستوطن فاس، و كان بها عدلاً مبرزًا، و لي التوقيت بجامع القرويين منها و كان متفننا مقرئًا نحويًا حيسوبيا موقتا. قرأ بالسبع على اِبن عمر، و على أبي عمر عثمان الوزروالي، و أبي عبد الله الفخّار و أبي عبد الله القيسي و روى عن الترجالي و برهان الدين بن صديق و أبي الحسن اِبن الإمام البخاري و غيرهم.

له تآليف منها: روضة الأزهار في علم وقت الليل و النهار، و اِقتطاف الأنوار ذكر فيه مسائلها نثرًا كالشرح لها، و مختصر الإقتطاف المذكور و كتاب جمع فيه بين العمل بآلة الإسطرلاب و بالصفيحة الشكارية و بربع الدائرة و العمل بالحساب و الجدول في إثنين و أربعين بابًا، و تنبيه الأنام على ما يحدث في أيام العام، و شرح رجز أبي مقرع، و مختصر شرح الخاقانية للداني، و رجز سماء النافع في أصل حرف نافع، وشرح رجز شيخه القيسي في الضبط، و شرح الدرر اللّوامع، و له أيضا المذكر والمؤنث و غيرها، توفي في نيف و أربعين و ثمانمائة و دفن في داخل باب الفتوح. من شيوخه أبو زيد المكودي روى عنه مقصورته و غيرها.

4-عمر بن محمد الرجراجي أبو علي الفاسي [3]:

إمام في الفرائض و الحساب، قال عنه اِبن الخطيب القسنطيني : «كان من أولياء الله تعالى و صدور العلماء و شهرته بالصلاح أكثر من شهرته بالعلم، لازمته و قرأت عليه الحوفية في الفرائض، و حضرت معه مجالس العلم كمجلس الحافظ الفقيه القباب في

---

(1) نيل الإبتهاج، ج1، ص 59.

(2) نفسه ، ص 277، 278.

(3) نيل الابتهاج، ج1، ص 339- 341.

الحديث و الفقه و الكلام، و مجلس الفقيه العالم الصالح مفتي فاس الوانغيلي الضرير وهو قارئ مجلسه اِنتفعت به كثيرًا، و إذا قصدته فيما عسر عليّ فهمه أجلسني مع السارية وجلس هو بين يدي كأنّه السائل لتواضعه و إخفائه» تولّى الخطابة بجامع الأندلس بفاس. و توفي سنة 810هـ.

5-موسى بن علي الأغصاوي أبو عمران بن العقدة :

الفقيه الفرضي الحسابي، ذكر بعضهم أنّه أوّل من أدخل شامل بِهرام لفاس، توفي في السادس من رمضان سنة إحدى عشرة و سبعمائة، ذكره الونشريسي في وفياته ووصفه بالفقيه الفرضي[1].

6-أبو العباس أحمد بن شعيب [2]:

أحد فضلاء وقته و نبلاء زمانه، فقيه مشارك تعاليمي، طبيب، أديب و نباتي وطبقة في قرض الشعر، و إمام في التعاليم، له معرفة كبيرة بالأشجار و النبات، بارع الخط يحسن الكتابة و لذلك اِستخدمه السلطان أبو الحسن المريني في ديوان الكتابة.

7-عبد الرحمن الهزميري أبو زيد [3]:

الولي الشهير، شيخ الطائفة الهزميرية بالمغرب، العالم العامل ذو المناقب. ذكر اِبن الخطيب القسنطيني أنّ الشيخ أبا العباس اِبن البناء كان يقصده فيما يشكل عليه من مسائل الهندسة و غيرها، ثم قال فأجد الزمام عليه فيجيبني من طرف الحلقة فأنصرف بلا سؤال.

اِرتحل من بلده أغمات قاصدًا السلطان أبي يعقوب المريني و هو في حصاره العظيم لتلمسان لقضاء حاجة منه، في ظاهر أمره، و نيته باطنا صرفه عن ذلك الحصار لشدته. فلم يقبل منه، فرجع إلى فاس و نزل بجامع الصفارين، و بعد أيام قتل السلطان أبو يعقوب و رجع جيشه، فقال له خديمه، ظنًّامنه أنّه ما أقام إلاّ ليرغب إليه إلى الله في

---

(1) نيل الابتهاج ، ج2، ص 303.

(2) المسند الصحيح، ص 375.

(3) نيل الإبتهاج، ج1، ص 262، 263.

الفرج، مات السلطان أبو يعقوب، ففرّج الله على تلمسان فباسم الله نأخذ في الحركة، فقال له: و عبد الرّحمن يموّت - بتشديد اليم- يعني نفسه فمات بعد أيام يسيرة سنة ست وسبعمائة و دفن هناك.

8-الحسن بن عثمان بن عطية:

و هو ابن أخ الفقيه الحسن بن عطية المعروف بالونشريسي السالف الذكر، كان فقيها عدلاً من أهل الحساب و القيام على الفرائض و العناية بفروع الفقه يقرض الشعر وله أرجوزة في الفرائض مبسوطة العبارة مستوفية المعنى.

قال عنه ابن الأحمر : «شيخنا الفقيه المفتي المدرّس القاضي الفرضي الأديب الحاج أبو علي ابن الفقيه الصالح أبي سعيد عثمان التجاني المنعوت بالونشريسي، أجازني عامة، أخذ عن الفقيه المفتي الخطيب المعمر القاضي المحدّث الرّاوية خاتمة محدّثي الغرب أبي البركات بن الحاج البلفيقي»[1]. ولد في حدود 724هـ و كان حيًّا قرب 790هـ.

ومن شعره قصيدة رَفعها إلى السلطان أبي عنان فارس يقول فيها :

نبدأُ أوّلا بحمد الله **** و نستعينه على الدّواهي
ثمّ نوالي بالصلاة و السلام **** على النبي دونه كلّ الأنام
و بعد ذا نسأل ربّ العالمين **** أن يهب النصر أمير المؤمنين
خليفة الله أبا عنان **** لا زال في خير مع الأمان
ملكه الله من البلاد **** من سوس الأقصى إلى بغداد
و يستر الحجاز و الجهادَا **** و جعل الكلّ له مهادَا
يا أيّها الخليفة المظفّر **** دونك أمري إنّه مفسّر
عبدكم نجل عطية الحسن **** قد قيل لا يشهد إلاّ أن يُسَن
و هو في أمركم المعهود **** من جملة العشرة الشهود
نص عليه أمركم تعيينًا **** وبينه قارب أربعينا
مع الذي ينتسِبُ العبد إليه **** من طلب العلم و بحثه عليه
على الفرائض له أرجوزة **** أبرز في نظامها إبريزه

([1]) نيل الابتهاج ، ج1، ص 171.

و مــجلس لـــه على الرسالة **** فــكيف يــرجو حاسد زواله
حــاشا أمــير المؤمنين ذاكا **** و عــدله قــد بــلغ السماكا
و عــلمه قــد طــبق الآفاقا **** و حــلمه قــد جاوز العراقا
و جوده مشتهر في كلّ حيّ **** قصر عن إدراكه حاتم طيّ [1]

9-محمد بن أحمد بن عبد الله اليفرني الفاسي قاضي الجماعة بها الشهير بالمكناسي[2]:

كان فقيها قاضيا فرضيا حسابيا، أخذ عن القوري و غيره، تولّى قضاء فاس أزيد من ثلاثين سنة، كان فاضلاً ذا سياسة، هو من بيت علم من ذرية أبي الحسن الطنجي المعروف بالمكناسي، له تقييد على الحوفية، و لجدّه عبد الله أيضا تقييد عليها أجاد فيه، توفي قاضيا سنة 918هــ و كان مولده سنة 839هــ. له تآليف في القضاء نقل عنه الشيخ ابن غازي في تكميل التقييد.

(1) نظم ابن عطية هذه الأبيات بعد القضية التي وقعت له مع عدول مكناسة، و ذلك بعد ما أمر السلطان أبو عنان فارس بالإقتصار على عشرة من الشهود بمدينة مكناسة كتب فيهم اسم الشيخ أبي علي هذا فشق ذلك على بعض شيوخ العدول لحداثة سن أبي علي فصنع رجزًا و رفعه إلى مقام السلطان، انظر ، نيل الإبتهاج، ج1، ص 171، 172.

(2) نيل الإبتهاج ، ج2، ص 270.

الفصل الثالث

العلاقات السياسية والثقافية بين الدولتين

- ✧ المبحث الأول: العلاقات السياسية بين الزيانيين والمرينيين
- ✧ المبحث الثاني: العلاقات الثقافية بين الزيانيين والمرينيين

المبحث الأول: العلاقات السياسية بين الزيانيين و المرينيين

1- منشأ الخلاف وبداية الصراع: " عهد يغمراسن بن زيان "

- إن الخلاف بين بني مرين وبني عبد الواد قديم ، ناشئ عن التنافس الشديد بينهما حول بسط نفوذهما على أكبر مساحة من المغرب باعتبار أحقية كل واحدة منهما في وراثة الموحدين، إضافة إلى الجوار في الملك والمنافسة في الاستقلال برئاسة زناتة[1].

مما حول هذه المنافسة إلى صراع سياسي وعسكري دام سنين طويلة، غذته تلك الضغائن والرغبة اللامتناهية في تحقيق الريادة وبسط النفوذ.

إذ لم تكن دولة بني مرين الناشئة لترضى بمجاورة بني عبد الواد المنافسين لها وذلك بعدما تيقنت من المكانة الرفيعة التي يتبوأها هذا القبيل في ميدان السياسة والحرب، فنشأ عن ذلك حقد وعداوة كان مبعثها المنافسة على رئاسة زناتة والسلطان المطلق على المغرب الأوسط[2]، ويعود تاريخ هذا التنافس إلى ما بعد هزيمة الموحدين بضواحي تلمسان عندما استولى الأمير أبو بكر المريني على مدينة فاس توجه في ربيع الأول 647هـ إلى فزاز[3]، لتأكيد سلطان بني مرين فيها وجباية المغارم من القبائل، وكان قد استخلف وراءه على فاس مولاه السعود بن خرباش الجشمي من أحلاف بني مرين[4].

وكان الأمير أبو بكر عند فتحه فاس قد استبقى من كان فيها من الجند الرومي[5] المرتزق الذي كان في خدمة الموحدين، فانتهز الموحدون وأنصارهم من الصنهاجيين بالتحالف مع الجند الرومي فرصة خروج الأمير من فاس وانقضوا على واليه عليها فقتلوه، وأعلنوا عودة المدينة إلى طاعة الموحدين، وكتبوا بذلك إلى الخليفة الموحدي أبي حفص عمر المرتضى بن السيد أبي إبراهيم بن أبي يوسف يعقوب بن عبد المؤمن بن علي،

---

(1) مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، تقديم وتصحيح محمد الميلي، م و ك، الجزائر، 1986، ص 422.

(2) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 100.

(3) عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص ص 148- 154وص 162- 163، وأيضا ، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص ص 104-108 ، وأيضا ، التنسي، المصدر السابق، ص ص 11-116.

(4) كان هذا الجند تحت قيادة قائد منهم يدعى شرير الزنجي الذي تحالف مع الموحدين من أهل فاس للفتك بالسعود وتحويل الدعوة إلى المرتضى

(5) حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 18.

فلما علم الأمير أبو بكر الذي كان يحاصر فزاز ، فك عنها الحصار وعاد مسرعا إلى فاس لتدارك أمرها، فأطبق عليها الحصار وقطع عنها الماء والغذاء ومنع الداخل والخارج، فطلب أهل فاس النجدة من الخليفة الموحدي المرتضى غير أن هذا الأخير عجز عن إرسال جيش لتأييد أنصاره، لكنه إذا كان قد عجز عن العون العسكري فإنه لم يعجز عن التدبير والتآمر، فأرسل إلى يغمراسن بن زيان يستنجد به على الأمير أبي بكر ويغريه بالاستيلاء على ما يستطيع الاستيلاء عليه من النواحي التي استولى عليها بنو مرين، فأجاب يغمراسن الدعوة وخرج من تلمسان لعرقلة جهود أبي بكر في فاس[1] فتقدم إلى ممر تازا واستولى عليه، فسار نحوه أبو بكر قبل وصوله إلى تخوم بلاده فلقيه بوادي إيسلي في ذي الحجة 647هـ/ مارس 1250م بالقرب من وجدة، فكانت ملحمة عظيمة هلك فيها عبد الحق بن محمد بن عبد الحق بيد إبراهيم بن هشام من بني عبد الواد[2]، ثم توجه أبو بكر بعد انتصاره إلى فاس فدخلها وقتل كثيرا من أشياخ الموحدين وأغرمهم وأهل المدينة مالا ضخما، فدام حصار فاس أزيد من تسعة أشهر[3]. وفي الوقت نفسه كان يغمراسن قد فر في فلوله نحو تلمسان تاركا محلته بما فيها نهبا وسلبا لبني مرين.

وتعتبر هذه المعركة أول حرب نظامية جمعت بين القبيلين، وفي سنة 655هـ/ 1257م، نهضت مرين منتقمة من بني زيان لانحيازهم إلى خصومهم الموحدين فجمعتهما معركة بأبي سليط، انهزم فيها يغمراسن مرة أخرى، فتعهد الأمير أبو بكر بمتابعته فأوقفه عن رأيه أخوه يعقوب بن عبد الحق لعهد تأكد بينه وبين يغمراسن[4] فرجع، ولما قرب من الوصول إلى أحواز فاس بلغه أن يغمراسن قصد سجلماسة ودرعة لتحالف كان بينه وبين أهلها أطمعه في ملكها.

فشرع الأمير أبو بكر في السير إلى سجلماسة التي دخلها قبل يغمراسن بيومين، ثم وصل يغمراسن فنزل خارجها منتظرا، لكنه يئس من التغلب على الأمير أبي بكر بعدما دارت بينهما حرب تكافأ فيها الفريقان، وهلك فيها ابن عثمان بن عبد الحق بن أخ الأمير

---

(1) حشد يغمراسن قواته ، إذ شاركه بنو توجين وكافة القبائل من زناتة والمغرب، انظر في ذلك، العبر، ج7، ص 184، وأيضا، ابن عذارى، المصدر السابق،ج4، ص 299، وأيضا، ابن أبي زرع ، المصدر السابق، ص 305.

(2) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 172، وأيضا، ابن أبي زرع ، المصدر السابق، ص 305.

(3) ابن أبي زرع ، المصدر السابق، ص 305.

(4) السلاوي، المصدر السابق، ج3، ص 18-19.

أبي بكر، فرجع يغمراسن إلى بلده تاركا سجلماسة[1] ودرعة[2] التي عقد الأمير أبو بكر ولايتهما مع سائر بلاد الجهة الشرقية ليوسف بن يزناسن ورجع هو إلى فاس[3].

وبذلك ضاع الجنوب من الموحدين كما ضاع منهم الشمال وانحصر ملكهم في سهل مراكش بما فيه حوض نهر تنسيفت[4].

وبوفاة أبي يحيى أبي بكر بن عبد الحق المريني سنة 656هـ/1258م خلفه أخوه أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق بعد نزاع طويل مع عمر ابن أخيه، وكان أبو يوسف يعقوب قبل هذا عاملا على ناحية تازا[5]، وهو الآخر لم يتوان في محاربة يغمراسن بن زيان الذي أعلن بيعته للخليفة الموحدي أبي دبوس في شهر ذي القعدة من سنة 665هـ/ 1267م يدعوه فيها إلى التحالف ضد بني مرين قائلا: " إياك أن تطمع بني مرين فيما لديك، وأنا أكفيك شرهم وأنا وأنت يد واحدة في حربهم "[6].

وكرد فعل على هذا الحلف، حاصرت جيوش الأمير أبو يوسف عاصمة الموحدين مراكش في السنة التالية وشددت الخناق عليها، فلم يجد الخليفة أبي دبوس بدا لتخفيف الحصار المضروب عليه سوى الاستنجاد بحليفه يغمراسن الذي بعث إليه بوفد مصحوبا بالهدايا الثمينة قائلا: " كن معي يدا على حربهم "[7]، فهم يغمراسن إلى شن غارات مكثفة على الحدود الشرقية لبني مرين، الأمر الذي أجبر أبا يوسف على رفع الحصار على

([1]) سجلماسة: مدينة تقع جنوب المغرب الأقصى في مقاطعة تافيلالت، وصفها الرحالة ابن حوقل في صورة الأرض، ص 65، والبكري في المغرب، ص 148، وصفا شاملا فقال عنها أنها: كثير ة النخيل والأعناب والقصور والأبواب، ثم تحدثا عن أهلها الذين كانوا يقصدون بلاد السودان بالملح والنحاس، ويرجعون بالذهب إلى بلادهم، ولهذا كانوا في سعة من العيش، إضافة إلى أنها كانت مركزا لتجارة الذهب فقد جلبت عددا كبيرا من التجار اليهود الذين نالوا الكثير من الاضطهاد في عهد الفاطميين، راجع ، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 206-207.

([2])درعة: مدينة تقع جنوب المغرب الأقصى، وراء جبال الأطلس يخترقها نهر طويل يعرف بوادي درعة، فكانت محطة تجارية هامة في القرون الوسطى، راجع في ذلك، لسان الدين الخطيب، تاريخ المغرب، القسم الثالث، ص 139.

([3]) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص175-176.

([4]) حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 19.

([5]) تازا: مدينة بشرق المغرب الأقصى، وهي حده الفاصل بينه وبين المغرب الأوسط، ينظر، محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، 1975، ص 128.

([6]) الذخيرة السنية، ص 112.

([7]) الذخيرة السنية، ص 115، وأيضا، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 305.

مراكش مؤقتا واتجه صوب فاس حيث جهز الجيش وأعد العدة ثم غادرها في 15 محرم 666هـ/ 15 أكتوبر 1267م على رأس حشود ضخمة مكتسحا أراضي يغمراسن الذي تاهب للقائه، وفي ضحى يوم الاثنين 12 جمادى الثانية 666هـ/ 28 فبراير 1268م التحم الجيشان في معركة ضارية بوادي تلاغ[1]،تعد من أعنف ما وقع بين القبيلين ، وقد بلغ حماس الجانبين للقتال حد أن النساء برزن في القباب سافرات على سبيل التحريش والتحريض[2].

ومع التفوق المريني عدة وعددا، كانت الغلبة لصالح بني مرين، فألحقت ببني زيان هزيمة ثقيلة قتل فيها الامير أبو حفص عمر كبير أبناء يغمراسن وولي عهده، بالإضافة إلى نفر من اكبر رجال بني زيان ووجهاء عشيرته أمثال: ابن عبد الملك بن حنيفة، وابن يحيى بن مكتن، وعمر بن إبراهيم بن هشام.

فكانت هذه الهزيمة ضربة قاسية لبني عبد الواد، مزقت صفوفهم وهزت من عزائمهم مدة طويلة خصوصا بعد فرار يغمراسن إلى تلمسان، وهو منهار المعنويات[3].

وعندما فرغ منها تحرك ما كان في نفسه من ضغائن ضد يغمراسن وبني عبد الواد فأخذ يحشد الجموع من بني مرين وحلفائهم من العرب[4] ومن دخل في خدمتهم من بقايا جند المصامدة وجماعة من مرتزقة النصارى تسمى حامية الأمصار، ثم طائفة من المماليك الغز أو القز[5].

([1]) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 371، وأيضا، الذخيرة السنية، ص 116، وأيضا، الأنيس المطرب، ص 305، وأيضا، الاستقصاء، ج3، ص 25.

([2]) الاستقصاء، ج3، ص 26، وأيضا، الأنيس المطرب، ص 305، وأيضا ، العبر، ج7، ص 371.

([3]) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 176-177.

([4]) أحصى المؤرخون أفخاذ العرب الذين انضمت جماعات منهم إلى جيش المرينيين هم:

- قبائل جشم، أهل تامسنا، وهم سفيان والخلط و العاصم وبنو جابر ومن معهم من الأثبج.
- قبائل ذوى حسان والشبانات من المعقل أهل السوس الأقصى.
- قبائل رياح أهل أزغار وبلاد الهبط .

ينظر في ذلك، حسين مؤنس ، المرجع السابق، ص 128.

([5]) كل المماليك الذين حكموا سلطنة مصر والشام كانوا من الأتراك الغزية ولهذا فهم يسمون المماليك الأتراك أو المماليك القز أو الغز وهؤلاء الغز الذين ذكرناهم هم أحفاد الغز الذين دخلوا إلى المغرب الأقصى أيام حروب الموحدين مع بني غانية وبعد غزوة بني هلال، ينظر في ذلك، حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 128.

غير أن الخطة تغيرت بعدما وفد على يعقوب بن عبد الحق المريني وفد من بني الأحمر أصحاب غرناطة يستنجدون به ويستصرخونه لشد أزر المسلمين في الأندلس، فرأى يعقوب بن عبد الحق أن ينتهز هذه الفرصة ليصالح يغمراسن ليأمن جانبه، فأرسل إليه وفدا يبلغه ما إنعقد عليه عزمه من الجهاد ويدعوه إلى الصلح[1]، ولكن يغمراسن الذي لم تجف دموعه بعد حزنا على ولده عمر تعنت ورفض الصلح وأساء في القول لرسول السلطان المريني قائلا: " لا صلح بيني وبينه ولو بلغت في حربه الردى، لقد قتل ولدي وقرّة عيني وولي عهدي عمر، أصالح وأهدر دمه؟ والله لا كان هذا أبدا، ولا أترك دم ولدي يمضي سدا حتى آخذ منه الثأر وأضيق بلاده التبارى[2] "، كما كتب إليه قائلا:

فلا صلح حتى نروي السيف والقنى **** وتأخذ عبد الواد منكم بثارها

وأشفي غليلي من مرين التي طغت **** بسبب غوانيها و قتل خيارها[3]

ونتيجة لهذا الرفض ترك السلطان أبو يوسف يعقوب شأن الأندلس وسار نحو تلمسان لقتال يغمراسن فخرج إليه هذا الأخير في قومه وحلفائه من مغراوة والعرب والتقى الجمعان في منطقة إيسلي قرب وجدة في 15 رجب 670هـ / فبراير 1272م[4]، انهزم الزيانيون فيها مرة أخرى وفرّ يغمراسن من محلته بعدما أضرمت فيها النيران وقتل ولده أبو عنان فارس، وفيها حطم المرينيون مدينة وجدة ثم حاصروا تلمسان وأطلقوا الأيدي في ساحتها بالنهب والسلب[5] وقد كان مع الأمير يعقوب شاعره الملزوزي الذي كتب إليه مهنئا بهذا الانتصار قائلا:

هـنيئا لكم نصر مبين على العدا **** وصـول سعود شأنها متدوام

أمـير تـلمسان أبـدت جيوشه **** ومـا هـو مظلوم ولا أنت ظالم

---

(1) محمد مكيوي ، المرجع السابق، ص 70 وأيضا، حسين مؤنس ، المرجع السابق، ص 129و أيضا ، مبارك الميلي المرجع السابق، ص 422.

(2) الذخيرة السنية، ص 130 وأيضا، الأنيس المطرب، ص 309 وأيضا، العبر، ج7، ص 307، وأيضا، الاستقصاء ج3، ص 25.

(3) مبارك الميلي، المرجع السابق، ص 422.

(4) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 176-177.

(5) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص ص 104-105 وأيضا حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 129 وأيضا، محمد مكيوي ، المرجع السابق، ص 71.

فـديتك يا يغمور هل لك زاجر **** أيقضان حس أنـت أم أنت نائم؟
أفـي كل عام تترك ابنك للقنى **** وتسبي لك الغير الحسان الكرائم؟
أتـيت لأخـذ الثأر ويحك منهم **** وقـلـت عـسى الأيـام سـالم
وخـلفت أيـضا للصوارم فارسا **** ولـيدك لم تشفق عليه الضراغم
فـها أنـت كـالعير الذي يبتغي **** بـحرمانه قـرنا فمر يزاحم [(1)]

وبينما كان يعقوب بن عبد الحق يحاصر تلمسان، انضم إليه نفر من أبناء عمومة يغمراسن ممن كانوا يحقدون عليه ويحسدونه، وكان على رأسهم أبو زيان محمد بن عبد القوي بن العباس بن عطية كبير بني توجين من زناتة[(2)]؛ الذي قدم في جيش كبير من قومه لدعم السلطان يعقوب، نتيجة عداوة شديدة بين توجين ويغمراسن، فأكرم السلطان وفادته، واستمر الحصار على تلمسان دون أن ينال منها منالا فقرر السلطان يعقوب رفع الحصار والعودة إلى بلاده[(3)]، ورأى قبل أن يفعل ذلك أن يطمئن إلى بني توجين يصلون إلى ديارهم في أمان خصوصا بعدما عظمت نكايتهم في تلمسان وأهلها بالتخريب وقطع الثمار وإفساد الزرع وإحراق القرى كرد فعل لما كان يقوم به يغمراسن بن زيان في بلادهم[(4)]. فرجع بنو توجين إلى مقرهم من جبال الونشريس، بعدما أغدق عليهم السلطان يعقوب العطايا من الخيول والجمال والأموال، ثم مضى هو ومن معه إلى المغرب الأقصى محملا بالغنائم والأسلاب فوصل رباط الفتح في ذي القعدة سنة 670هـ/ ماي 1272م، وبالتالي نجت تلمسان مرة أخرى من بني مرين، فأتيحت ليغمراسن بن زيان الفرصة لأن يعاود نشاطه ويلم شعث إمارته، كما أمن من ناحية جاره القوي يعقوب بن عبد الحق الذي شغل بعد ذلك بأمر سبتة وطنجة ثم أمر الجهاد في الأندلس[(5)].

وبعد توالي الهزائم على يغمراسن عمد إلى تغيير سياسته تجاه المرينيين، حيث كف عن مناوءتهم لبعض الوقت وتوجه شرقا للتوسع على حساب الحفصيين، وفي سنة

---

(1) محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، ص 86.

(2) حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 129.

(3) حسين مؤنس ، المرجع السابق، ص 129، وأيضا، محمد بن عمرو الطمار ، تلمسان عبر العصور، ص 87.

(4) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 177-178.

(5) حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 129.

673هـ/1274م، انعقدت المهادنة بين يغمراسن وأبي يوسف يعقوب بمبادرة من هذا الأخير، التزم بمقتضاها يغمراسن بعدم الاعتداء على الأراضي المرينية(1) ليتسنى لأبي يوسف يعقوب تلبية نداء بني الأحمر والوقوف إلى جانبهم لصد هجمات قشتالة المتتالية على أراضيهم.

وعلى إثر هذا الصلح نهض يغمراسن بن زيان يأخذ الثأر من بني توجين لانحيازهم لبني مرين، أما أبو يوسف يعقوب فقصد سجلماسة(2) التي كانت بيد يغمراسن فضرب عليها حصارا فاقتحمها سنة 673هـ/ 1274م الأمر الذي دفع يغمراسن إلى نقض الصلح ومحاربة بني مرين، خصوصا بعدما بسط المرينيون نفوذهم على شطر كبير من الأندلس(3).

فاستنجد ملوك بني الأحمر بيغمراسن بن زيان لما استفحل أمر يعقوب بالأندلس وتعاقب الثوار إلى اللياذ به، فأغدقوا عليه بهدايا أندلسية فخمة وأموال عظيمة على أن يتولى أمر مرين وتعليق ملكهم بالمغرب فيلهيهم بالمشاكل وكان يغمراسن حاقدا عليهم فبادر إلى إجابة بني الأحمر(4).

لكن سرعان ما علم يعقوب بهذا الاتصال حتى هم إلى طلب الصلح من يغمراسن فكاتبه سنة 678هـ/ 1280م، غير أن يغمراسن تعصب لفكرته متصلبا في عداوته، ثم عاود المرينيون الكرة بعد ثلاثة أشهر فامتنع يغمراسن مرة أخرى عن الصلح بل أساء القول للرسول وقال له: " لا صلح بيني وبينه أبدا، وليس له عندي ما عشت إلا الحرب وكلما وصله من صلح مع ابن الأحمر، فهو حق، فقل له يتأهب للقائي وليستعد لنزالي

(1) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 178.

(2) بايع أهل سجلماسة يغمراسن سنة 662 هـ/ 1263م، فاستعمل عليهم ولده يحيى.

(3) في سنة 676هـ/1277م جاز يعقوب إلى الأندلس لمساعدتهم، فحاصر إشبيلية، ثم قرطبة وهاجم مدينة (جيان) واكتسح حصونا كان العدو قد استولى عليها وتخلى له (ابن اشقيلولة) عن مالقة فملكها، الأمر الذي أقلق أمير بني الأحمر محمد المدعو بالفقيه وهو الذي استدعى يعقوب بن عبد الحق للجهاد، انظر في ذلك، محمد بن عمرو الطمار تلمسان عبر العصور، ص 87.

(4) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 105، وأيضا، محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، ص 87.

وقتالي"[1]. فكان رد السلطان أبي يوسف عنيفا، حيث زحف على يغمراسن ومزق صفوفه بوادي التافنة وشتت شمله، ففر يغمراسن في فلوله إلى الصحراء ناجيا بنفسه وذلك سنة 678هـ/ 1280م، تاركا محلته نهبا مستباحا لبني مرين[2].

وفي سنة 680هـ عاود يعقوب بن عبد الحق منازلة تلمسان بعد تحالفه مع سيد بني توجين محمد بن عبد القوي، لكنهما عجزا عن الاستيلاء عليها الأمر الذي دفع بيغمراسن إلى تأديب بني توجين لانحيازهم لبني مرين، كما وطئت عساكره أرض مغراوة وعاد ظافرا إلى حاضرته[3].

لكن وبعد توالي الهزائم[4] السابقة الذكر على يغمراسن على يد بني مرين تيقن يغمراسن أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال مجابهتهم، لعدم تكافؤ القوى بينهما، وتلافيا لتكرار المأساة مع ولده عثمان، أوصاه بمسالمة المرينيين وعدم الاعتداء عليهم على أراضيهم[5] والتوسع نحو الشرق على حساب ملك الحفصيين.

([1]) ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 335، وأيضا، عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 417.

([2]) محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، ص 89.

([3]) نفسه ، الصفحة نفسها .

([4]) عن الحروب التي وقعت بين يغمراسن وبني مرين راجع، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق،ج7، ص 171- 174-176-178-363-381، وأيضا، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 197 -198-203-204-207-209، وأيضا، الذخيرة السنية، ص 83-97-131-132-145-151.

([5]) يقال أن يغمراسن وهو على فراش الموت حذر ولي عهده عثمان بقوله:" اعلم يا بني أن بني مرين بعد استفحال ملكهم واستيلائهم على حضرة الخلافة بمراكش لا طاقة لنا بلقائهم فإياك أن تحاربهم، فإن مددهم موفور ومددك محصور ولا يغرنك أني كنت أحاربهم، ولا أنكص عن لقائهم ، لأني كنت أخشى معرة الجبن عنهم بعد التمرس بهم، والاجتراء عليهم، وأنت لا يضرك ذلك لأنك لم تحاربهم، ولم تتمرس بهم فعليك بالتحصن ببلدك متى زحفوا إليك وحاول ما استطعت الاستيلاء على ما جاورك من عمالات الموحدين أصحاب تونس ليستفحل بها ملكك، و تكافئ حشد العدو، بحشدك ولعلك تصير بعض الثغور الشرقية معقلا لذخيرتك " راجع في ذلك، السلاوي، المصدر السابق، ج3، ص 56، وأيضا، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 189- 190، وأيضا، عطاء الله دهينة وآخرون، الجزائر في التاريخ، ج3، ص 80، وأيضا، عطاء الله دهينة، وصية يغمراسن، مجلة التاريخ وحضارة المغرب العربي، العدد 6، 27 جويلية ، 1969، ص ص 22- 26، بالفرنسية.

2- تطور العلاقات الزيانية المرينية مع خلفاء يغمراسن بن زيان:

* الحصار الطويل على تلمسان 698هـ/1299م وآثاره:

من خلال وصية يغمراسن أدرك أبو سعيد عثمان أن بني مرين أصبحوا عدة وعددا قوة لا قبل للزيانيين بها، وأن قتال أبيه لهم كان محتما عليه، فلا مجال له لمواجهتهم، وإن هاجموه يلتجأ إلى الحصون وبالمقابل دعاه إلى تقوية جهازه الاقتصادي والبشري بالتوسع شرقا على حساب الحفصيين وبالتالي يعمل جاهدا على تقوية جهازه الحربي وتدعيمه حتى يستطيع فيما بعد مواجهة المرينيين بحشود تعادل حشودهم، كما نصحه باتخاذ معقل لذخيرته في الثغور الشرقية البعيدة عن العدو المريني[1].

ومهما كانت درجة أصالة هذه الوصية الرسمية، فإنها وجهت سياسة خلفاء يغمراسن لمدة ثمانين سنة، والتي تمثلت في موقفهم من الدفاع بشكل أساسي من ناحية الغرب وفي رغبتهم في التوسع شرقا[2].

وبالفعل استهل عثمان عهدته بمهادنة بني مرين، إذ أوفد أخاه " محمد بن يغمراسن" على يعقوب بن عبد الحق الذي كان مرابطا في الأندلس لكي يصالحه وتم الصلح بينهما[3]؛ وبالمقابل توجه لتأديب الإمارات الشرقية الموالية للحفصيين - بني توجين ومغراوة- فوصل بجاية فحاصرها لكنها امتنعت عليه[4].

مرض يعقوب بن عبد الحق بالجزيرة الخضراء فمات سنة 687هـ/1286م فخلفه ابنه أبو يعقوب يوسف، فحدث أن ابنا له يسمى أبا عامر كان قد ولاه مراكش فثار بأبيه وظاهره في ذلك وزير له يسمى " ابن عطو "، فسار إليه أبوه وهزمه، فانتهب الأمير ووزيره مال مراكش وفرا إلى تلمسان سنة 688هـ/ 1289م؛ فما كان من أبي سعيد عثمان إلا أن أكرمهما وأجار أبا عامر على أبيه[5]، ثم عفا السلطان أبو يعقوب يوسف

---

(1) محمد مكيوي ، المرجع السابق، ص 78- 79.

(2) عطاء الله دهينة وآخرون، المرجع السابق، ص 370.

(3) حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 131، وأيضا، الطمار، المرجع السابق، ص 98.

(4) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص ص 190- 192، وأيضا، الطمار، المرجع السابق، ص 98 وأيضا، محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 81.

(5) عرفت الأيام الأولى لأبي يعقوب يوسف العديد من الثورات التي قام بها الطامعون من الأسرة المالكة والعرب، كثورة محمد بن إدريس بن عبد الحق بن عم الملك بنواحي الورغة جنوب فاس، فأرسل إليه أخاه لكنه انضم إلى الثائر وحاول =

المريني عن ابنه وأعاده إلى فاس[1] ثم طلب إلى أبي سعيد عثمان أن يسلمه الوزير ابن عطو، فرفض، فأثار ذلك حفيظة أبي يعقوب[2] فقرر غزو تلمسان وحصارها، فاحتشد في ذلك احتشادا لم يسمع بمثله وسار إليها حتى بلغها، غير أن عثمان لاذ بأسوارها متحصنا، فحاصرها أبو يعقوب بعدما نصب عليها المجانيق، وقطع شجرها وخرب ما حولها من القرى والزرع ويقول ابن خلدون في هذا الصدد: " إنه بلغ من تصميم السلطان أبي يعقوب يوسف بن عبد الحق على الاستيلاء على تلمسان أنه أدار عليها سورين بينهما فصيل، وشدد في الحصار حتى لم يخطر إليها الطير لا بل الطيف وابتنى مدينة كاملة إلى جوارها، وأقام على الحصار مائة شهر وعندما دخلت سنة 702هـ/ 1302م، اختط إلى جانب ذلك السور بمكان فسطاطه وقبابه قصرا لسكناه واتخذ به مسجدا لصلاته وأدار عليها سورا يحزهما، ثم أمر الناس بالبناء حول ذلك، فبنوا الدور الواسعة والمنازل الرحيبة والقصور الأنيقة، واتخذوا البساتين وأجروا المياه وأمر السلطان باتخاذ الحمامات والفنادق والمارستان، وابتنى مسجدا جامعا أقامه على الصهريج الكبير وشيد له منارا رفيقا، وجعل على رأسه تفافيح من ذهب سير عليها سبعمائة دينار ثم ادار السور على ذلك كله، فصارت مدينة عظيمة استبحر عمرانها، ونفقت أسواقها، ورحل إليها التجار بالبضائع من جميع الآفاق وسماها المنصورة "[3].

ومضى يشن الغارات حول البلاد حتى أضر بها فاستولى على المدن التابعة لتلمسان منها: ندرومة وهنين ووهران وتالموت، وتامزدكت، ومستغانم وشرشال وبرشك، والبطحاء ومازونة والونشريس ومليانة والقصاب والمدية وتافرجينيت وجميع بلاد بني

= الفرار إلى تلمسان، فقبض عليهما بتازة وقتلا بفاس، وثار أيضا عرب المعقل بسوس، وثار في الريف بنو وطاس، فقصدهم أبو يعقوب وأوقع بهم، لكن عمر بن يحيى الوزير فر إلى تلمسان، ولم يلبث أن رجع وعفا عنه السلطان، فكان عثمان بن يغمراسن يستقبل كل الثوار وأغاظ السلطان المريني موقف عثمان من أعدائه، فعقد السلم مع ملك قشتالة ونزل لابن الأحمر عن ثغوره بالأندلس، حتى يتفرغ لحرب بني عبد الواد،انظر، في ذلك، الطمار، تلمسان عبر العصور، ص 98.

(1)التنسي، المصدر السابق، ص 131.

(2)التنسي، المصدر السابق، ص130، وأيضا، ابن خلدون ، المصدر السابق، ج7، ص 441- 442 ، وأيضا، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 278.

(3) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 256- 257، وأيضا ، التنسي، المصدر السابق، ص 178- 179، وأيضا، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 121، وأيضا، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 386.

عبد الواد وبلاد بني توجين، ومغراوة[1]، فأضحت تلمسان تعاني الأمرين الخوف والجوع بعد تشديد الخناق عليها، لكن ورغم كل الأساليب التي استعملها المرينيون للتضييق على تلمسان وإخضاعها إلا أن صمود أهلها واستماتتهم في الدفاع عن وجودهم قد أحبط كل تلك المحاولات وحال دون سقوط تلمسان، ولم يستسلم السلطان الزياني عثمان بن يغمراسن حتى الموت[2]، فخلفه ابنه محمد بن عثمان الذي دام حكمه أربع سنوات (703-707هـ)/(1034-1308م)[3]، والذي أبلى بلاء حسنا في الدفاع عن عاصمته، بينما تأسف أبو يعقوب يوسف لموت عثمان وعجب من صرامة قومه، وقد استمر الحصار إلى أن هلك أبو يعقوب يوسف عام 706هـ/137م، فكان موته إنقاذا لبني زيان من الهلاك المحقق بعد أن دام الحصار ثمانية أعوام وأربعة أشهر وبضعة أيام، حصارا لا يدانيه حصار في التاريخ الإسلامي[4]، اضطر فيه أهل تلمسان بعد أن نالهم الجوع إلى أكل القطط والكلاب والثعابين إذ يصف لنا صاحب الاستقصا أن أهل تلمسان قبل رفع الحصار: " نالهم فيها من الجهد والشدة ما لم تنله أمة من الأمم، واضطروا إلى أكل الجيف والقطط والفئران حتى أكلوا أشلاء الموتى من الناس، وخربوا السقوف للوقود وظلت أسعار الأقوات والحبوب وسائر المرافق تجاوز العادة وقد وصل ثمن مكيال القمح الذي يسمونه البرشالة ويبتاعون به مقداره اثني عشر رطلا ونصف متقالين من الذهب العين، وثمن الرأس الواحد من البقر ستون متقالا، ومن الضأن سبعة مثاقيل، وأثمان اللحم من الجيف الرطل من لحم البغال والحمير بثمن متقال ومن الخيل بعشرة دراهم، ورطل

([1]) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 256- 257، وأيضا،حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 132.

([2]) هلك السلطان أبو سعيد عثمان بعد خمس سنوات من الحصار وقيل أنه شرب شرابا مسموما تفاديا من معركة الهزيمة والانكسار، وكانت وفاته سنة 703هـ/1304م، فبويع ولده أبو زيان الأول، انظر، التنسي، المصدر السابق، ص 178-179.

ويقول ابن خلدون في العبر، ج7، ص ص 90- 97:" أخبرني شيخنا العلامة محمد إبراهيم الأبلي وكان في صباه قهرمان دارهم (أي بني زيان) ، قال: هلك عثمان بن يغمراسن بالديماس وكان قد أعد لشربه لبنا، فلما أخذ منه الديماس وعطش دعا بالقدح فشرب اللبن ونام، فلم يكن لأوشك أن فاضت نفسه، وكنا نرى معشر الصنائع أنه ذاق فيه السم تفاديا من معرة غلب عدوهم إياهم ".

([3]) التنسي ، المصدر السابق، ص 178.

([4]) حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 133، وأيضا، محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 83، وأيضا عطاء الله دهينة وآخرون، المرجع السابق، ص 375.

من الجلد البقري ميتة بثلاثين درهما، والهر بمثقال ونصف، والكلب بمثله والفأر بعشرة دراهم والدجاجة بثلاثين درهما والبيضة بستة دراهم...."[1].

فاستهلك أهل تلمسان أموالهم وموجودهم وضاقت أحوالهم في حين استفحل ملك يوسف بن يعقوب حيث اتسعت مدينة المنصورة المشيدة ورحل إليها التجار بالبضائع من الآفاق واستبحرت في العمران ما لم تبلغه مدينة.

وقد بلغ عدد من مات من أهل تلمسان في هذا الحصار الطويل مائة وعشرون ألف إنسان[2] مما كان له وقع كبير في نفوس الشعراء ومنهم أبو عبد الله محمد بن خميس[3] الذي كان مقيما بألمرية فأساءه ما حل بأهل تلمسان من طول المحنة واشتداد البلاء فنظم قصيدة يقول فيها اشتياقا:

سل الريح إن لم تسعد السفن أنواء **** فعند صباها من تلمسان أنباء
وفي خفقان البرق منها إشارة **** إليك بما تنمي إليها وإيماء
تمر الليالي ليلة بعد ليلة **** وللأذن إصغاء وللعين إكلاء
وإني لأصبو للصبا كلما سيرت **** وللنجم مهما كان للنجم إصباء
وأهدي إليها كل يوم تحية **** وفي رد إهداء التحية إهداء
وإني لمشتاق إليها ومنبئ **** ببعض اشتياقي ولو تمكن أنباء
وكم قائل تغنى غراما بحبها **** و قد أخلقت منها ملاء وإملاء

ثم انتقل إلى الحديث عن حالها وهي تحت وطأة الحصار فقال:

لعشرة أعوام عليها تجرمت **** إذا ما مضى قيظ بها جاء إهداء
يطنب فيها عابثون وخرب **** ويرحل عنها قاطنون وأحي

(1) السلاوي ، المصدر السابق، ج9، ص ص 56- 85، وأيضا، عبد الرحمن بن خلدون ، المصدر السابق، ج7، ص 95- 96، وأيضا يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 210- 211، وأيضا، التنسي، المصدر السابق، ص 179- 180.

(2) يحيى بن خلدون ، المصدر، السابق، ج1، ص 125.

(3) هو محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن خميس الحميري الحجري الدعيني التلمساني، انظر، الإحاطة ج2، ص 556.

كـأن رمـاح الـناهبين لـملكها **** قـداح وأمـوال الـمنازل أبداء

فـلا تـبغين فيها مناخا لراكب **** فقد قلصت منها ضلال و أفياء[1]

ويقول المقري: " فإن من الاتفاق الغريب سرعة وقوع ما تمناه ابن خميس لتلمسان هذه من الخير بطول المحنة واشتداد البلاء ولم يتأخر عن تاريخ القصيدة غير أربعة أشهر "[2].

هكذا وبعدما أوشكت تلمسان على السقوط أنقذها العلي القدير بفضل رحمته فكان لاغتيال أبي يعقوب يوسف [3] واختلاف قومه على من يتولى مكانه الفرج ورفع الحصار فخرج أهل تلمسان وكأنهم نشروا من قبور وعمدوا إلى المنصورة بعد ذهاب بني مرين فخربوها وحطموا كل ما كان بها من دور وقصور ومن تلك الحادثة نقش بنو عبد الواد على سكتهم الجديدة: " ما أقرب فرج الله "[4].

3- بنو زيان وبنو مرين بين الحرب والصلح:

1- عهد أبو زيان محمد:

بعد رفع الحصار، وانتهاء النكبة، حاول أبو زيان لم شتات ملكه، فنهض من آخر ذي الحجة من 706هـ لاسترجاع نفوذ دولته في شرق البلاد منتقما ممن كان منهم في طاعة بني مرين فقصد بلاد مغراوة، فأعاد إلى حضيرته منطقة شلف وجبل الونشريس والمدية وغيرها، ثم عرج على السرسو جنوبي وهران، ثم مر ببلاد توجين فنكل بأعدائه وأرغم

([1]) ابن الخطيب، المصدر السابق،ج2، ص 539.

([2]) المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، ج2، القاهرة، 1940، ص 33.

([3]) يقول التنسي: " وتمادى بها الحصار ثماني سنين وثلاثة أشهر، وحرك الله تلك المدة الولي الشهير أبا زيد عبد الرحمن الهزميري من مدينة أغمات حتى ورد على يوسف بن يعقوب، وهو محاصر لتلمسان، فكلمه بالانصراف عنهم، ورغبه فيه غاية الترغيب فأبى إلا التصميم على ما هو عليه، فلما يئس منه قام عنه مغضبا، وقال: يجيء سعاد يقضي هذا وكان يوسف بن يعقوب قد قتل الفقيه العالم أبا علي الملياني واستلب أمواله، ومن جملة ما أخذه خصيا اسمه سعادا كان قد رباه أبو علي الملياني فكان يقول له الملياني أنت أخي، فلما أخذه يوسف بن يعقوب صيره من جملة الخصيان المتصرفين بين يديه، فلما كان يوم الأربعاء 7 ذي القعدة 706هـ دخل الخصي المذكور على يوسف بن يعقوب وهو نائم، فألقى الله في قلبه طلب ثأر مولاه فطعنه بسكين في بطنه فكان ذلك الحتف ولأهل تلمسان اللطف ".

وهذه القصة غير موجودة عند يحيى بن خلدون أو عند أخيه عبد الرحمن بن خلدون، وإنما وجدت عند بن أبي زرع، ص 285، وعند المقري، في أزهار الرياض، ج2، ص 335-336.

([4]) محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 86.

الجميع على الخضوع[1]، ثم عاد إلى تلمسان في رمضان سنة 707هـ، وفور وصوله أمر بإصلاح ما أفسدته الحرب في المباني والقصور والأسوار والمزارع غير أن الموت فاجأه بعد ذلك بقليل في 21 شوال 707هـ[2].

2- عهد أبو حمو موسى الأول (708هـ/ 1308م- 718هـ/1318م):

لم ينس أبو حمو ما قاسته تلمسان أيام الحصار، لذلك فبعد أن تولى الحكم بعد وفاة أخيه أبي زيان افتتح عهده بإبرام الصلح[3] وتحقيق السلم مع أمراء بني مرين تأمينا لظهره، حيث أوفد كبار وزرائه إلى السلطان أبي ثابت[4] فأمضوا معا صلحا، ثم تفرغ للشؤون الداخلية، فبادر إلى جمع ما أمكنه من المواد الغذائية والأسلحة وإذابة قدر كبير من الشحوم أفعم بها أحواضا عديدة، وملأ الأهراء ملحا وفحما وحطبا وحفر مطامير كثيرة شحنها قمحا وشعيرا حتى يمكن لتلمسان الثبات في وجه حصار متوقع، كما هدم مدينة يوسف بن يعقوب وأصلح ما تهدم من تلمسان وبنا الأسوار وحفر الخنادق[5].

ولما اطمأن السلطان أبو حمو على ملكه من الناحية الغربية ولى وجهه شطر الجهة الشرقية ليضرب على يد من طغى وبغى ونبذ الطاعة أيام الحصار[6]، فقصد بني توجين ومغراوة فشرد " محمد بن عطية الأصم عن الونشريس، وراشد بن محمد عن نواحي من شلف، وضم الإقليمين إلى بلاده، واستعمل عليهما ولاة، فعقد لمولاه " مسامح " على بلاد مغراوة، وعقد لمحمد بن عمه يوسف على مليانة ويوسف بن حيون الهواري على بني توجين ومد سيطرته بعد ذلك إلى متيجة[7] ومدينة الجزائر نفسها التي سلمها له أميرها " ابن علان " بعد أن استبد بها حوالي أربعة عشر عاما. فالتحق بتلمسان مع أبي حمو

([1]) الطمار، المرجع السابق، ص 112، وأيضا، حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 134.

([2]) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 212، و أيضا، التنسي، المصدر السابق، ص 180-181.

([3]) لما قتل يوسف بن يعقوب، ولي مكانه ابنه أبو سالم، وكان بن أمَة فلم يرض أبو ثابت بن أبي عامر، فبعث إلى السلطان أبي حمو أن يعينه بالطبول والرايات وما أمكنه من الجيش، مصطلحين ما عاشا، ففعل وغلب أبو ثابت وقتل عمه وانصرف موفيا بما التزم، راجع في ذلك ، التنسي، المصدر السابق، ص 183.

([4]) تولى السلطان المريني أبو ثابت الحكم من سنة 706هـ/ 1307م إلى سنة 708هـ/ 1038م وهو حفيد السلطان يوسف بن يعقوب وكان والده أبو عامر قد فر إلى تلمسان، راجع ، التنسي، المصدر السابق، ص 186.

([5]) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص112، وأيضا، الطمار ، المرجع السابق، ص 113.

([6]) الطمار، المرجع السابق، ص 113.

([7]) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص128، وأيضا، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 209.

حتى توفي، ثم سيطر على مدينة برشك، ودلس وأسس مدينة آزفون على الساحل، ومد نفوذه إلى إقليم الزاب بالصحراء الشرقية، وبذلك توسع نفوذ بني عبد الواد(1)، حتى بلغوا بجاية وقسنطينة(2).

وفي الوقت الذي كان أمراء بني عبد الواد يركزون نفوذهم ويوسعون ملكهم في الجهات الشرقية، كان السلطان المريني أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق يستعد للعدوان من جديد على تلمسان، وبالفعل قاد حملة عسكرية إليها عبر ممر تازة ووجدة، ونزل في ضواحيها لكنها استعصت عليه فاضطر إلى الانسحاب بعدما تحصن أبو حمو بالأسوار وكان ذلك سنة 714هـ/1314م(3).

بعدها اغتنم أبو حمو هذه الفرصة وراح يصفي نفوذ المرينيين بالمغرب الأوسط فقضى على إمارة الثعالبة بمتيجة المشايعة لبني مرين وطارد أمراءها إلى جهات كثيرة من حوض شلف، كما لاحق الثائر المغراوي راشد بن محمد إلى بلاد القبائل، كما قام بتشييد قصره المعروف باسم " قصر عمي موسى " الذي تحول إلى قرية بهذا الاسم جنوب شرق واد رهيو ، بالإضافة إلى قرية آقبو على الضفة اليسرى من وادي الصومام والساحل بين تازمارت وبجاية على السفوح الشرقية بجبل آكفادو وبجرجرة(4).

---

(1) الطمار، المرجع السابق، ص 113- 114، وأيضا، محمد مكيوي ، المرجع السابق، ص 91.

(2) عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الثاني، ص 16- 17، وأيضا، حسين مؤنس، المرجع السابق، ص134، وأيضا، عطاء الله دهينة وآخرون، المرجع السابق، ص 384.

(3) يذكر عبد الرحمن بن خلدون سبب هذه الحملة ومفاده أن السلطان المريني طلب من أبي حمو أن يسلم له بعض أعدائه الفارين إلى تلمسان، فأبى أبو حمو ولم يرض أن يخفر ذمته فيهم، ومن بين هؤلاء أخو السلطان المريني يعيش بن يعقوب بن عبد الحق الذي استراب بمكانه عند أخيه السلطان أبي سعيد لما سعى عنده، فنزع إلى تلمسان، وأجاره السلطان أبو حمو على أخيه، فعزم على النهوض إلى تلمسان، راجع ذلك بالتفصيل عند عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق ، ج7، ص 505، وأيضا، التنسي المصدر السابق، ص 187، وأيضا، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 213.

(4) عاشت دولة بين مرين فترة مظلمة في تاريخها امتدت من مصرع أبي يعقوب سنة 706هـ/ 1307م، حتى وفاة أبي سعيد سنة 731هـ/ 1331م، لذلك أخذت حدودها تتقلص حتى وصلت إلى ما وراء تاوريرت غربا، كما انقطعت الإمدادات من الأندلس، فعاشت الدولة كأنها في حالة راحة بعد فترة الازدهار التي عرفتها مرحلة أبي يوسف يعقوب، ولولا انشغال بني عبد الواد بالتوسع شرقا لكان بإمكانهم الاستيلاء على عدة مدن من مملكة بني مرين، راجع في ذلك، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 517، وأيضا، يحيى بين خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 213، وأيضا، السلاوي، المصدر السابق، ج3، ص 110، وأيضا، التنسي، المصدر السابق، ص 187.

لكن مما يؤسف له أن الأمير أبا تاشفين ثار على والده عام 718هـ/ 1318م فدبر له مكيدة، أفضت إلى اغتياله لإثارة ابن عمه أبا سرحان مسعود بن أبي عامر عليه وتفضيله إياه ثم تقلد الحكم مكانه[1].

3- عهد أبو تاشفين عبد الرحمن الأول(718هـ/1318م - 738هـ/ 1337م) وحصار أبو الحسن المريني لتلمسان:

هو خامس ملوك الأسرة الزيانية جلس على كرسي العرش سنة 718هـ/ 1318م بعد اغتياله لأبيه السلطان أبي حمو موسى الأول، وكان عمره لا يتجاوز الخامسة والعشرين سنة، استهل حكمه بجمع سائر قرابته الذين كانوا بتلمسان ونفاهم إلى الأندلس[2]، وكان يريد بهذا التصرف القضاء على تأثيرهم وتفادي المتاعب التي قد يتسببون فيها ضده، فقلد حجابته مولاه هلالا وقرب أعوانه إليه ومن يثق فيهم، ووزع قيادة الأقاليم على أنصاره[3] وعقد لموسى بن علي الكردي على قاصية الشرق وكلفه بحصار بجاية و " أغرق دولته بتشييد القصور واتخاذ الرياض والبساتين " حسب تعبير ابن خلدون[4].

لم يكن أبو تاشفين يختلف عن سلفه فيما يتعلق بخطتهم الرامية إلى التوسع نحو الشرق والقضاء على القبائل المناهضة لحكمهم[5]، فكان أول عمل قام به هو أن نهض للقضاء على محمد بن يوسف المغراوي الثائر على أبيه بجبل الونشريس وضواحيه ومن انضم إليه من مغراوة وتوجين، إذ حاصرهم في ربوة توكال ثمانية أيام بعدما جمع حشودا من زناتة وعرب سويد[6]، فجاعت مواشيهم ونفذت ذخائرهم فاقتحمهم، وألقى القبض على

(1) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 216، ويذكر يحيى بن خلدون في هذا الصدد قائلا : " وكان رحمه الله مؤثرا بابن عمه أبي السرحان مسعود بن أبي عامر بن يغمراسن بن زيان، عن ابنه السلطان أبي تاشفين ومفضلا إياه عليه في السر والجهر والنهي والأمر، فكثيرا ما كان يعيره به ويوبخه في الملإ بسببه، وربما أسمعه هجو القول غير مبال عاقبته "، راجع في ذلك، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1،ص 214.

(2) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 219.

(3) نفسه ، ص 219.

(4) نفسه، نفس الصفحة.

(5) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 216، وأيضا، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 220.

(6) عرب سويد هم من بطون عرب بني مالك بن زغبة ربطتهم علاقات طيبة ببني عبد الواد قبل ظهور دولتهم بالمغرب الأوسط، وبعد سيطرة بني عبد الواد على تلمسان وضواحيها اختص عرب سويد بحلفهم دون سائر بطون =

الثائر محمد بن يوسف وأمر بقتله، وعقد لعمر بن عطية على جبل " الونشريس "، وعمل بن عبد القوي، ولسعيد العربي من مواليه على عمل " المدية "[1]، واستمر في التوسع شرقا حتى وصل بجاية فأمر قائده موسى بن علي الكردي بمحاصرتها والضغط عليها وكرّر عليها الهجمات مرة في كل سنة تقريبا[2].

ظل أبو تاشفين يتذكر تلك الحملة الشنعاء التي شنها عليهم الحفصيون في عهد أبي زكريا الأول 639 هـ/ 1242م وانكسار الدولة الزيانية في عهد يغمراسن بن زيان وانهزامه أمام هذه الحملة.

ومن ثم أخذ يتحين الفرص السانحة للثأر من خصومه، فانتهز فرصة حدوث اضطرابات في أعمال قسنطينة التي ضعضعت أركان الدولة الحفصية، فضيق عليها الحصار دون أن يقتحمها سنة 720هـ/ 1320م لحصانتها [3] وشدة مقاومة أهلها، ثم اتجه إلى بلاد العناب وجال في ربوعها، ثم عاد إلى وادي بجاية[4] ، حيث ابتنى في أول مضيقه حصن " بكر "[5] وأنزل به الجند والعتاد وترك عليه القائد يحيى بن موسى الجمي وعاد[6].

واستمرت التحرشات والغارات الزيانية على أملاك الحفصيين، إذ حاول أبو تاشفين الأول غزو بجاية ثم قسنطينة التي حاصرها ثلاث مرات ما بين 721 هـ/ 726هـ -

---

=زغبة، وقرب يغمراسن رؤساءهم من أولاد عيسى بن عبد القوي، وبعدما تدهورت العلاقات بين سويد وبني عبد الواد طردوا من التل واستقروا بجوار أوطان بني توجين في الصحراء وتصاهروا فيما بينهم حتى صاروا حلفاء ضد بني عبد الواد، لكن عندما تولى أبو تاشفين الأول الحكم تقرب إليه (عريف بن يحيى) زعيم عرب سويد لعلاقة ربطته به في الصبا لكن سرعان ما انحازوا إلى بني مرين سنة 720هـ/ 1320م، ولذلك لعبت سويد دورا تاريخيا في غزو بني مرين للمغرب الأوسط سواء بالتحريض أو بالاشتراك في قوات المرينيين مما جعلهم في وضع مميز في الدولة المرينية، راجع في ذلك، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص ص 46-48.

([1]) الطمار، المرجع السابق، ص 123- 124.

([2]) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 221.

([3]) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص216، وأيضا، عبد الرحمن بن خلدون،المصدر السابق، ج7، ص 221.

([4]) وادي بجاية هو وادي الصومام حاليا.

([5]) سمى برونشفيك هذا الحصن باسم " تغار "،انظر في ذلك، برونشفيك روبير، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي إلى القرن 15م، ج1، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص 178.

([6]) يحيى بن خلدون، المصدر السابق،ج1، ص 216، وأيضا، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق،ج7، ص 221.

1321م / 1326م لكن بدون جدوى، إذ عجز عن اقتحام أسوارها، فاضطر جيشه أن يعود إلى حصن بكر [1]؛ الذي رأى أنه لم يعد صالحا لتأدية مهامه الدفاعية والهجومية، فاختط قاعدة بديلة لانطلاق جيوشه إلى الأقاليم الشرقية، وتكون مقرا للإمدادات المستعجلة أطلق عليها اسم حصن تامزيزدكت[2] تشبيها لها بالحصن الموجود جنوب مدينة وجدة وولى عليها موسى بن علي الكردي[3]، وأمده بجيش يناهز تعداده ثلاثة آلاف مقاتل وزوده بالمؤن اللازمة، فأثقل على بجاية وشدد في حصارها حتى غلت أسعارها ووهنت قواتها[4].

ظلت هذه الحامية العسكرية تهاجم مدينتي بجاية وقسنطينة وأطرفهما حتى وصلت إلى بلاد العناب، خاصة سنة 728هـ/ 1328م، ويبدو أن أبا تاشفين لم يكتف بالحصون التي بناها للتضييق على بجاية وخنق أهلها، إذ أمر ببناء حصن آخر في أعلى الوادي سنة 729هـ/ 1329م كنقطة مراقبة جديدة لبجاية وأحوازها سماه "الياقوتة "[5].

وفي السنة التالية قام أبو تاشفين بتجهيز حملة بقيادة يحيى بن موسى الجمي السنوسي يرافقه أحد الأمراء الحفصيين المناوئين للسلطة المركزية بتونس[6]، فلقيهم السلطان أبي يحيى الحفصي بالواد الشارف من إفريقية، فانخذل عنه أحياء العرب من أولاد مهلهل

([1])يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1،ص 217، وأيضا،عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق،ج7،ص 220– 221.

([2]) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 223.

ولا تزال هذه المنطقة تسمى تامزيزدكت، ومعناها المحلي المصفاة على تكلت وهي عبارة عن قلعة بنيت على أنقاض المدينة الرومانية القديمة التي كانت تعرف باسم "تبسكتو" قرب بجاية، وقد افترض الباحثون أن الموقع الاستراتيجي لتكلت والذي يتحكم في ممر الصومام للسكك الحديدية المؤدية من بجاية إلى بني منصور يشبه قمة تل المحصر المتحكم في ممر تافنة للسكك الحديدية الرابطة بين تلمسان وفاس، انظر، الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 11.

([3]) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 223، وأيضا، التنسي، المصدر السابق، ص 143.

([4]) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 223.

([5]) هو مكان يقع في مصب نهر الصومام، انظر، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 225، وأيضا، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 218، وأيضا، التنسي، المصدر السابق، ص 144.

([6]) هي سياسة انتهجها أبو تاشفين في اعتماده على مساندة ودعم خصوم العرش الحفصي واستقبالهم في بلاطه وخاصة منهم شيوخ الأعراب وأبناء الأسر الحاكمة الثائرون على السلطان والمطالبون بالعرش، فكان يدعمهم ويساندهم ويشجعهم ماديا ومعنويا بتقديم الجند والمال وتحريضهم على النهوض والثورة، انظر في ذلك، برونشفيك، المرجع السابق، ج1، ص 179، وأيضا، أبو ضيف مصطفى، القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 134.

الذين كانوا معه، فانكشفت جموعهم واستولى بنو زيان على ذخائره وحريمه ومحلاته وولديه أحمد وعمر، ومحلاته[1] وأرسلوا بها إلى تلمسان[2]، بينما نجا السلطان أبو يحيى بأعجوبة بعدما احتمى بأسوار مدينة قسنطينة وبذلك تمكنت الجيوش الزيانية من دخول مدينة تونس وأقامت بها أربعين يوما، ثم تركتها تحت قيادة ابن أبي عمران وحمزة بن عمر السلمي، وعادت إلى قواعدها بوادي بجاية سنة 730هـ/ 1330م، بعدما اخذت الولاء والطاعة من أعيان تونس، وعهدا على تقديم الجباية، وفي طريقها ضيّقت الحصار على قسنطينة وبجاية، وحالت بينهما وبين الإمدادات فاشتد الغلاء لنقص المؤونة والذخيرة[3].

في هذه الأثناء حاول أبو يحيى الحفصي المحاصَر بقسنطينة أن يبرم صلحا مع أبي تاشفين إلا أن هذا الأخير أبى[4]، فاضطر إلى طلب النجدة من بني مرين، فبعث إليهم ابنه أبو زكريا يحيى، ووزيره أبو محمد بن تافراجين[5] يطلب من أبي سعيد المريني (710هـ- 731هـ) (1310م- 1331م) مساعدته لصد هجومات بني زيان المتكررة على بلاده، عارضا عليه المصاهرة بتزويج ابنه أبي الحسن بإحدى الأميرات الحفصيات[6]، فاستقبل السلطان المريني هذا الوفد أحسن استقبال ووافق على تلبية طلب أبي يحيى وعلى عقد الزواج، ولم يتوان في إرسال وفد هام إلى تلمسان[7] يطلب من أبي

---

(1) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 138، وأيضا، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 224.

(2) أسر الجيش الزياني ولدا أبي يحيى الحفصي وبعض نسائه، ولكن أطلق سراح الولدين مع مرضعة واحدة ورفض إطلاق سراح النساء الحفصيات، أنظر برونشفيك، المرجع السابق، ج1، ص 179.

(3) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 218، وأيضا، التنسي، المصدر السابق، ص 143.

(4) كان أبو يحيى الحفصي قد أرسل رسولين إلى أبي تاشفين وهما: قاضي أنكحة المدينة، وفقيهها أبو عبد الله محمد القريشي الزبيدي، غير أن مهام هذه السفارة لم تكلل بالنجاح بسبب إصرار أبي تاشفين وعناده لأنه يعد في مركز قوة، انظر في ذلك، ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 30.

(5) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 224، وأيضا يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 193، وأيضا، التنسي، المصدر السابق، ص 144.

(6) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 218.

(7) استغل بنو مرين الفرصة لتحقيق حلمهم الذي يراودهم وهو القضاء على دولة بني زيان والاستيلاء على المغرب الأوسط.

تاشفين الأول الكف عن مهاجمة بلاد إفريقية، والإقلاع عن حصار بجاية، إلا أن هذا الطلب قوبل بالرفض، بل تحدى أبو تاشفين بني مرين في عقر دارهم، إذ وجه جيشا لغزو مدينة تاوريرت القريبة من الحدود الزيانية وهزم جيشها، ثم قفل عائدا إلى تلمسان(1).

وفي سنة 731هـ/ 1335م توفي السلطان المريني أبو سعيد وخلفه ابنه أبو الحسن(2)، فاتبع سياسة والده مع بني حفص أصهاره، وبني زيان خصومه، حيث أعاد عليهم الطلب الذي أقره أبوه شافعا للسلطان الحفصي، الأمر الذي رأى فيه تاشفين تدخلا في شؤون دولته وتهديدا لسيادتها واستقلالها، فكان رده لشفاعة أبي الحسن أسوأ من الأول(3)، بل قام بهجوم معاكس على وادي (صا) المتاخم لبلاده، وأرسل تحذيرا فيه تهديد لأبي الحسن إن هو أصر على مطلبه (4).

عندئذ لم يبق أمل في استمرار السلم بين الدولتين، فشرع أبو الحسن المريني يستعد للهجوم على المغرب الأوسط ويتأهب للحرب(5).

نهض أبو الحسن المريني في جيش كبير سنة 732هـ/ 1332م، واتجه نحو تاسالة بالغرب من سيدي بلعباس وضرب عليها حصارا طويلا(6) وبعث منها إلى صهره الحفصي في بجاية بعض المدد مع قائده الحسن البطوي انطلاقا من سواحل وهران، الأمر الذي مكّن السلطان الحفصي من هدم حصن تامزيزدكت، فتراجع بنو زيان إلى خلف حدودهم(7).

ولما تغلّب السلطان أبو الحسن المريني على أخيه الثائر عليه وقتله سنة 734هـ/ 1334م، وأعاد الاستقرار لبلاده قرر العودة لغزو تلمسان وحصارهان فنهض إليها سنة

---

(1) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ص 218.

(2) تولى السلطان أبو الحسن المريني الحكم من سنة 731هـ/ 1331م إلى سنة 749هـ/ 1348 م.

(3) يورد عبد الرحمن بن خلدون أن أبا تاشفين أساء الرد وأسمع الرسول بمجلسه هجو القول، انظر، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 226.

(4) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 219، وأيضا، ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 120- 121.

(5) التنسي، المصدر السابق، ص 146.

(6) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 226.

(7) نفسه، نفس الصفحة.

735هـ/ 1335م، فهاجم وجدة، ندرومة، هنين، تاسالة ووهران[1]، ثم حاصر تلمسان عندما لم يستطع اقتحام أسوارها، وأعاد بناء المنصورة[2]، لتصبح مقرا له ولحاشيته ويشدد من خلالها الخناق عليها، فدام هذا الحصار أكثر من ثلاثين شهرا، قاوم بنو زيان أثناءه مقاومة شديدة خاصة وأن أبا الحسن سخر لهذه الحرب أحدث الآلات المعهودة آنذاك، ولم يدخل أبو الحسن عاصمة بني زيان، إلا بعد أن تفطن لمصدر المياه الذي تتزود منه المدينة، فقطعه عنها[3].

وفي 28 من شهر رمضان سنة 737هـ/ 1336م تمكن جيش بني مرين من اختراق الأسوار ودخول المدينة، فوجدوا السلطان أبو تاشفين وأولاده ووزرائه في مقدمة المقاومين يقاتلون بشدة إلى أن قتلوا جميعا أمام باب القصر برحبة أيمن تجمعي[4].

وبذلك أفل نجم بني عبد الواد، واختفى رسم الدولة الزيانية وزال نفوذهم، وحل محلهم بنو مرين في إدارة المغرب الأوسط، مدة زمنية زادت عن اثنتي عشر سنة[5].

ومهما يكن من أمر، فإن أبا الحسن المريني قد استفاد من خدمات من تبقى من أسرة بني عبد الواد، حيث عامل أمراءهم وفرسانهم معاملة حسنة فشملهم بعطفه، وأبقى لهم مناصبهم وامتيازاتهم وكفل أبناء أبا تاشفين الصغار وأنزلهم في قصوره، كما استعمل من توسم فيه الكفاءة والشجاعة من الضباط والجنود والفرسان في جيشه وإدارته، لتوسيع نفوذه، حتى صار المغربين الأوسط والأقصى تحت لوائه، فتحقق بذلك حلم بني مرين بأن أصبحوا أقوى من حكم بلاد المغرب الإسلامي وبالتالي أصبحوا جديرين بإرث الإمبراطورية الموحدية[6].

([1]) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 227، وأيضا، برنشفيك، المرجع السابق، ج1، ص 180.

([2]) يعيد الأثريون آثار المنصورة حاليا إلى بقايا أبي الحسن وليس إلى مدينة أبي يعقوب يوسف بن يعقوب المندثرة سنة 707هـ/ 1307م، انظر، G.et.W Marcais : les monuments arabes ... pp 192- 201.

([3]) عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 46.

([4]) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 219، وأيضا، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 229، ودفن الأمير أبو تاشفين بباب وهب قريبا من ضريح أبي يعقوب التيفريسي .

([5]) عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 47، وأيضا، الطمار، المرجع السابق، ص 125.

([6]) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 537، وأيضا، السلاوي، المصدر السابق، ج3، ص 126.

وبعد أن قوي نفوذ أبي الحسن وذاع صيته، بعث إليه الملوك سفراءهم يحملون التهاني والهدايا خاصة ملك قشتالة وسلطان مالي[1] والتف حوله من كانوا بالأمس القريب أعداءه من بني عبد الواد ومغراوة وتوجين[2]،الأمر الذي شجعه على الاستيلاء على تونس دون أن يقدر العنصر العربي حق قدره فوقع ما لم يكن في الحسبان، حيث وقفت القبائل العربية ضده وكانت له بالمرصاد في القيروان في شهر صفر من سنة 748هـ/ 1347م[3]، وحالت دون استكمال مشروعه الهادف إلى الاستيلاء على إفريقية، والذي ظل يحضر له أكثر من عشر سنوات، وكان أبو الحسن قد غادر مدينة تلمسان تاركا ابنه أبي عنان نائبا له، وفي طريقه اكتسح بلاد الزاب وبجاية وقسنطينة ثم عاصمة بني حفص التي دخلها في شهر جمادى الثانية من سنة 748هـ/ 1347م [4] دون مقاومة من أهلها[5].

لكن الأعراب رفضوا إجراءاته الجديدة[6]، وبايعوا أحمد بن عثمان بن أبي دبوس (750هـ- 751هـ) / (1349م- 1350م)، وجعلوه رمزا للمقاومة وثاروا ضد بني مرين وهيمنتهم، فالتقى الخصمان في معركة حاسمة بالقيروان[7] كان الانتصار فيها لصالح القبائل العربية التي انضم إليها الزيانيان أبو ثابت وأبو سعيد في التاسع من محرم لسنة 746هـ/08 أفريل1348م، وانهزم أبو الحسن وضاع أمره[8]، فأراد العودة إلى

([1]) عطاء الله دهينة وآخرون، المرجع السابق، ص 389، وأيضا، برونشفيك، المرجع السابق، ج1، ص 197.

([2]) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 235.

([3]) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 558، وأيضا، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 235.

([4])ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية، ص 170.

([5]) ابن مرزوق، المسند، ص 194، وفي تلك الأثناء راح أبو الحسن يزور أضرحة الأولياء ومقابرهم، فزار القيروان والمهدية والمنستير لجلب عواطف الناس واحترامهم وكسب ودهم وخاصة منهم الفقهاء .

([6]) استاء أبو الحسن حينما وجد نفوذ القبائل العربية مهيمنة على الدولة الحفصية ولم يطمئن لذلك الامتياز الذي يحظون به فاتخذ بعض الإجراءات التي تحد من شوكتهم وتدخلهم في شؤون الدولة ، فألغى الضرائب التي فرضها الحفصيون بواسطة القبائل العربية، التي تطالب الفلاحين بأدائها وأراد أيضا أن يلغي الإقطاع الذي فرض عليهم، راجع في ذلك، ابن قنفذ القسنطني، المصدر السابق، ص 170، وأيضا، عطاء الله دهينة وآخرون، المرجع السابق، ص 389، وأيضا عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 47.

([7]) ابن مرزوق ، المصدر السابق، ص 495، وأيضا، ابن قنفذ القسنطيني، المصدر السابق، ص 171.

([8]) أفلت أبو الحسن من الحصار الذي فرضته عليه القبائل العربية في القيروان، وعاد إلى تونس، فوجد بها وباء الطاعون الذي مات منه خلق كثير، فشاع خبر وفاته بالطاعون، وخشي أبو عنان أن يؤول الملك إلى غيره من الأمراء=

سلطانه في المغرب فوجد ابنه أبا عنان فارسا المتوكل قد نادى بنفسه سلطانا بحجة أنه قد أُبلغ بوفاة أبيه في حربه مع العرب، فغادر تلمسان إلى فاس بصفته ولي العهد وترك عثمان بن جرار العبد الوادي حاكما على تلمسان والمغرب الأوسط وذلك سنة 749هـ/ 1348م[1].

4- عهد أبو سعيد عثمان وأبو ثابت وعودة بني زيان إلى تلمسان:

بعد انصراف أبي عنان فارس عن تلمسان إلى فاس، و انهزام أبي الحسن المريني بالقيروان وشيوع وفاته، انتهز الأميران الزيانيان أبو سعيد عثمان وأخيه أبو ثابت الفرصة لاسترجاع ملك أجدادهم فبويع أبو سعيد بن عبد الرحمن أميرا بعدما عملوا على كسب تأييد كل من مغراوة وتوجين وتحالفهما، فتوجهوا جميعا نحو المغرب الأوسط، إلا أن مغراوة خذلتهم عندما وصلوا شلف وتبعهم بنو توجين، وبقي الأميران يقاتلان في طريقهما إلى تلمسان إلى أن وصلا إلى سكاك[2]، أين التقيا أحد إخوة ابن الجرار نائب السلطان أبي عنان على المغرب الأوسط فقاتلوه حتى انتصروا عليه[3]، وتابع الأميران سيرهما فدخلا تلمسان في 22 جمادى الآخرة 749هـ، وأعادا لقبيلتهما ملكها الذي فقدته نحو اثنتي عشرة سنة، وأحيا بذلك أبو سعيد دولة أجداده، وتقاسم الملك مع أخيه أبي ثابت فالتزم كل واحد منها بصلاحياته[4].

وبدأ أبو ثابت باسترجاع نفوذ الدولة الزيانية في المغرب الأوسط، الذي خلع طاعة بني زيان بعد ذهاب رسم دولتهم، فأخضع الساحل الشمالي لتلمسان، واحتل ندرومة

=المرينيين- وكان ابن أخ له قد دعا لنفسه بالإمارة بفاس- فغادر تلمسان وقضى على منافسه في الحكم وانتصب على العرش، فدخل في صراع مرير مع والده إلى أن توفي أبو الحسن المريني في 27 ربيع الأول 752هـ/ 24 مايو 1351م، راجع في ذلك، عبد الحميد حاجيات ، أبو حمو موسى الزياني، ص 27، وأيضا، حسين مؤنس، المرجع السابق، ج2، ص 51- 52.

(1) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 580.

(2) سكاك: وادي صغير في ملتقى وادي الصفصيف يصب في نهر يسر، الذي يصب بدوره في نهر تافنة، ويقع شرق تلمسان،انظر، التنسي، المصدر السابق، ص 151.

(3) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 236- 237، وأيضا، عبد الحميد حاجيات، أبو حمو سمى الثاني، ص 25، وأيضا، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 48.

(4) التنسي، المصدر السابق، ص 151- 152.

تقلد أبو سعيد مراسيم الملك من خطبة وسكة وكرسي العرش، بينما تقلد أبو ثابت قيادة الجيوش.

وهنين ووهران، بعدما استنفر لهذا الغرض بعض قبائل زناتة والعرب[1]، في هذه الأثناء وردت إليه أخبار من الشرق عن قدوم الناصر بن أبي الحسن المريني إلى المغرب الأوسط على رأس جيش معزز ببعض القبائل العربية مثل: سويد والديالم والعطاف وحصين (وهي قبائل معادية لبني زيان)، فأرسل أبو ثابت إلى ابي عنان فارس يخبره بأمرهم ويطلب منه المساعدة.

وفي محرم 750هـ نهض أبو ثابت بعد أن وصلته الإعانات[2] من أبي عنان بقومه متجها نحو الشرق، ولقي الناصر في منطقة شلف بوادي ورك من أرض العطاف وانتصر عليه وأخضع القبائل العربية، فتراجع الناصر إلى بلاد أفريقية، بينما عرج أبو ثابت على وهران للمرة الثانية وفتحها عنوة في نفس السنة، ثم غزا ناحية شلف في أواخر شوال 750هـ وأخضع مغراوة ومازونة وما جوارهما، فأذعنت كلها إلى طاعة أبي سعيد[3].

وفي الوقت الذي كان فيه بنو زيان يعملون على توسيع نفوذهم وتوطيد أركان دولتهم وصل إلى تلمسان نبأ نزول أبي الحسن المريني الجزائر وذلك في شهر شوال من سنة 750 هـ/ 1349م في أسطول ضخم قادم من بجاية[4]، بعد أن انضمت إليه سويد بقيادة ونزمار بن عريف، وتوجين بقيادة عدي بن يوسف، ومغراوة برئاسة علي بن راشد[5] ولردّ هذا الهجوم بعث أبوعنان بمساعدات مرينية لأبي ثابت الذي قام بعملية واسعة النطاق في الناحية الشرقية، ففتح من خلالها المدية وعين عليها عمران بن موسى

---

(1) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 243.

(2) كان أبو عنان يريد القضاء على أخيه وأبيه المنافسين له، ولذلك أرسل إعانة سريعة لأبي سعيد وأبي ثابت، والمتمثلة في إطلاق سراح بني عبد الواد من سجون فاس، وعودة الرهائن إلى تلمسان، بالإضافة إلى بعض المال والرجال الذين أرسلهم لمؤازرة أبي ثابت، أنظر في ذلك، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق،ج1، ص 49، وأيضا، عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص 26

(3) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 243

(4) كان هذا الأسطول يتكون من 600 سفينة، غرق بعضها بين سواحل بجاية ودلس، بسبب الزوابع البحرية ورداءة الطقس وغرق معها 400 عالم وفقيه، كانوا رفقة السلطان أبي الحسن المخلوع، الذي نجا بأعجوبة من هذه الكارثة مع طائفة من حاشيته وخواصه، انظر، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 591، وأيضا، ابن أبي دينار القيرواني، المصدر السابق، ص 148.

(5) عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص 27، وأيضا، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 50.

الحبنوني، ثم اقتحم جبال التيطري جنوب المدية وأخضع بها عرب حصين، وتوغل إلى فحص حمزة ثم عاد إلى تلمسان في رجب سنة 751هـ[1].

ورغم هذه الانتصارات[2] إلا أن الأوضاع لم تستقر بالمغرب الأوسط لأن أبا الحسن وابنه الناصر تحركا من جديد نحو الغرب، فاستولوا ومؤيديهم على مدينة المدية ومليانة وقتلوا عمران الحبنوني.

والظاهر أن أبا ثابت استطاع إقناع زعيم مغراوة بالانضمام إليه لمواجهة مرين فاختص هو بلقاء أبي الحسن، وتكفل علي بن راشد المغراوي بلقاء ولده الناصر[3] والتقيا بتيعزيزن[4] في ناحية شلف في 10 شعبان 751هـ/ 1350م، فانتصر أبو ثابت وقتل الناصر وبعض كبار أنصار أبي الحسن الذي نجا مع الشيخ ونزمار بن عريف إلى سجلماسة عن طريق الصحراء، أما أبو ثابت فقد عاد إلى تلمسان في الفاتح شوال سنة 751هـ/ 1350م[5]، بعدما تمكن من إبعاد خطر بني مرين مرة أخرى.

ولم يبق أمام أبي ثابت إلا توطيد أركان دولته وتوسيع نفوذه، حيث خرج قاصدا برشك[6] وشرشال ومليانة[7] والمدية[8] وسهل متجية واستولى على الجزائر[9]، ثم عاد إلى أرض مغراوة وشدد عليها الخناق، فاستنجد رئيسها علي بن راشد بأبي عنان المريني الذي هدد بدوره العاهل الزياني وطلب منه رفع يده عن مغراوة، غير أن أبا ثابت واصل

---

(1) عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص 27.

(2) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 243، وأيضا، التنسي، المصدر السابق، ص 153.

(3) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 243، وأيضا، التنسي، المصدر السابق، ص 153.

(4) يذكر عبد الرحمن بن خلدون، بتعمرين في شلف، انظر، العبر ج7، ص 249.

(5) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 244.

واحترما لنساء أبي الحسن وشأنه، قام أبو ثابت بإرسالهن إلى أبي عنان معززات مكرمات مع وفد زياني رسمي.

(6) برشك عند التنسي وبريشك عند الوزان، مدينة قديمة بنها الرومان على الساحل، تبعد عن مستغانم بعدة أميال، لم يبق لها أثر بسبب زلزال 1531م،انظر، الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 32.

(7) مليانة مدينة قديمة بناها الرومان وأطلقوا عليها اسم ماكنانة، تقع في سفح جبل زكار الغربي على بعد نحو 40 ميلا من البحر ، انظر، الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 33.

(8) المدية مدينة بناها الأفارقة في تخوم نوميديا على بعد نحو 80 ميلا من البحر ، وتقع في سهل خصيب، انظر، الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 41.

(9) التنسي، المصدر السابق، ص 153.

تأديب مغراوة[1] وإخضاعها لأنها خصمهم اللّدود في كل الأوقات، حيث ألحق بها هزيمة ثقيلة وقتل زعيمها في مدينة تنس ثم عاد إلى عاصمته سنة 752هـ/ 1351م[2] بعد أن ضم إلى جيشه الكثير من فرسان مغراوة، وبذلك تمكن بنو زيان من جمع شتات قبائل المغرب الأوسط وتكوين قوة عسكرية وإبعاد الخطر المريني عن قطرهم، فأصبحت حدود الدولة تمتد بين إفريقية والمغرب الأقصى[3].

لكن سرعان ما تلاشت هذه السيطرة، بعدما نهض أبو عنان فارس منتقما من أبي ثابت وأبي سعيد متذرعا برد شفاعته لمغراوة، واتخاذها مبررا لغزو تلمسان والمغرب الأوسط والإطاحة بعرش بني زيان[4].

وفي تلك الأثناء وصل نبأ زحف أبي عنان إلى مسامع أبي ثابت الذي كان معسكرا في منطقة شلف فأقلع عنها فورا وعاد إلى تلمسان يعد العدة ويجمع المتطوعين من مختلف القبائل[5] بعدما اجتمع بأهل الحل والعقد وتشاور معهم في هذا الأمر، فوقع اتفاقهم على قرار المواجهة والمقاومة والتصدي للجيش المريني، عندئذ خرج أبو ثابت وأخيه أبا سعيد على رأس الجيش وأقاما معسكرهما بسهل أنجاد[6] بالقرب من وجدة، أين دارت معركة بين الجيشين، كان النصر فيها حليف أبي عنان بعدما تخلت بعض القبائل عن أبي سعيد وعلى رأسها بني عامر[7]، الذي أسره أبو عامر وأمر بقتله في العاشر من جمادى الأولى سنة 753هـ/ 1352م[8]، أما الأمير أبو ثابت فقد نجا من المعركة، وعاد إلى تلمسان ثم غادرها نحو الشرق للاستعانة بقبائل المنطقة والاحتماء بهم، وقد وجد منهم

([1]) كان سبب نهوض أبي ثابت إلى مغراوة أن احد أمراء بني عبد الواد ويدعى محمد بن عمر الجمي، اجتاز بمنطقة شلف آتيا من تونس، وعندما مر بمازونة قتله بعض الناس من مغراوة، فانتهز أبو ثابت هذه الفرصة وقرر الزحف إليها للأخذ بالثأر، انظر، عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص 29.

([2]) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 244- 245.

([3]) عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسي، ص 30.

([4]) التنسي، المصدر السابق، ص 153- 154.

([5]) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 245.

([6]) نفسه، نفس الصفحة.

([7]) لا تزال قرية تدعى " العامرية " تقع ما بين وهران وعين تموشنت ،انظر، العبر، ج6، ص 105- 106.

([8]) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 246، بينما يذكر التنسي وفاة أبي سعيد يوم 11 جمادى الأولى أما ابن خلدون فيحددها بيوم تسعة من نفس الشهر، أنظر العبر، ج7، ص 399، وأيضا، الزركشي، المصدر السابق، ص94.

العون والتعضيد والاستعداد للدفاع عن عرشه، عندها توجه نحو الغرب يريد مفاجأة المرينيين فانكسر جيشه للمرة الثانية في حوض شلف[1]، ولم يجد الأمير أبو ثابت بدا من الانسحاب بما تبقى من جنده[2] إلى مدينة الجزائر ومنها إلى تدلس، ثم توجهوا نحو إفريقية، ولما وصلوا وادي بجاية قبض عليهم صاحب بجاية أبو عبد الله محمد بن أبي زكرياء الحفصي وهو من أتباع بني مرين فقام باعتقالهم ثم تسليمهم إلى زعيم سويد ونزمار بن عريف الذي سلمهم إلى بني جرار للانتقام منهم[3] فقتلوا أبا ثابت ووزيره في شهر رمضان سنة 753هـ/ 1352م، اما أبو حمو موسى الثاني، فقد نجا إلى تونس وبذلك زال سلطان بني زيان مرة أخرى على يد السلطان أبي عنان المريني الذي استقر بمدينة تلمسان[4]، وبذلك انتهى حكم الأميرين أبي سعيد وأبي ثابت، واستولى بنو مرين من جديد على تلمسان وسائر المغرب الأوسط[5].

5- عهد أبو حمو موسى الثاني وإحياء الدولة الزيانية للمرة الثانية - العهد الزياني الثاني - (760هـ- 962 هـ) / (1359م- 1555م) :

أعلن السلطان أبي عنان المريني نفسه خليفة لأبيه أبي الحسن، لتبقى تلمسان تابعة لسلطة بني مرين مدة سبع سنوات أخرى، إلى أن تمكن أبو حمو موسى الثاني [6]

([1]) التنسي ، المصدر السابق، ص 154، وأيضا، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 246.

([2]) لم يبق مع أبي ثابت إلا قيلا من الأنصار وعدد قليل من الأسرة الزيانية من بينهم أبي زيان محمد بن سعيد، وأبي حمو موسى الثاني، ووزيره يحيى بن داود، حيث تنكر الجميع بملابس بالية بعدما يئسوا من مساعدة القبائل ومن التغلب على بني مرين فتوجهوا إلى إفريقية حيث تعرضوا لمحن كثيرة من قبل زواره، راجع في ذلك، التنسي، المصدر السابق، ص 155 وأيضا، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 246.

([3]) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص247، وأيضا، عبد الرحمن بن خلدون،المصدر السابق، ج7، ص 254.

([4]) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 247.

([5]) عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص 32.

([6]) هو أبو حمو موسى الثاني وهو ابن أبي يعقوب يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان، ولد بالأندلس في مدينة غرناطة سنة 723هـ ، وقد نشأ أبو حمو في تلمسان لينتقل إلى فاس أثناء الاستيلاء المريني على تلمسان سنة 737هـ، ليعود إلى تلمسان ويستقر بندرومة ، وعاش هناك بعيدا عن كل نشاط سياسي إلى غاية تنقله إلى تونس سنة 753هـ/ 1352م، ونزل بها على الحاجب أبي محمد بن تافراجين فأكرم نزله وقد أقام لديه إلى أوائل 758هـ/ 1357م ، انظر في ذلك، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص ص 13- 17، وأيضا عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص ص 69- 76.

من استرجاعها من المرنبيين عام 760هـ/ 1359م.[1]

وقد استغل أبو حمو موسى الثاني حالة الضعف التي آل إليها بنو مرين، وفشل مشروع السلطان أبي عنان في توحيد المغرب، وإخفاقه في الاستيلاء على إفريقية، وراح يعد العدة لاسترجاع ملك أسلافه.

كان أبو حمو مقيما لدى السلطان أبو إسحاق بن أبي يحيى الحفصي(751هـ- 770هـ) / 1350م- 1378م) ووزيره ابن تافراجين الذي استقبله استقبال الأمراء مدة خمس سنوات[2]، مما دفع بأبي عنان إلى إرسال وفد إلى السلطان الحفصي يطلب منه طرد أبي حمو موسى وإخراجه من بلاده، إلا أن أبا إسحاق رفض طلبه، ولعل هذا الرفض كان من الأسباب التي عجلت بخروج أبي عنان لاحتلال إفريقية سنة 758هـ/ 1357م[3]، وفرار أبي حمو موسى الثاني رفقة السلطان الحفصي ووزيره إلى الجريد بجنوب إفريقية، حيث استقر الجميع مدة من الزمن، وعندئذ بعث عرب الدواودة إلى أبي إسحاق يعرضون عليه طاعتهم، والتحالف ضد أبي عنان عدوهم المشترك الذي كانوا قد نقضوا طاعته، ثم اجتمعوا بالوزير تافراجين ورغبوه في إلحاق أبي حمو موسى الثاني بالمغرب الأوسط[4]، وذلك حتى يشغلوا الجيش المريني عن تونس، ويقطعون عنه الإمدادات من المغرب الأوسط، فضمنوا له المساعدة والمناصرة، في الوقت نفسه استطاع بنو حفص إعادة عرشهم ورجعوا إلى عاصمتهم ومعهم أبو حمو الذي أخذ يعد العدة لمشروعه، فوفد عليه شيوخ الدواودة وبني عامر وجماعة من زناتة[5]، فتعزز صفه وقوي جيشه هذا فضلا عن مساعدة بني حفص[6].

بعدها ارتحل أبو حمو موسى نحو الجريد ومنها إلى مدينة ميلة يقتفي أثر أبي عنان وجنوده سنة 759هت/ 1358م، فاحتلها وطرد من كان فيها من بني مرين[7]، ثم نهض

---

(1) ابن الأحمر، المصدر السابق، ص 34.

(2) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 17.

(3) عن هذه الحملة، انظر، ابن الحاج النميري، فيض العباب ، مصدر سابق ، ص 157 و ما بعدها.

(4) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 255.

(5) التنسي، المصدر السابق، ص 158.

(6) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص ص 20- 22.

(7) هي منطقة تقع ما بين جبل الأوراس وجبل عياض.

إلى " غتية " فعسكر بها، ثم قصد إلى بلاد الزاب يريد تلمسان، خاصة بعدما بلغه مهلك أبي عنان ، فقويت عزيمته على استرجاع ملكهم الضائع؛ وفي طريقه نازل عرب سويد الذين استولوا على وادي ملال، وقتل قائدهم عثمان بن ونزمار بن عريف، وطردهم من الوداي في ذي الحجة سنة 759هـ/ 1358م[1]، ثم اقتحم بجموعه مدينة تلمسان وطرد منها ابن السلطان أبي عنان الذي كان أميرا عليها خلفا لأبيه مع طائفة من قومه[2].

فدخل أبو حمو مدينة تلمسان مع أنصاره يوم الأربعاء الثامن من ربيع الأول سنة 760هـ/ 1359م، ليُبايع سلطانا على مملكته[3].

وبعد أن استولى أبو حمو على تلمسان أخذ يبسط نفوذ دولته على تراب المغرب الأوسط بالترغيب حينا، والترهيب أحيانا، فجاءته وفود القبائل المختلفة تقدم الولاء والبيعة والطاعة، من مناطق عديدة، لاسيما منهم سكان ندرومة وهنين ووجدة ومن بني عامر والمعقل، حيث بذل لهم أبو حمو العطاء والهدايا من بيت المال، ووزع عليهم المحاصيل الزراعية وأهدى لرؤسائهم الخيول والسروج التي غنمها من بني مرين، كما أقطعهم كثيرا من الأراضي الخصبة[4].

كما وصلته وفود أخرى من مستغانم وتمزغران والبطحاء للمبايعة والتهنئة ثم تلاهم وفد قلعة هوارة، غير أن المدن الأخرى مثل وهران ومليانة والمدية والجزائر، كانت لا تزال تحت سلطة بني مرين، فأرسل أبو حمو إلى وهران جيشا بقيادة الوزير ابن برغوث لكنه انهزم وقبض عليه في 8 ربيع الثاني 760هـ[5]، وبعث بوالده أبي يعقوب إلى المنطقة الشرقية، فاستطاع أن يفتح شلف ومليانة والمدية والجزائر التي اختارها أن تكون مقرا لولايته.[6]

([1]) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص ص 22- 24، وأيضا، التنسي، المصدر السابق، ص 158، وأيضا، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 256.

([2]) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 256.

([3]) عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 54 ، 55.

([4]) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص ص 28- 30.

([5]) عبد الحميد حاجيات ، الجزائر في التاريخ، ص 402- 403، وأيضا، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 55، وأيضا، عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص 93.

([6])التنسي، المصدر السابق، ص 185.

لم يقف بني مرين مكتوفي الأيدي أمام هذه الحوادث، خاصة بعدما وصل إلى بلادهم عرب سويد بعد هزيمتهم بوادي ملال ورغبوهم في الزحف إلى تلمسان، وكان عرش فاس تحت حكم الأمير الصغير أبي بكر السعيد بن أبي عنان إلا أن زمام الأمر كان بيد الوزير الحسن بن عمر الفودودي، الذي حشد جيشا قصد استرجاع تلمسان وأحوازها حيث سيّر إليها القائد مسعود بن عبد الرحمن بن ماساي قاصدا أبا حمو موسى الذي رأى أن يغادر تلمسان لقلة ما كان لديه من الجنود، وأن يلتحق بقبيلة بني عامر في الجنوب أوائل جمادى الأولى 760هـ.

بعدها بقليل استولى ماساي على تلمسان وأخذ يعمل على إعادة النفوذ المريني في سائر أنحاء المغرب الأوسط، لكن سرعان ما عاد إليها أبو حمو بعد صلح عقد بينه وبين الأمير المريني منصور سليمان[1].

والجدير بالذكر أن السلطان أبو حمو موسى الزياني الثاني، اضطر خلال فترة حكمه التي امتدت أكثر من ثلاثيين سنة، أن يخرج من عاصمته، والفرار بأهله وحاشيته إلى الفيافي[2] أربع مرات، نتيجة الغزو المريني المكثف لها، فكانت الغزوة الأولى سنة 760هـ/ 1359م، غادر خلالها السلطان أبو حمو عاصمته لمدة خمسة وعشرين يوما[3] وكانت الثانية في سنة 761هـ/ 1360م أخرجه منها السلطان المريني أبو سالم (760هـ- 762هـ) / (1359م- 1361م) لمدة أربعين يوما[4]، وكانت الثالثة – وهي الأطول زمنيا- بيني سنتي 772هـ/ 1371م- 774هـ/ 1373م في عهد عبد العزيز المريني(768هـ- 774هـ/ 1366م- 1372م) الذي تمكن من احتلال تلمسان أكثر من سنتين والهيمنة على المغرب الأوسط وقد أصاب أبو حمو موسى الشريد الطريد في هذه

---

(1) عبد الحميد حاجيات وآخرون، الجزائر في التاريخ، ص 403، وأيضا، عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص 93- 94.

(2) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 50- 51.

(3) نفسه، ص 52.

(4) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص ص 57- 76، وأيضا، ابن الأحمر، المصدر السابق، ص 56، وأيضا، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص ص 206- 280، وفي جمادى الثانية سنة 762هـ عقد الصلح بين أبي حمو الزياني وأبي سالم المريني ، انظر، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص89.

الفترة من الاحتلال المريني ضيقا شديدا أثناء إقامته في الصحراء بين أحلافه، بعيدا عن رعيته وعاصمته[1] التي ظلت تحت حكم بني مرين مدة تقرب من ست سنوات[2].

لم يسلم أبو حمو موسى الثاني من الصراعات العائلية حول العرش، إذ أن أحد أبناء عمومته وهو أبو زيان بن عثمان ابن أبي تاشفين الأول نهض إليه يطالبه بحقه في ولاية عرش أبيه[3]، مدعوما من خالد بن عامر من أعداء بني زيان[4]. والذي لم يتوان في التحرك بين السلطتين المرينية والحفصية طلبا للمساعدة، والتي ناصرته ودعمته بالمال والرجال للإطاحة بعرش أبي حمو الثاني، غير أنه فشل في ذلك بعد حدوث مواجهات عديدة بينهما، كان أهمها تلك التي وقعت سنة 769هـ/ 1368م والتي كادت تودي بحياة السلطان أبي حمو[5]. لذلك لم يتأخر أبو حمو الثاني في ضرب منافسيه، بدءا بابن عمه أبي زيان الذي خارت قواه وسكن ريحه[6]، كما ضرب مغراوة وبني توجين وأدبهما، ولم يفلت من قبضته حتى المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون سنة 774هـ/ 1373م عندما أحس

([1]) يحيى بن خلدون ، المصدر السابق، ج2، ص 236، وأيضا، ابن الأحمر، المصدر السابق، ص 56، وأيضا، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 281.

([2]) عن هجومات بني مرين على مدينة تلمسان في عهد أبي حمو الثاني، انظر، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 260، وما بعدها ، وأيضا، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 270، وما بعدها، وأيضا، ابن الأحمر، المصدر السابق، ص 56 وما بعدها.

([3]) كان هذا الأمير يرى أنه أحق بالإمارة من أبي حمو ولم يتمكن من إعلان حقه في الإمارة لأنه كان سجينا عند بني مرين بفاس منذ سقوط إمارة أبيه سنة 753هـ، وبعد انعقاد الصلح بين أبي حمو وبني مرين، وإطلاق سراح بني مرين فر أبو زيان من السجن والتحق بأولاد حسين بن المعقل ثم خالد بن عامر الذين أقاموه منافسا لأبي حمو، انظر في ذلك، عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص 105.

([4]) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 113، وأيضا، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 263.

([5]) وصف يحيى بن خلدون ما تعرض له أبو حمو الثاني خلال المعركة وصفا دقيقا قال فيه: " ...إلى أن أفقده الناس سوى شرذمة قليلة أنا منهم... وبلغ هو مأمنه، فسر خلصاؤه بسلامته، ثم حملوا ذخائرهم، ونبذوا الأهل والمال عرضة للنهب ، وساروا مع مولاهم... فجددنا السير يومنا وخمسة بلياليها بعده لم نطعم فيها...قوتا ولا نقنا النوم فيها إلا غرارا...وبعد غروب الشمس من اليوم السابع وبعد الست من شوال دخل أمير المسلمين دار ملكه "، انظر، البغية، ج2، ص ص 203- 206، ويذكر عبد الرحمن بن خلدون أن انهزام أبي حمو في هذه المعركة كانت سنة 777هـ/ 1357من وربما اختلطت كثرة المعارك مع هذا الخصم والتي ظلت مشتعلة أكثر من 20 سنة، انظر، العبر، ج7، ص 271- 272.

([6]) عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 290.

بميوله إلى عدوه السلطان عبد العزيز المريني على الرغم من وجود أخيه يحيى بن خلدون في بلاطه ككاتب سره الخاص(1).

وفي أوائل سنة 765هـ تأزم الوضع من جديد بين المرينيين والزيانيين، وذلك لأن أبا حمو الزياني كان يساعد أمراء بني مرين الذين ثاروا بسجلماسة ضد السلطان المريني المتوكل على الله، فكان رد فعل هذا الأخير أن ألّب أبا زيان القبي حفيد السلطان أبي تاشفين الأول لمنافسة أبي حمو بعدما أمده بالجيش والمال وأرسله إلى المنطقة مصحوبا بابن برغوث وبعض وجهاء بني عبد الواد، معززا بعرب المعقل وبحصة مرينية.(2)

فخرج أبو حمو للقائه، وكان قد نزل بعين الصفاء من جبل بني يزناسن فلم يظفر به، وتبعه إلى جبل دبدو في الجنوب، ثم عاد إلى عاصمته في الثامن من شعبان 765هـ، ثم سرح أبو حمو وزيره ابن مسلم على رأس جيش لمطاردة أبي زيان القبي، غير أنه قتل في حربه، فخرج أبو حمو بنفسه في 11 ذي الحجة في اتجاه الأعداء، فلقيهم قرب البطحاء، وبعد معركة حامية الوطيس فر أبو حمو مهزوما إلى تلمسان التي دخلها في 28 ذي الحجة 765هـ، مطاردا من طرف أحمد بن رحو شيخ أولاد حسين، وبعد انصراف بني عامر عن أبي زيان القبي ضعف حزبه وانتهى أمره بانفضاض جموعه من حوله بدون قتال، والتحقت حاشيته من وجهاء بني عبد الواد بأبي حمو بعد أن عفا عنهم(3).

وفي الوقت الذي استطاع أبو حمو موسى الثاني أن يصمد أمام أعدائه، فشل في تربية ابنه وولي عهده، فقد سقط في كمين أو مؤامرة دبرها له أعداؤه من بني مرين وحاكوا خيوطها في تلمسان، بل في بلاطه، إذ وجدوا ثغرة نفذوا منها إلى بيته، إذ قاموا بتوسيع الخلاف الذي كان قائما بين أبي حمو وبين ولي عهده أبي تاشفين الثاني، وبعض مساعديه

---

(1) يحيى بن خلدون،المصدر السابق ، ج2، ص 82- 133-135.

أوعز أبو حمو موسى الثاني إلى بعض حلفائه من عرب المعقل، فاعترضوا طريق عبد الرحمن بن خلدون، فأنزلوه عن فرسه، ثم تركوه في القفر بعد أن جردوه من كل متاعه، انظر، العبر،ج 7، ص 281.

(2) عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الثاني، ص 108، وأيضا، عبد الحميد حاجيات وآخرون، الجزائر في التاريخ، ج3، ص 407.

(3) عبد الحميد حاجيات ، أبو حمو موسى الثاني ، ص ص 109- 113، وأيضا، عبد الحميد حاجيات وآخرون، الجزائر في التاريخ، ج3، ص ص 408- 409.

وإخوته، وشجعوا أبا تاشفين للنهوض ضد والده بعدما ساعدوه لتحقيق فرصتهم[1] الثمينة التي طالما انتظروها للإطاحة بعرش أبي حمو الثاني، فبعث السلطان أحمد المريني (789هـ-796هـ)/(1387م- 1394م) مع أبي تاشفين قوة عسكرية بقيادة زيان بن عمر الوطاسي إلى تلمسان، الأمر الذي أحزن أبا حمو، غير أنه خرج لملاقاة ولده بجبل بني ورنيد، فاقتتلوا قتالا شديدا سقط على إثره أبو حمو موسى الثاني قتيلا، وذلك سنة 791هـ/ 1390م[2].

وهكذا كانت وفاة أبي حمو الثاني خاتمة هذه المأساة، التي شهدت اصطدام السلطان الزياني بفلذة كبده وولي عهده، فلقي حتفه وقد بلغ من العمر 68 سنة، بعد حياة ملأى بالحوادث ذاق فيها الحلو والمر[3].

6- عودة بني مرين إلى تلمسان واستمرار نفوذهم:

وبعد وفاة أبي حمو الثاني، تأكدت تبعية الدولة الزيانية لملوك بني مرين، إذ أصبح أبو تاشفين الثاني يخضع لنفوذهم باعتبارهم أصحاب انتصاره ونعمته في التربع على العرش الزياني، فأزاح معارضيه من أسرته، وأصبح يخطب لسلاطين بني مرين على المنابر التلمسانية في المغرب الأوسط، ويؤدي الإتاوة السنوية[4]، غير أن البيت الزياني لم تعجبه هذه الاستكانة والهيمنة المرينية الجديدة، فثار أخوه أبو زيان بن أبي حمو حاكم مدينة الجزائر يؤازره في ذلك عرب حصين وبني عامر، إذ قصد تلمسان محاصرا لها سنة 792هـ/ 1391م يريد إسقاط أخيه أبي تاشفين ، لكنه تراجع بسبب تراجع حلفائه عن نصرته وتخاذلهم، ليعود مرة أخرى بعدما جمع العدة، وتقابل مع أبي تاشفين بضواحي تلمسان في معركة كان النصر فيها لأبي تاشفين وفر أبو زيان مدحورا إلى الصحراء مستجيرا بعرب المعقل، الذين أمدوه بالمساعدة، غير أنه فشل مرة أخرى، مما اضطره

---

(1) التنسي، المصدر السابق، ص 181، وأيضا، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 291، وما بعدها.

(2) ابن الأحمر، المصدر السابق، ص 58، حول تفاصيل الصراع بين أبي تاشفين وأبي حمو، انظر، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 300 وما بعدها

(3) عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الثاني، ص 155.

(4) عبد الحميد حاجيات وآخرون، الجزائر في التاريخ، ج3، ص 425، وأيضا، الطمار، المرجع السابق، ص 209، وأيضا، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 66.

إلى سلك طريق أبي تاشفين واللجوء إلى بني مرين ينافس أخاه في ودهم، فرحبوا به ووعدوه بتلبية طلبه حين يحين الوقت[1].

وفي سنة 795هـ/ 1394م، جهزوه بالمال والرجال بعدما أحسوا بتراجع سياسة أبي تاشفين نحوهم، غير أن القدر كان أقوى منهم، إذ لما وصل أبو زيان إلى مدينة تازا بلغه نبأ وفاة أخيه إثر مرضه في رمضان من سنة 795هـ/ 1394م، ومبايعة ابنه أبو ثابت خلفا له، وتعيين الوزير أحمد بن المعز وصيا عليه لأنه صغير السن، كما برز عنه أبو الحجاج يوسف بن أبي حمو المشهور بابن الزابية مطالبا بالعرش، فضلا عن أبي زيان بن أبي حمو الثاني الذي يدعمه بنو مرين، حيث آل الحكم في الأخير إلى أبي الحجاج يوسف[2]، بعدما تخلص من ابن أخيه ووزيره الوصي عليه[3]، وتولى شؤون البلاد في جمادى الأولى سنة 795هـ/ 1394م[4]، الأمر الذي أغضب أبو العباس المريني فقرر معاقبة بن الزابية، فأرسل ابنه أبا فارس عبد العزيز إلى تلمسان لامتلاكها، فاحتلها وأقام فيها الدعوة المرينية، واستولى على معظم أنحاء المغرب الأوسط، أما ابن الزابية فقد اعتصم بحصن تاحجمومت، حيث ضرب عليه الحصار، وفي هذه الأثناء مرض السلطان أبو العباس المريني وهو مقيم بتازا، وتوفي في محرم سنة 796هـ، فغادر ابنه أبو فارس عبد العزيز تلمسان، وأسرع إلى فاس ليتولى عرش أبيه[5].

تولى أبو فارس كرسي العرش سنة 796هـ/ 1395م، وأطلق سراح أبي زيان بن أبي حمو الثاني، وأرسله مع حامية مرينية إلى تلمسان، فبويع فيها في شهر ربيع الثاني من نفس السنة، فعاد الكيان الزياني للمغرب الأوسط تحت النفوذ المريني، ليدخل في صراع مع أخيه أبي الحجاج، إلى أن تخلص منه في ربيع الأول من سنة 797هـ/

---

(1) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 303.

(2) قدم ابن الزابية من مدينة الجزائر، واستولى على تلمسان، وقتل أحمد بن الفر، و الأمير الذي نصبه على العرش، بعد تولية دامت أربعين يوما، راجع في ذلك عبد الحميد حاجيات وآخرون ، الجزائر في التاريخ، ص426.

(3) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 307.

(4) التنسي، المصدر السابق، ص 207.

(5) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص308، و أيضا السلاوي، المصدر السابق، ج2، ص140.

1396م، فاستتب له الأمر وأعاد الهدوء والاستقرار إلى البلاد، وتفرغ لبناء دولته وترميم ما أفسدته الحرب، فعادت تلمسان إلى سابق عهدها[1]، الأمر الذي لم يرض صاحب فاس. وهو أن تكون دولة في المغرب الأوسط تضاهي دولته و تنافسها، ومن أجل كسر شوكة أبي زيان لجأ إلى أحد إخوة أبي زيان، وهو أبو محمد عبد الله بن أبي حمو الثاني، فأمده بالمال و الرجال ووجهه إلى عاصمة بني زيان سنة 801هـ/ 1400م [2] حيث فرض عليها حصارا محكما أجبر أبا زيان على مغادرة المدينة، تاركا إياها لأخيه ولجأ إلى المنطقة الشرقية يطلب النصرة من الأحياء العربية و الزيانية[3] غير أن أيادي بني مرين طالته عن طريق محمد بن مسعود الوغزاني الذي تظاهر بخدمته حتى يتقرب منه- بإيعاز من بني مرين- ، و لما سنحت له الفرصة اغتاله سنة 805هـ/ 1404م [4].

وبذلك أصبحت الدولة المرينية تتدخل مباشرة في شؤون البيت الزياني، تطيح بمن تشاء، و تولي عرش تلمسان لمن تشاء، في هذه المرحلة التي صارت فيها دولة بني زيان ضعيفة، لأن حكامها نصبوا بسيوف مرينية من جهة، ومن جهة أخرى تفشي الفوضى السياسية والفتن الداخلية التي أفقدتها الكثير من الأقاليم و المناطق التي خرجت عن نفوذها وصارت تحت نفوذ بعض القبائل، وتدخل بني مرين في شؤون المغرب الأوسط ظل مستمرا، إذ لم يتورعوا عن عزل أبي محمد عبد الله، وإلقاء القبض عليه و سجنه بفاس وولوا مكانة أخاه أبا عبد الله محمد المعروف بابن خولة سنة 804هـ/ 1403م [5]. الذي حكم المغرب الأوسط تحت نفوذ ورعاية و حماية بني مرين نحو تسع سنوات إلى أن أدركه الموت سنة 813هـ/ 1411م[6].

([1]) يقول التنسي في هذا الصدد: " فأقام سوق المعارف على ساقها و أبدع في نظم مجالسها و أسباقها، وأوضح لأهل الأبصار و البصائر رسمها، و أثبت في رسوم التخليد و سمها ...فلاحت للعلم أيامه شموس و ارتاحت للاستغراق فيه نفوس بعد نفوس "، راجع في ذلك، التنسي، المصدر السابق، ص 210-211.

([2]) التنسي، المصدر السابق، ص227 و يحددها صاحب روضة النسرين سنة 802هـ/ 1401م، انظر، ص59.

([3]) التنسي، المصدر السابق، ص 228.

([4]) نفسه ، ص 228.

([5]) التنسي، المصدر السابق، ص 299، و أيضا ، ابن الأحمر، المصدر السابق، ص 60.

([6]) التنسي، المصدر السابق، ص 234.

فخلفه ابنه عبد الرحمن الذي لم يبق على العرش إلا حوالي شهرين، و ذلك أن عمه السعيد بن أبي حمو الثاني، كان قد فر من سجنه بفاس، فانقلب على عرش تلمسان وخلع سلطانها و أرغمه على مغادرة تلمسان في شهر محرم سنة 814هـ/ 1412م[1].

عارض رجال البلاط المريني السلطان الجديد، وأطلقوا أحد إخوته من السجن وهو أبو مالك عبد الواحد، و جهزوه بالمال و الرجال و أرسلوه للإطاحة بالسعيد، فتحقق لهم ذلك في رجب سنة 814هـ/ 1412م[2].

وهكذا صار بنو زيان لعبة في يد المرينيين، يتحكمون فيهم بالترهيب حينا وبالترغيب أحيانا، فأضعفوا كيان الدولة وكسروا شوكتها بهذا التدخل المستمر، وأصبح أفراد البيت الزياني يتنافسون على كرسي العرش عن طريق فاس، متسابقين على استرضاء سلاطينها و نيل حظوتهم[3].

ليدخل المغرب الأوسط في مواجهة أخرى مع الحفصيين بعد ما ساءت العلاقات بينهما و تأزمت الأوضاع لفترة تقارب ستين سنة ننتج عنها امتداد نفوذ مملكة إفريقية إلى المغرب الأوسط[4]، و لم تخف وطأتها عليه إلا في عهد أحمد العاقل بعد ما أصبحت تواجه هجمات النصارى على سواحلها [5] فشغلهم ذلك عن شؤون المغرب الأوسط الذي لم يسلم هو الآخر من هذه الهجمات التي عجلت بسقوطه و دخول الأتراك العثمانيين الذين خلعوا السلطان الحسن بن عبد الله بن محمد الثاني، آخر أمراء بني

([1]) التنسي، المصدر السابق، ص 234، وأيضا، عبد الحميد حاجيات وآخرون، الجزائر في التاريخ، ص 427.

([2]) التنسي،المصدر السابق، ص 235، وأيضا، عبد الحميد حاجيات وآخرون، المرجع السابق، ج3، ص 427، وأيضا، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 69.

([3]) عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 69.

([4]) التنسي ، المصدر السابق، ص 236، وأيضا، الزركشي، المصدر السابق، ص 109، وأيضا، برونشفيك، المرجع السابق، ج1، ص 257.

([5]) بعد سقوط الأندلس الإسلامية، سنة 895هـ/ 1492م، أصبحت سواحل المغرب ومدنه عرضة للتهديدات الإسبانية وهجوماتهم المتكررة، بسبب استقبالهم للأندلسيين الفارين إليهم، من سيوف الإسبان، ومن محاكم التفتيش، انظر في ذلك، المقري، نفح الطيب، ج4، ص 524، وأيضا، محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، القاهرة، 1949، ص ص 172- 205.

زيان سنة 962هـ/ 1554م. و بذلك انقرضت الدولة الزيانية التي دامت أكثر من ثلاثمائة سنة[1].

وكذلك بنوا مرين فقد كان ينتظرهم نفس المصير بعدما بلغت دولتهم غاية الضعف، فتولى الأمر بنو وطاس (875- 957هـ/ 1470- 1550م)، وهم فرع من بني مرين، بدأ ظهورهم حين قام أبو زكريا يحيى الوطاسي حاكم إقليم سلا بالولاية والوصاية على الطفل المريني عبد الحق أبي سعيد عثمان، والذي واجه الهجوم البرتغالي على طنجة، ودافع عن المدينة حتى ردهم منهزمين.

غير أن الظروف المضطربة مكّنت البرتغاليين في فترة لاحقة من احتلال طنجة دون مقاومة، وذلك سنة 876هـ/ 1471م، لأن الوطاسيين لم يتمكنوا من ردعهم في عهد أبي العباس أحمد ، فاستولوا على كل الساحل المغربي إلى مضيق جبل طارق، ثم عاد الصراع بين الوطاسيين وقبائل بني سعد في الجنوب، ليتمكن السعديون بزعامة الشريف محمد المهدي من الاستيلاء على فاس وإسقاط أسرة بني وطاس في عام 948هـ/ 1541م[2] .

ولم تلبث دولة بني وطاس أن سقطت هي الأخرى على أيدي الأشراف السعديين بسقوط مدينة فاس سنة 957هـ، ليتولى هؤلاء مهمة رد هجمات النصارى عن سواحل المغرب.

([1])عبد الحميد حاجيات وآخرون، الجزائر في التاريخ، ج3، ص 457.

([2]) للمزيد من التفاصيل عن الوطاسيين، انظر، حسين مؤنس، المرجع السابق، ص ص 77- 107، وأيضا، عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، ج2، ص 873.

المبحث الثاني: العلاقات الثقافية بين الزيانيين والمرينيين

تمهيد :

ترجع هذه العلاقــات الثقافية التي كانت قائمة بين الدولتين الزيانية والمرينية مجموعة من النشاطات العلمية و الفكرية التي أثرت الحياة الثقافية في الإقليمين فكانت مثالاً حيًّا عن هذا التواصل الفكري الذي أبرزته بوضوح تلك الرّحلات العلمية لعلماء الدولتين و تنقلهما بين العواصم العلمية للانتهال و التحصيل و التدريس كذلك و ما نتج عنها من حوار فكري و مناظرات علمية هامة بين أجلة العلماء للخروج بالعلوم من قوقعة المحلّية إلى الخوض في مختلف العلوم حتى التي كانت فيما مضى علوما محظورة بالإضافة إلى المنشآت العمرانية الدينية و العلمية التي أنشأها بنو مرين في تلمسان والتي كانت شاهدًا حيًّا على رقيهم العلمي و الفكري و صورة واضحة عن إسهامات بني مرين في التطوّر العلمي بالمغرب الإسلامي ككل، و الذي يمثله ذلك الجيل الهام من العلماء والفقهاء و الأدباء الذين أنجبتهم هذه المدارس العلمية.

ومن مظاهر الترابط الثقافي والفكري بن الدولتين:

1. الرحلات العلمية و دورها في توطيد العلاقات الثقافية :

كانت الرحلة في طلب العلم من المسائل المحمودة في المغرب الإسلامي عمومًا، إذ نتج عن ذلك تبادل للمعارف و الآراء في مختلف العلوم العقلية و النّقلية، حيث كان علماء المغرب يتصلون بعلماء المشرق و الأندلس و يتداولون معهم الكتب و المصنّفات و شتى ألوان المعارف، فكانت الحركة متواصلة بين فاس و تلمسان و تونس و غرناطة "و الشام و مصر و العراق و الحجاز، للاستزادة من العلوم و للإجازة و التعمق أكثر في دراسة الفقه و أصوله، و العلوم الأخرى[1]، فكان التأثير الثقافي و الفكري واضحًا من خلال مجموعة كبيرة من العلماء والفقهاء و الأدباء المغاربة و الأندلسيين، الذين تزوّدوا بمعارف المشرق لينقلوها إلى بلادهم، و من بين المؤلفات الهامة التي أدخلت إلى بلاد

([1]) رشيد الزواوي، التبادل العلمي بين المشرق و المغرب الإسلامي، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد1، 1993، ص ص 324-339.

المغرب عن طريق الرحلة" مختصر ابن الحاجب في الفروع "الذي جاء به إلى المغرب أبو علي المشذالي(ت 646هـ) و تحديدًا إلى تلمسان[1]، كما أدخل الفقيه محمد بن الفتوح التلمساني "مختصر خليل بن إسحاق المالكي" فنتج عن ذلك تكوين نخبة من العلماء الذين تميزوا بغزارة العلم و وفرة التحصيل، حتى أصبحوا حجة في العلوم نقلية كانت أم عقلية[2]،ليقلوها إلى أوطانهم و ليلقنوها لأبنائهم، مما ساعد على إزدهار الحركة الثقافية والفكرية بين دويلات المغرب الإسلامي عامة و بين المغربين الأوسط والأقصى خاصّة.

ومما زاد من تمتين هذه الروابط حرص سلاطين بني زيان، و بني مرين على التقرب من العلماء و الإهتمام بهم، و إجراء الأرزاق عليهم، و تقريبهم من مجالسهم حتى أن منهم من ألحق بالبلاط الزياني أو المريني للعمل فيه، و الأمثلة كثيرة لا تحصى كالأخوين إبن خلدون، والآبلى، و غيرهم، حيث تضاعف الإتصال عن طريق هذا النشاط الدبلوماسي[3] و تبادل الرسائل الديوانية و الإخوانية[4] و عن طريق الرحلة العلمية، التي أتاحت فرصة للتلاقح الفكري و دعم الروابط بين الإقليمين، على الرغم من الصراع السياسي الذي كان قائما بينهما[5]، إلا أنه لم يمنع من تنقل الدّارسين التلمسانيين لطلب العلم والإستزادة منه، و لقاء كبار الشيوخ المشهورين، فقد كانوا لا يكلّون عن السعي في سبيل الدرس و التحصيل و تبادل الآراء في مختلف العلوم كما ذكرنا سابقا ومدّ جسور العلم والثقافة عبر الأجيال، و لعل الفائدة المرجوة من هذا الاتصال تكمن في تداول المعارف والكتب، وتبادل الإجازات، اعترافا متبادلا فيما بين الشيوخ أنفسهم لما يجدونه

(1) المقري، نفع الطيب، ج5، ص 212.

(2) إبن خلدون، المقدمة، ص 322.

(3) عن النشاط الدبلوماسي لبني زيان، انظر، عطاء الله دهينة مساعدة الزيانيين لمسلمي الأندلس، مجلة تاريخ وحضارة المغرب،عدد13، جانفي1976، ص ص 7-17، و أيضا ملاحق كتابه :

Dhina(A) : Royaume Abdel ouadide, p p 220-237

(4) عن الرسائل الديوانية و الإخوانية، انظر، المقري، نفع الطيب، ج6، ص : 204- 205- 377- 388- 389 وأيضاء التعريف بابن خلدون، مصدر سابق، ص 102-103 و أيضا، الإحاطة ، ج3، ص ص 118-130.

(5) Dhina(A) : opcit, p 111 .

من معارف ولما يحصّلونه من علوم بعضهما سواء كان باللقاء المباشر أو عن طريق المكاتبة[1].

فتنافس لذلك جميعهم في المداومة على المجالس و الحلقات العلمية على اختلاف حظوظهم من التحصيل على أعلام المغربين و المساهمة من جهة أخرى في نشر ما عندهم من علم و معارف لطلاب هذين الإقليمين بمراكزه الثقافية الهامة[2] كفاس وتلمسان، ومكناس، و مراكش. و غيرها من المدن، فكان لهم باع طويل في هذا المجال، فتركوا آثارًا علمية، و بصمات فكرية و سمعة طيبة في المغرب والمشرق الإسلامي[3].

ومهما كانت دوافع هذه الرحلة و بواعثها، فإن المقصد العلمي كان أقواها وأشملها[4] حيث كان طلاب العلم من أهل تلمسان يشدون رحالهم، إلى مختلف الحواضر المغربية والأندلسية والمشرقية، متجشمين مشقة السفر في سبيل الدرس و التحصيل والتعمق في العلم و المعارف حتى صاروا شيوخا و أساتذة و علماء، ساهموا بقسط كبير في إثراء النهضة الفكرية و التعليمية في أقطار المشرق و المغرب و خاصة في المغربين الأوسط والأقصى، فجعلوا بذلك العهدين الزياني والمريني من العهود المزدهرة ثقافيا وفكريا في تاريخ المغرب الإسلامي، و أعطوا صورة واضحة عن رغبة بني زيان وبني مرين في طلب العلم و السفر من أجله و ركوب صعابه، خاصةً أهل تلمسان، كآل مرزوق، وآل التنسي، وآل الإمام، وآل المقرّي، و آل الشريف التلمساني، وآل النجار وبنو أبي الحسن، و بنو أبي العيش، و آل زاغو و السراغنة و غيرهم من البيوتات والأسر التي أنجبت العديد من العلماء و الفقهاء و الأدباء[5].

حتى أن بعض فقهاء تلمسان و علمائها، قرأوا في مختلف المدن التي زاروها قصد لقاء مشيختها و درسوا فيها تطوّعا، و رفضوا المرتب و الجرايات.

([1]) عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 327.

([2]) التعريف بابن خلدون، مصدر سابق، ص 37.

([3]) عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 327.

([4]) لقد دعت الأحاديث النبوية إلى طلب العلم و رغّبت في الرحلة من أجله راجع في ذلك ، صحيح البخاري ، باب الرحلة في طلب العلم م(1)، ص27.

([5]) عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 329.

والأمثلة كثيرة عن علماء تلمسان و فاس الذين تنقلوا بين الحاضرتين للتحصيل والاستزادة أو التدريس نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر هذه الفئة و إن كان عددها قليل إلاّ أنها كافية لإعطاء صورة واضحة عن دورهم في تمتين الروابط الثقافية والعلاقات الفكرية و المساهمة في النهضة العلمية بالمغرب عامة و منهم:

1- أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي (ت سنة 680هـ/1281م) :

ولد و نشأ بتنس، جاب أقطار المغرب و المشرق طلبا للعلم و الإستزادة، درس بمسقط رأسه بتنس و مليانة و شلف[1] كما قرأ بتلمسان و بجاية[2] و تونس، و القاهرة والشام فأخذ عن فطاحل علماء هذه الأقطار أمثال الأصبهاني و القرافي و السيف الحنفي ثم رجع إلى المغرب، و استقر بتلمسان للإقراء إلى أن توفي سنة 680هـ/1281م[3].

وكان الأمير المصري "طبرس" قد عرض عليه وظيفة التدريس في المدرسة الجديدة المعروفة بالطبرسية، فإعتذر أبو إسحاق عن هذه الوظيفة، فحاول معه الأمير المصري بتكليف تقي الدين بن دقيق العيد قاضي القضاة و من كان معه من الأعلام بالإتصال بأبي إسحاق، و إقناعه بالتدريس، و خصصّ له مرتبا سخيا و مغريا و لكن أبا إسحاق أصر على موقفه[4].

وكان أبو إسحاق كلما زار مدينة فاس سواءً في مهمة خاصة أو في إطار المهمات الدّبلوماسية، التي كان يقوم بها بين العاهلين الزياني و المريني، يجتمع به فقهاء المدينة ويطلبون منه دروسًا في الحديث، و قد كان يدرّس هذه العلوم بمكة و المدينة، و كان

([1]) درس أبو إسحاق بمسقط رأسه تنس و بمليانة و شلف ثم إنتقل إلى تلمسان حيث قرأ على الشيخ واضح و بلال الحبشي خادم الشيخ أبي مدين القطب، راجع ترجمته في البستان، ص 71.

([2]) و درس ببجاية على مجموعة من معاصريه كالشيخ أبي فارس عبد العزيز بن كحيلا و أبي علي ناصر الدين المشذالي، انظر، البستان، ص 67.

([3]) للمزيد من المعلومات عن أبي إسحاق راجع، نظم الدرّ، ص 9، و أيضا، بغية الرواد،ج1، ص 114 ، و أيضا نيل الإبتهاج، ج1، ص 8-9 و أيضا، البستان، ص 66-68 و أيضا العبدري، الرحلة المغربية، ص 11-12، و أيضا الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص 15،16، و أيضا، عادل نويهض، المرجع السابق، ص 15، و أيضا عبد الحميد حاجيات وآخرون، المرجع السابق، ج3، ص 439.

([4])عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ج2، ص 329.

يحضر مجلسه عالم فاس في ذلك الوقت أبو الحسن الصغير و صار يعد من أساتذته بهذه الديار.

ترك أبو إسحاق سمعة علمية طيبة في الأقطار التي زارها، و كانت له هيبة عند الفقهاء و الأمراء، فقد قال عنه السلطان المريني أبو يعقوب «ما صافحني أحد قط إلاّ أحسست بإرتعاش يده لهيبة السلطان، إلاّ الفقيه أبو إسحاق التنسي، فعندما يصافحني تدركني منه مهابة فكانت يدي ترتعش من هيبته».(1)

2- أبو عبد الله محمد النّجار(2) (ت 750هـ-1349م) :

و قد سبق ذكره مراكشي الأصل، ولد و نشأ بتلمسان أخذ العلم عن الكثير من مشيختها كالآبلي، ثم اِنتقل إلى المغرب الأقصى، فدرس على أبي عبد الله محمد بن هلال شارح "المجسطي" بسبتة، ثم أخذ بمراكش عن أبي العبّاس ابن البنّاء، فنبغ في العلوم العقلية و التعاليم، ثم عاد إلى تلمسان، بعلم غزير حتى صار إمام علوم النجامة وأحكامها(3)، ثم إلتحق ببلاط أبي الحسن المريني أيّام استيلائه على المغرب الأوسط، فصحبه إلى إفريقية حيث توفى سنة 749هـ أو 750هـ بالطاعون، و من تلامذته: أبو عبد الله الشريف، و المقرّي الكبير، و ابن الفحّام(4).

3- أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي (ت 757هـ/1356م) :

وقد سبق ذكره في قسم العلوم العقلية، درس بمدينة تلمسان على أبي موسى بن الإمام و على جدّه، و أبي الحسن التنسي(5)، و لما استولى يوسف بن يعقوب المريني على تلمسان، اِستخدمه، إلاّ أنه قبل الوظيفة على مضض، لكن سرعان ما تركها(6). وأثناء رحلته إلى الحجاز لأداء فريضة الحج مرّ بالدّيار المصرية و الشام العراق حيث إلتقى

(1) عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ج2، ص 330.

(2) التعريف بابن خلدون، ص 47، 48. و أيضا، بغية الروّاد، ج1، ص 55، و أيضا، نفح الطيب، ج7، ص ص 160-162.

(3) التعريف بابن خلدون، ص 47.

(4) التعريف بابن خلدون، ص 48، و أيضا، نيل الإبتهاج، ج1، ص 239، و أيضا، نفح الطيب، ج7، ص 162 وأيضا، بغية الروّاد، ج1، ص 119.

(5) نفح الطيب، ج5، ص 244 و أيضا، البستان، ص 215، و أيضا، نيل الإبتهاج، ج1، ص 66.

(6) التعريف بابن خلدون، ص 34، 35 ، و أيضا، بغية الروّاد، ج1، ص 17.

بعلمائها كابن دقيق العيد و ابن الرفعة و الصفي الهندي والتبريزي وغيرهم[1]، ثم عاد إلى تلمسان، حيث عرض عليه السلطان أبو حمّو موسى ضبط جباية أمواله[2]، غير أنّ الآبلي أعرض عن ذلك، ففرّ إلى فاس، حيث اختفى عند شيخ التعاليم خلوف المغيلي اليهودي، الذي هيّأ له كلّ الظروف لإستكمال دروسه و التبحّر في مختلف العلوم[3]، و منها توجّه إلى مراكش سنة 710هـ/1310م، و نزل عند العلامة الإمام أبو العباس أحمد بن البنّاء الذي أخذ عنه فنون التعاليم. فلازم الآبلي علماء فاس و مراكش وانظمّ إلى مجلسهم و انتصب للتدريس في عواصم بلاد المغرب و حواضره، فانهال عليه طلبة العلم من كل ناحية، فانتشر علمه و اشتهر ذكره، و كان قد أقام في رحلته إلى تونس عند أسرة ابن خلدون نحو ثلاث سنوات، درّس خلالها لعبد الرحمن بن خلدون و أجازه في علم الأصلين و المنطق، و سائر الفنون الحكمية و التعليمية[4].

4- أبو علي منصور بن علي بن عبد الله الزواوي، نزيل تلمسان (ت 770هـ 1368م) :

سبق ذكره في قسم العلوم العقلية حيث ولد ببجاية سنة 710هـ و نشأ بها، و أخذ عن والده و شيوخ مدينته منهم: منصور المشذالي و أبي العباس أحمد بن عمران ويوسف الزواوي، و قاضي الجماعة ببجاية أبي عبد الله محمد بن يوسف[5].

و بتلمسان درس على أبي محمد عبد المهيمن الحضرمي، و أبي إسحاق بن أبي يحيى، و على العباس بن يربوع و غيرهم.

اِرتحل إلى الأندلس، فأقرأ بها، و أخذ عن ابن الفخّار البيري الذي أجازه، ثم اِنتقل إلى المغرب الأقصى، فأخذ عن القاضي الشريف الحسني السبتي الذي قرأ عليه «تسهيل

---

(1) البستان، ص 214، 215.

(2) عبد الحميد حاجيات، أبوحمو موسى، ص 54، و أيضا، الأخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 236.

(3) البستان، ص 215، و أيضا، بغية الروّاد، ج1، ص 17 و أيضا، نفح الطيب، ج5، ص 244 ، و أيضا، التعريف بابن خلدون، ص 37، و أيضا، الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص 94.

(4) التعريف بابن خلدون، ص ص 34- 37.

(5) علي علواش ، معجم مشاهير المغاربة، المرجع السابق، ص 267.

الفوائد لإبن مالك»[1]. و بعد ما أستفتي في مسألة شرعية، خالف فيها فقهاء الفروع في زمانه في الأندلس، فاشتدّ هؤلاء في معارضته و إذايته فاضطر إلى الإرتحال إلى تلمسان سنة 765هـ، حيث اِستقرّ بها يقرئ و يدرّس[2].

5- أبو عبد الله محمّد الحسيني الشهير بالشريف التلمساني (ت 771هـ/1369م) :

سبق ذكره في قسم العلوم الدينية، أخذ العلم بتلمسان عن مشيختها كابني الإمام والآبلي[3]، ثم اِرتحل إلى تونس فاجتمع باِبن عبد السلام أبو عبد الله، و ابن عرفة وغيرهما من علمائها، ثمّ عادَ إلى تلمسان في عهد السلطان أبي عنان فارس، فقرّبه منه واِستصحبه إلى فاس حيث تتلمذ بها على يد العالم السطي، فدرس عليه أحكام عبد الحق الصغرى و التهذيب و الموطأ والصحيحين، ومن فاس راح يجوب سبتة و سجلماسة طلبا في العلم والتحصيل إلى مصر والحجاز «فضربت إليه رباط الإبل شرقا و غربا»[4] حيث كانت تأتيه الأسئلة من غرناطة فيجيب عنها[5]، و كان الفقيه الكبير موسى العبدوسي شيخ فقهاء فاس في عصره، يبحث عما يصدر من أبي عبد الله الشريف بتلمسان، من تقييد أو فتوى فيقيده و هو أكبر سناًّ[6].

و بتلمسان اِستقبله أبو حمّو موسى الثاني، اِستقبالاً حسناً و أنكحه إبنته و اِبتنى له المدرسة اليعقوبية، حيث اِستقر أبو عبد الله يلقي الدّروس و يحضر مجلسه طلبة كثيرون إلى أن وافاه الأجل سنة 771هـ/1369م[7] وهو الذي ملأ بلاد المغرب معارفا وتلاميذ[8].

([1]) نيل الإبتهاج، ج1، ص 310 و أيضا، بغية الروّاد، ج1، ص 132، و أيضا، البستان، ص 293 و أيضا الإحاطة ج3، ص 328.

([2]) الإحاطة، ج3، ص 325.

([3]) كما أخذ أبو عبد الله عن أبي زيد بن يعقوب، و الولي المجاصي و عمران المشذالي و اِبن النجّار و محمد بن محمد البيروني.

([4]) البستان، ص 167.

([5]) نفسه، ص 173.

([6]) نفسه، ص 171.

([7]) البستان، ص 166 و أيضا، التعريف بابن خلدون، ص ص 64- 66 ، و أيضا، نظم الدر، ص 179.

([8]) التعريف بابن خلدون ، ص 63.

6- **أبو إسحاق التلمساني إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري :**

ولد بتلمسان سنة 609هـ، انتقل مع أبيه إلى الأندلس، فاستوطن غرناطة ثم مالقة التي قرأ فيها على أبي بكر بن دحمان و أبي صالح محمد بن محمد الزاهد، و أبي عبد الله بن حفيد، و أبي الحسن بن سهل بن مالك، و أبي بكر بن محرز، و أبي الحسن بن طاهر الدباج و أبي الحسن الشلوبيني، ثم انتقل إلى سبتة و استقر بها و لقي بها الحسن بن عصفور الهواري و أبا المطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة، و أبا يعقوب يوسف بن موسى الغماري المحاسني، فأصبح حينئذ فقيها عارفا مبرزًا في الفرائض و العدد، متضلّعا في الأدب له أرجوزة محكمة بعلمها، ضابطة، عجيبة الوضع[1] و له منظومات في السير و المدائح النبوية و قصائد في المولد النبوي، و أرجوزة في علم الفرائض تعرف بالتلمسانية لم يصنّف في فنّها أحسن منها[2].

7- **أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق الخطيب (ت 781هـ/1379م) :**

و قد ورد ذكره في قسم العلوم الدينية ولد بتلمسان سنة 711هـ[3]، و ارتحل مع والده إلى المشرق سنة 718هـ، فأقام بالقاهرة فأخذ على برهان الدين الصفاقصي ثمّ عاد إلى بلاده سنة 733هـ، فوجد أبا الحسن المريني محاصرًا لتلمسان، فالتحق ببلاطه ونال حظوة عنده، فصحبه في سائر تنقلاته، و في سنة 752هـ، أجاز إلى الأندلس، فخطب بجامع الحمراء بغرناطة و تناوب الخطابة مع قاضي الجماعة أبي القاسم الشريف ؛ كما تناوب الخطابة مع آخرين على منبر المسجد الجامع بغرناطة مدّة ثلاث سنوات، و درس بمدارسها فخطب على منبر مسجد مالقة و فاس و مرّاكش و تونس و القاهرة[4].

وتشير المصادر إلى أنّه خطب على أكثر من ثمانية و أربعين منبرًا في المشرق و المغرب والأندلس[5] و بعد عودته إلى تلمسان إتصل بالسلطان أبي عنان المريني ومكث في بلاطه، و في أيام أبي سالم المريني، عظم نفوذ ابن مرزوق الخطيب، وأصبح زمام

---

(1) بغية الروّاد، ج1، ص 109.

(2) الإحاطة، ج1، ص 326 و أيضا، الأخضر عبدلي، المرجع سابق، ص 243.

(3) المسند، ص 19.

(4) نفح الطيب، ج5، ص 415 ، و أيضا، التعريف بابن خلدون، ص 49- 50.

(5) نفح الطيب، ج5، ص 415.

الأمر في الدولة المرينية بيده، و لمّا قتل أبو سالم، أمر وزيره الثائر عمر بن عبد الله بسجن اِبن مرزوق آخر سنة 762هـ، و بعد إطلاق سراحه توجه اِبن مرزوق نحو تونس، و اِستقر بها خطيبًا بجامع الموحّدين و مقرئًا ببعض مدارسها[1]، من أهمّ مؤلّفاته كتاب المسند الصحيح الحسن في أخبار المولى أبي الحسن. توفي بالقاهرة سنة 781هـ/1379م[2].

8- عبد الله بن محمد بن أحمد الشريف التلمساني (ت 792هـ - 1389م) :

من أكابر علماء تلمسان و محققيهم، ولد سنة 748هـ، نشأ حريصًا على طلب العلم والإستزادة منه، قرأ على مشيخة تلمسان، ثم اِنتقل إلى فاس حيث أخذ عن الأستاذ النحوي أبي عبد الله بن زيد النجدي، و أبي عبد الله اِبن حياتي و أبي عمران موسى العبدوسي، وأبي العباس القباب، و الونشريسي، و أبي العباس اِبن الشماع و غيرهم من الشيوخ والعلماء[3].

له مشاركة في العلوم العقلية و النقلية، دخل غرناطة فأخذ عن شيوخها و توفي غريقا و هو عائد إلى تلمسان[4].

9- محمد بن عمر بن الفتوح التلمساني (ت 818هـ - 1415م) :

ولد و نشأ بتلمسان، و تعلم بها ثم اِنتقل إلى فاس سنة 805هـ لدراسة الفقه والتعمّق فيه، و هو أوّل من أشاع فيها "مختصر خليل"، و بها أخذ عن أبي موسى عيسى بن علال المصمودي الذي أجازه و درّس بمدرسة أبي عنان فارس، و عرضت عليه رئاسة الفقه بمدرسة العطارين، فاِعتذر و رحل من فاس إلى مكناسة الزيتون فتوفي بها عام 818هـ[5].

---

(1) عبد الحميد حاجيات، الجزائر في التاريخ، ج3، ص 442.

(2) المسند، ص 19.

(3) البستان، ص ص 117 - 120.

(4) نفسه، ص 120.

(5) نيل الإبتهاج، ج2، ص 303- 304، و أيضا، البستان، ص 264.

10- محمدبن الحسن اليحصبي (ت 734هـ - 1333م) :

هو أبو عبد الله محمد بن الحسن اليحصبي الشهير بابن الباروني، ولد و نشأ بتلمسان، ثم انتقل إلى فاس فأخذ عن أبي الحسن الصغير و أبي زيد الجزولي و يوسف الجزولي و أبي زيد الرجراجي، ثم عاد إلى تلمسان و مكث بها إلى أن توفي سنة 734هـ/1333م، فكان من أعلام الفقه و صدوره[1].

11- أبو يحيى عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الشريف التلمساني(ت 826- 1422م) :

درس أبو يحيى عبد الرحمن بتلمسان ثم توجّه إلى فاس للإستزادة في التحصيل والإحتكاك بعلماء فاس، فقرأ على والده، و درس أصلي ابن الحاجب عن سعيد العقباني وكذلك التفسير و النحو و المنطق، و أخذ العربية عن ابن حياتي. فكان من طلاب العلم الذين ظلّوا يشدّون الرحال متنقلين بين الحواضر الإسلامية المغربية و المشرقية والأندلسية، من أجل الظفر بحضور المجالس العلمية التي كان يديرها كبار المشايخ والإنتفاع من علمهم، متحملين مشقة السفر و مصاعب الطرق[2]، و قد نتج عن هذا الإختلاط و الإمتزاج تواصل فكري و تأثير ثقافي، و صارت المشيخة متبادلة، فقد ذكر المقري أنّ تعداد أساتذة ابن الخطيب من بلدان المغرب بلغ أكثر من ثمانية و أربعين أستاذاً، كان قد تتلمذ عليهم، فضلا عن أساتذته من الأندلس، و كذلك ذكر ابن مرزوق الخطيب بأنّ عدد أساتذته بلغ مائتين و خمسين أستاذاً من مختلف حواضر الأندلس والمغرب و المشرق[3].

12- أبو عبد الله محمد بن محمد بن مرزوق الحفيد (ت 842هـ - 1438م) :

سبق ذكره آنفا، أخذ العلم في البداية بتلمسان عن والده و عمّه و الشيخ سعيد العقباني و أبي إسحاق المصمودي، ثم ارتحل إلى تونس فأخذ عن ابن عرفة، و حجّ رفقته سنة 790هـ و أخذ عن الشيخ القصار، ثمّ سافر إلى فاس، فأخذ عن مشايخها أمثال: ابن حياتي

(1) نيل الإبتهاج ،ج2، ص 228، و أيضا، محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 423.

(2) عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 334.

(3) نفح الطيب، ج5، ص 415.

و أبي زيد المكودي، و الحافظ محمد بن سعود الفيلالي[1] ثمّ انتقل إلى المشرق، حيث أجازه بعض الشيوخ منهم "أبو القاسم محمد الخشاب"، و محمد علي الحفار الأنصاري و محمد القيجاطي، و لقي الإمام ابن حجر، اشتهر بفضله و بعلمه في الأمصار التي زارها حتى أحبته قلوب العامة و الخاصة[2].

13- أبو عبد الله محمد بن محمد المقري :

ولد و نشأ بتلمسان، و بها درس على علمائها أمثال ابني الإمام و أبي موسى عمران المشذالي، و أبي محمد المجاصي، و ابن هدية، و أبي عبد الله التميمي، رحل إلى بجاية و تونس و أخذ عن كثير من علمائها، ثم توجّه نحو المشرق، فلقي بها أبا حيان النحوي و شمس الدين الأصبهاني و ابن عدلان، ثم رحل إلى الشام فلقي ابن قيم الجوزية، و صدر الدين الغماري المالكي و غيرهما.

و أثناء الاحتلال المريني للمغرب الأوسط سنة 737هـ، اصطحب السلطان أبو الحسن جمع كبير من العلماء معه، فانتقل المقري إلى فاس، فأخذ عن علمائها، كأبي زيد عبد الرحمن بن عفان الجازولي و أبي العباس المكناسي، ثمّ انتقل شمالاً إلى سبتة و بعد رحلته إلى المشرق، عاد إلى تلمسان و منها توجّه إلى الأندلس، ثمّ رجع إلى المغرب الأوسط، فصحب السلطان أبو عنان إلى فاس فولاّه القضاء بها و التدريس إلى أن توفي بها سنة 759هـ[3] فحمل إلى مسقط رأسه تلمسان و دفن بها.

14- أحمد بن حسن بن علي الخطيب بن قنفذ القسنطيني :

هو والد ابن قنفذ صاحب الفارسية، ولد سنة 740هـ، عاش متنقلا ما بين بجاية وإفريقية و المغرب الأقصى، و زار الحجاز[4] مكث بالمغرب الأقصى ثمانية عشر عامًا

---

(1) نيل الإبتهاج، ج2، ص 172، و أيضا، عادل نويهض، المرجع السابق، ص 290- 291، و أيضا، معجم مشاهير المغاربة، المرجع سابق، ص 486.

(2) البستان، ص ص 206- 209.

(3) التعريف بابن خلدون، ص 853- 854 و أيضا، البستان، ص ص 154- 160، و أيضا، نيل الإبتهاج، ج1، ص ص 250- 255، و أيضا، بغية الروّاد، ج1، ص 121، الإحاطة، ج2، ص ص 136- 145، و أيضا، حاجيات، أبو حمو موسى، ص ص 46- 48، و أيضا، عادل نويهض، المرجع السابق، ص 180.

(4) نيل الإبتهاج، ج 1، ص 110، و أيضا، عبد الحميد حاجيات وآخرون، الجزائر في التاريخ، ج3، ص 441.

فحصّل علومًا كثيرة و قد اِلتقى بالمغرب بالشريف أبي القاسم السبتي و أخذ عنه وقال في وفياته، بعد الثناء على علمه، «..و بالجملة فهو ممّن يحصل الفخر بلقائه»(1).

15- أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي التلمساني:

ولد سنة 834هـ، بتلمسان و نشأ بها، أخذ عن كبار شيوخها كالإمام أبي الفضل قاسم العقباني، و ولده أبي سالم، و حفيده محمد بن أحمد بن قاسم العقباني، و الشيخ أبي عبد الله الجلاب، و اِبن مرزوق الكفيف، و غيرهم(2).

و في الفاتح محرّم من سنة 874هـ، حصلت له كائنة من جهة السلطان، فانتهبت داره ففرّ إلى مدينة فاس، فاستوطنها فكان عالمها و مدرّسها و مفتيها، و أخذ عنه خلق كثير من العلماء كالفقيه أبي عماد بن مليح اللّمطي، و الشيخ أبي زكرياء السوسي، والفقيه المحدّث محمد بن عبد الجبار الورتيدي و الفقيه عبد السميع المصمودي، و الفقيه محمد بن قاضي البلد الجديد الفرديس التغلبي(3).

16- أبو عبد الله محمد بن عمر بن عثمان بن منيع بن عياشة بن سيّد الناس بن أمين الناس الغياري المغراوي الشهير "بسيدي الهوّاري" :

هو فقيه، متصوّف، زاهد، متقشف ذائع الصيت في أقطار المغرب(4)، ولد سنة 751هـ/1351م، بمغراوة و نشأ بها و أخذ علومه الأولى، ثمّ اِرتحل نحو بجاية فأخذ عن عبد الرحمن الوغليسي، و أحمد إدريس، ثمّ اِنتقل نحو مدينة فاس، و فيها أخذ عن الشيخ موسى العبدوسي المتوفى سنة 776هـ(5)، و الشيخ القباب الذي أخذ عنه الكثير من العلوم الدينية و الدنيوية، و من فاس اِرتحل إلى المشرق للحجّ و زيارة حواضره العلمية للأخذ

---

(1) نيل الإبتهاج، ج 1، ص 110.

(2) نيل الإبتهاج، ج 1، ص 110، و أيضا، البستان، ص 53، وأيضا، الاستقصاء، ج4، ص 165، وأيضا، عادل نويهض، المرجع سابق، ص 334.

(3) نيل الإبتهاج، ج2، ص 145، و أيضا، البستان، ص 54.

(4) نيل الإبتهاج، ج2، ص 192، و أيضا، البستان، ص 288، و أيضا، عادل نويهض، المرجع السابق، ص 337 وأيضا، حاجيات و آخرون، المرجع السابق، ص 450.

(5) نيل الإبتهاج، ج2، ص 300.

عن علمائه[1]، كما أخذ عنه الشيخ إبراهيم التازي المتوفى سنة 866هـ الذي لازمه طويلاً، و الشيخ أبركان بن مخلوف المزيلي الرّاشدي، و كان قد أخذ عنه الكثير من الطلبة خاصة عندما زار مدينة فاس، حيث كانوا يقرؤون عليه القرآن والعربية والفقه، ويتحدّثون أنّهم ما رأوا أبرك من قراءته. توفي سنة 843هـ/1439م[2].

17- علي بن محمد بن أحمد بن موسى بن مسعود الخزاعي أبو الحسن التلمساني :

من أسرة أندلسية، ولد بتلمسان عام 710هـ، و بها نشأ و تعلّم، و قد برز في التاريخ و الفقه و الحساب فتنافس عليه ملوك المغربين الأوسط و الأقصى، فإتخذه أوّلاً السلطان إبراهيم بن علي المريني صاحب علامته، ثم اِنتقل إلى بلاط بني مرين كاتبًا للأشغال قريبا لقلم الدولة، و نال حظوة ما وصل إليها غيره من العلماء لدى الملوك. توفي بفاس سنة 789هـ[3]؛ كان قد ألف كتاب " تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف و الصنائع و العمالات الشرعية "، ألّفه للسلطان المتوكّل على الله أبي فارس المريني و اِنتهى منه سنة 786هـ.

18- إبراهيم التازي : نزيل وهران.

عالم أديب صوفي اِسمه الكامل اِبراهيم محمد بن محمد بن علي، و نسبه في بني لنت، من مضافات قبيلة التسول الزيانية. وهم يتفرّعون إلى ثلاثة بطون : الحرشة والخندق و مقورة : و لا يزال اِسم بني لنت معروفًا قرب مدينة تازا إلى الشمال الغربي منها.

اِنتقلت أسرته قبل ولادته إلى مدينة تازا، حيث كان مولده بها في تاريخ ربّما يرجع إلى أوائل القرن التاسع الهجري و بنفس المدينة، كانت نشأته و دراسته للقرآن الكريم على أستاذه يحيى الوازعي.وبعد هذه المرحلة الأوّلية فإنّ المصادر التاريخية لا تذكر شيئاً عن أساتذته بالمغرب، و من المؤكّد أنه أخذ العلوم الدينية و اللسانية ببلدته أو جهة أخرى

([1]) نيل الإبتهاج، ج1، ص 112، و أيضا، البستان، ص 228- 229، و أيضا، أبو عمران الشيخ، معجم مشاهير المغاربة، المرجع السابق، ص 547.

([2]) نيل الإبتهاج، ج1، ص 192، وأيضا، البستان، ص228، 229، وأيضا، عادل نويهض، المرجع السابق، ص 337.

([3]) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص ص 113- 115.

من المغرب، قبل أن يتم دراسته خلال رحلته للحج، حيث تحصّل على ثلاث إجازات من أساتذته[1].

و كان التازي قد تتلمذ على يد شيوخ كبار خارج المغرب و هم أبو الطيب الفاسي محمد بن أحمد بن علي المكي الحسيني الإدريسي (ت 828هـ/1429م)، و أبو محمد الزواوي صالح بن محمد بن موسى الحسني الرياحي المدوكالي (ت 839هـ/1435م) الذي لبس منه الخرق القادرية و المدينية و الشاذلية و أبو الفتح المراغي محمد بن أبي بكر الحسين العثماني المريني (ت 859هـ/1455م)، و العبدوسي عبد العزيز بن موسى بن معطي الفاسي نزيل تونس (ت 837هـ/1434م) و اِبن مرزوق الحفيد[2] (ت 842هـ/1439م)، و في وهران اِتصل بشيخه الذي طبع اِتجاهه الصوفي، وهو محمد بن عمر الهواري، حيث لازمه نحو عشرة أعوام إلى وفاته سنة 843هـ/1439م.

وبعدها اِستقر التازي بوهران[3] يترّسم النهج الصوفي لأستاذه، ينشر فضائله وينسخ كلامه بخطه، و يجمع متفرّقه في دفاتر، و صار يفتتح مجالس إقرائه بتلاوة كتب شيخه، فيمليها بتعبير مؤلفها، و يفسّر مجملها و يفتح مقفلها. وبذلك فقد إهتم التازي بدعوة الجماهير إلى معرفة عقائد التوحيد، فأقام سوق الأذكار بوهران، و أبان بها معالم الإسلام و الإيمان، و رتب المواسم الشرعية، و من بينها المولد النبوي الشريف، و نبّه على الآداب الدّينية و الدنيوية، فنقل أهل مدينته عمّا كانوا فيه من التبدّي إلى الحضارة، و جلب إليها الماء من مسافة بعيدة بعدما كان بها قليلاً، فعظمت بذلك كله عمارتها، فارتحل إليها كثير من الناس، و قصدها الواردون من جميع الآفاق؛ و لعلّ الزاوية التازية بوهران خير دليل على إنجازات هذا العالم المتصوّف[4].

روى عن هذا العالم نخبة من الأعلام كالسنوسي محمد بن يوسف بن عمر التلمساني، والفيجيجي بن أحمد بن موسى البرزوزي، و ابن زكري أحمد بن محمد

([1]) محمد المنوني، الشيخ اِبراهيم التازي نموذج بارز للتبادل الثقافي بين المغربيين القرن 15/9 مجلة الثقافة، المرجع السابق، ص ص 145- 148.

([2]) نيل الإبتهاج، ج1، ص ص 293- 299.

([3]) محمد المنوني، المرجع السابق، ص 149.

([4]) نفسه ، ص 149- 150.

المغراوي، و زروق أحمد بن أحمد بن محمد البرنسي[1]، و التنسي محمد بن عبد الله بن عبد الجليل المغراوي الأموي التلمساني والرّاشدي نزيل تونس، و أحمد حجي الوهراني[2] والتالوتي[3] على بن محمد الأنصاري التلمساني، و اِبن تاغزوت و اِبن يجبش[4] محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن التازي، و القلصادي[5] الذي سجّل إتصاله به.

2. حركة الجدل و المناظرات العلمية :

كانت المناظرات العلمية بين العلماء والفقهاء شكل من أشكال التطوّر والتفوّق العلمي، و مسرح لإثبات الذات و إبراز القدرات العلمية، و إظهار الكفاءات و تأكيد اِستحقاق الإجازات التي منحت لهم من قبل المشايخة، فكانت مظهرًا من مظاهر الحركة الفكرية النشيطة التي سادت المغربين الأوسط و الأقصى خلال القرن السابع و الثامن والتاسع الهجري / 13، 14، 15م، إذ كانت تتمّ داخل الإقليمين و خارجه، ممّا جعلها عاملاً أساسيا في توطيد العلاقات الثقافية بين المغربين، و شكلاً من أشكال التواصل الفكري و الثقافي، حيث جرت بعض المناظرات و المحاورات العلمية المكتوبة والشفوية بين فقهاء تلمسان و غيرهم من رجال الفقه المغاربة و الأندلسيين و المشارقة، تناولت الفقه المالكي بالدرجة الأولى فضلاً عن التفسير و التصوّف و علم الكلام و اللغة وغيرها من المسائل الفقهية المطروحة للنقاش و الجدال، و نخصّ بالذكر تلك المناظرات التي تمت بين فقهاء تلمسان و فاس، و من أبرزها تلك التي وقعت بين أبي العباس أحمد بن قاسم القباب (ت 778هـ/1376م) و أبي عثمان سعيد بن محمد العقباني التلمساني (ت 811هـ/1408م) عندما كان هذا الأخير قاضيا بمدينة سلاَ، و كانت تدور حول مسألة درهم الإعانة التي أثارها التجّار بسبب الضرائب المخزنية الثقيلة[6]، جمع أبو العباس أحمد الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني (ت 810هـ/1408م)، هذه المحاورة في كتاب

---

(1) نيل الإبتهاج، ج1، ص 85.

(2) البستان، ص 104.

(3) نفسه، ص 140- 141.

(4) نفسه، ص 53.

(5) القلصادي، المصدر السابق، ص 111.

(6) موسى لقبال، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1971، ص 122.

سمّاه " لبّ اللّباب في مناظرة العقباني و القباب" ذكر الونشريسي بأنّها كانت متداولة بين رجال الفقه في تلمسان[1].

كما جرت مناظرة قصيرة حول عموم الرسالة النبوية، وقعت بمراكش بين الإمام الشيخ أبي عثمان سعيد العقباني، و أحد علماء اليهود كان يشتغل بمسائل علمية عديدة[2].

و قد عقدت مناظرة أخرى بين أبي عثمان سعيد العقباني و أبي العباس القباب، تتضمّن مسألة من الإيلاء تتعلق بقضايا الطلاق[3].

كما شهدت تلمسان الزيانية صراعًا فكريا دام أكثر من قرنين من الزمن بين فقهاء السنة و بين رجال التصوّف، و لعلّ ظهور هذه الظاهرة كانت في عهد الأديب الشاعر الصوفي المتفلسف محمد ابن خميس السالف الذكر، و الذي تصدّى له و لأفكاره بعض فقهاء تلمسان و على رأسهم القاضي ابن هدية القرشي (ت 737هـ/1337م)، والذي كان له حظوة سياسية و نفوذ سياسي و أدبي في الدولة الزيانية، إذ اتّهم ابن خميس بالكفر والزندقة[4]، لأنّه ألّف الرسالة المسمّاة "بالعلق النفيس في شرح رسالة ابن خميس" وأرسلها إلى المشرف على مدينة فاس والقائم عليها آنذاك، أبي الفضل محيي بن عنيق العبدري[5]، يدافع فيها عن نفسه و يُبرئها بعدما وضعه الفقيه الشريف أبو البركات[6] في خانة الكفر والضلالة إبان مثوله أمام المحكمة الخاصّة، بمدينة فاس و التي حضرها قاضي تلمسان ابن هدية و شارك فيها، و هو الذي كان يضمر الحقد الشديد لابن خميس حيث خاطبه قائلاً: «و لو لا أن الأليق إيثار الأعراض من استتار مقاصدك السيئة، لأومأت من ذلك إلى ما يوجعك مني الثقاف و يرميك بثالثة الأقافي، فإنّك من تناولك هذا السجال،

(1) الونشريسي، المعيار ، ج5، ص 326.

(2) نيل الإبتهاج، ج1، ص 306.

(3) الونشريسي، المصدر السابق، ج5، ص ص 326- 331.

(4) المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 131.

(5) نفسه، ص 133.

(6) الشريف أبو البركات هو محمد بن علي الحسيني، من فقهاء المالكية البارزين في فاس، تولى الإشراف على مناظرة ابن خميس و محاكمته بفاس.

وتجوالك في ذلك المجال، بين جهل فاضح أو كفر واضح فأختر وما فيهما...»[1] ثمّ راح يصف أجواء المحاكمة قائلاً : «فإتفق أن اجتمع في بعض محافلها الحافلة، ومجالسها العامرة، بأهل الفضل، الآهلة بطائفة من حذّاق الأشعرية و جماعة من فقهاء المالكية، كالشريف أبو البركات، و غيرهم، ففتحوا باب المذاكرة، وسلكوا سبيل المناظرة، و تفنّنوا في الكلام، إلى أن أخذوا في علم الكلام استدراجًا لابن خميس واستخراجًا لخبّ مذهبه الفلسفي الخسيس»[2].

فوقف ابن خميس موقف الشجعان، حيث دافع عن آرائه، و أفكاره ببلاغة، وبحجج قاطعة، أفحم خصومه حتى لم يبق في المناظرة إلاّ ابن هدية و أبو البركات ألدّ خصومه[3]؛ وكان ابن خميس يصمت في بعض الأحيان أثناء المحاكمة، لا لأنّه مدحوض الحجة كما وصفه ابن هدية، و إنّما تفطّن للكمين الذي نصب له من قبل خصومه[4].

و انتهت المحاكمة بإصدار حكم الإعدام ضد ابن خميس إلاّ أنّه تمكن من النجاة بالفرار إلى تلمسان مسقط رأسه التي عاش فيها، في عزله و انزوائه يترقب مرور الأخطار التي كانت تحيط به، من المراقبة الشديدة التي كانت مفروضة عليه، وقد وصف حالة الظلم و الاضطهاد التي عاشها في العديد من أشعاره[5]، حيث عاش مجهولا بين أهله.

3. الآثار المرينية في تلمسان و دورها في توطيد العلاقات الثقافية :

خلّد بنو مرين وجودهم في تلمسان، فتركوا لنا العديد من المنشآت الدّينية، و المدنية و العسكرية، التي كانت شواهد على إهتمام أمراء بني مرين بالعمارة و الإنشاء، دليلاً واضحًا على عنايتهم البالغة بالعلم و العلماء، وهذه المنشآت عبارة عن مساجد و مدارس

(1) المهدي البوعبدلي، أبو عبد الله محمد بن خميس التلمساني، مجلة الأصالة، العدد 49، 50، سبتمبر-أكتوبر 1977، ص 8 و ما بعدها.

(2) نفسه، ص 131.

(3) نفسه، نفس الصفحة.

(4) نفسه، ص 131- 132.

(5) للإطلاع على هذه الأشعار، انظر، الإحاطة، ج2، ص ص 550- 556.

و قصور و غيرها، و كلّها تحمل معاني الإبداع و روح الإبتكار الموجودة لدى الفنّان المريني، لما نلمسه في هذه العمائر من إحساس مرهف و رقة في العمل، كما يعطينا فكرة واضحة عن تلك المنافسة الفكرية و الثقافية التي لازمت الجارتين، و التي كانت الوجه الآخر لذلك الصراع السياسي الذي كان دائرًا بينهما والذي لم يكن أمرًا سلبيًا كله بل يحمل في طياته الكثير من المنافع، و لعلّها تلك الآثار الخالدة التي حظيت بها مدينة تلمسان، و التي تلتها حركة علمية و ثقافية مشهودة لذلك العهد، كانت قد مهدت لها الدولة الزيانية من قبل؛ وساهمت بشكل كبير في تقويه الروابط و العلاقات الثقافية بين الزيانيين والمرينين حيث أنّ هذه المؤسسات الدينية و التعليمية، اِحتوت كبار العلماء والفقهاء والأدباء، الذين تتلمذوا فيها و تخرّجوا منها، حاملين أكبر الإجازات العلمية، كما كانت تستقطب طلبة من مختلف البقاع خاصة من المغرب الأقصى و الذين ساهموا في نشر العلوم بألوانها، نتيجة لذلك الإحتكاك و التقارب بين علماء بني زيان و بني مرين، وتبادل العلوم و المصنّفات والمناظرات التي كانت تقام في هذه المؤسسات التعليمية. ومن أهمها المساجد والمدارس:

أ-المساجد :

لم يترك المرينيون إلاّ ثلاثة مساجد بتلمسان، و هي توجد في أطراف المدينة، لا أحد ينفي روعة عمارتها و رونقها و جمال زخرفها و عظمة دورها التاريخي في نشر الدّين و العلم و اِستقطاب العلماء و هذه المساجد هي:

1/ مسجد المنصورة :

يذكر اِبن خلدون أنّ منشئ هذا المسجد هو السلطان أبو يعقوب بن عبد الحق وذلك سنة 702هـ/1302م، أثناء الحصار الذي ضربه على تلمسان[1]، و يعدّ من أشهر المساجد في الجزائر بفضل مئذنته الشهيرة التي يبلغ اِرتفاعها 38 م، ممّا يجعلها أعلى مئذنة شيّدت في الجزائر[2].

([1]) عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 458- 459.

([2]) صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 115- 116.

وهناك لوحة أعلى مدخل هذه المئذنة منقوشة نشرها بروسلار جاء فيها : «الحمد لله ربّ العالمين و العاقبة للمتقين أمر ببناء هذا الجامع المبارك أمير المسلمين المجاهد في سبيل ربّ العالمين المرحوم أبو يعقوب بن عبد الحق رحمه الله» و من رواية ابن خلدون نستشف بأنّ تاريخ المسجد و مئذنته كان في وقت واحد؛ و قد بني هذا المسجد من الطوب المدكوك على مساحة تقدر بـــ 5600 $م^2$ و له 13 بابًا(1).

وقد كان لهذه المئذنة المبنية بحجر مغرة نواة مركزية، مكوّنة من غرف موضوعة بعضها فوق بعض، تدور حول منحدر مثلما نراه في مآذن مسجدي الكتبية بمراكش، وحسّان بالرباط، و في مسجد إشبيلية الموحدّي، و قد اندثرت هذه الغرف و لكنّنا ما زلنا نشاهد آثار المنحدر(2).

2/ مسجد سيدي أبي مدين :

شيده السلطان أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني سنة 739هـــ/1339م بقرية العبّاد(3)، و أعطاه اسم ضريح الولي الصالح أبي مدين شعيب بن الحسن أحد متصوّفي المغرب الإسلامي و الأندلس و المتوفى سنة 594هـــ(4).

و قد أشرف على بنائه أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق عمّ ابن مرزوق الجدّ صاحب المسند.

وهذا المسجد آية في الجمال والروعة بفضل سقفه المنضبط الأشكال، وبابه -المصنوع من البرونز ذي المصراعين-، و محرابه و قبّته و زخرفة جدرانه، و أقواسه وصحنه و قاعة صلاته، و لا يزال هذا المسجد بهجة للناظرين و آية من الفنّ المغربي الأندلسي بما في ذلك الصحن والمحراب والمئذنة(5).

---

(1) صالح بن قربة ، الرجع السبق ،ص 115،116.

(2) رشيد بورويبة و آخرون، الجزائر في التاريخ، ج3، ص 499.

(3) العبّاد : مفردها عابد، أطلقت على هذا المكان منذ القديم لوجود مقبرة دفن بها الكثير من الفقهاء و العلماء، و يمثل هذا المكان حاليًا الضاحية الشرقية لمدينة تلمسان.

(4) هو شعيب بن حسين الأنصاري الأندلسي، من حصن قطنيانة من أحواز إشبيلية، توفي سنة 594هـــ ودفن بتلمسان، انظر : التنسي ، المصدر السابق، ص 145- 146 ، أيضا ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 108، 114 ، و أيضا يحيى بن خلدون، المصدر السابق ، ج1، ص 126.

(5) المسند، ص 270- 271.

و قد كتب على تيجان الأعمدة بخط أندلسي :

«هذا ما أمر بعمله مولانا أمير المسلمين أبو الحسن ابن مولانَا أبو المسلمين أبي يعقوب» التاج الأيمن.

أمّا في التاج الأيسر فقد كتب : «ابتغاء وجه الله العظيم و رجاء ثوابه الجسيم كتب الله له به أنفع الحسنات و أرفع الدّرجات»[1].

وقد أعطى ابن مرزوق الخطيب وصفًا دقيقا لهذا المسجد الذي قال عنه : أنّه اشتمل على الوضع الغريب و هو أنّ سقفه كلّها أشكال منضبطة بخواتم و صناعات نجارة على جهته تخالف الجهة الأخرى في الوضع، قد رقمت على نحو ما يرقم عليه أشكال النجارة، فلا يختلج في النفس شك و لا يعرض لها وهم أنها أشكال منجورة منقوشة و هي كلّها مبنية بالآجر و الفضة، و اشتمل على المنبر العجيب الشكل المؤلّف من الصندل و العاج و الأبنوس المذهب، و أمّا الباب الجوفي الذي يفتح على المدرّج الذي ينزل فيه إلى قبر الشيخ و إلى الشارع وهو باب النحاس المشتمل على مصراعين كلّ مصراع منهما مصفّح بالنحاس المختوم المنقوش بالخواتم المستوفاة المشتركة العمل و تخريمه على أشكال من نحاس ملوّنة، فهو من غريب ما يتحدّث به السّفار[2].

3/ مسجد سيدي الحلوي:

تمّ تأسيس هذا المسجد بأمر من السلطان المريني أبو عنان فارس سنة 754هـ/1353م كما ينصّ على ذلك النقش التأسيسي الذي يعلو واجهة المدخل الرّئيسي للمسجد و فيما يلي نصّه: «الحمد لله وحده، أمر بتشييد هذا الجامع المبارك مولانا السلطان أبو عنان فارس (ابن) مولانا السلطان أبي الحسن علي بن مولانا السلطان أبي عثمان بن مولانا أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق أيّده الله و نصره عام أربع و خمسين وسبع مائة»[3].

---

(1) محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 296.

(2) ابن مرزوق، المسند، ص 403، 404. و أيضا، حاجيات، أبو حمو موسى، ص 64، 65.

(3) عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 148.

وقد شيّده تخليدًا لذكرى وفاة العالم الشهير و المتصوّف المعروف الشيخ الولي أبو عبد الله الشوذي الإشبيلي المعروف بالحلوي نزيل تلمسان المتوفى سنة 737هـ/ 1337م[1].

وهذا المسجد يكاد يكون نسخة مطابقة لمسجد سيدي أبي مدين[2] فله مثله بيت صلاة مكوّنة من خمس بلاطات عمودية على جدار المحراب، و صحن مربع و مئذنة موضوعة في الزاوية الشمالية الغربية، و مدخل مزخرف. و لا يختلف عنه إلاّ في بعض العناصر المعمارية[3].

وقد وصفه اِبن الحاج النمري كاتب السلطان أبي عنان فارس قائلاً : «و كم أبقى (يقصد أبي عنان) بتلمسان من آثار حسان و مصانع يعجز عن وصفها كلّ لسان، و لا كجامع الخطبة الأعظم الذي أمر باِختطاطه في حضيض البيت الذي فيه ضريح الشيخ الصالح أبي عبد الله الشوذي المعروف بالحلوي رضي الله عنه و هو أجمل الجوامع قد أحكمت فيه أنواع الصنائع، و أبدى الإحتفال به ما شاء من البدائع...»[4].

ب- المدارس :

من حسن الحظ، فإن المدارس التي بناها آل مرين، لم تعرف نفس المصير الذي عرفته المدارس الزيانية، فلا تزال مثلاً مدرسة العبّاد قائمة إلى يومنا هذا تعاني صروف الدّهر وإهمال الإنسان، إذ أنّنا سنتعرض لهذه المدرسة، ومدرسة سيدي الحلوي باختصار كنموذج لمدارس بني مرين في تلمسان؛ والتي تخرّج منها عدد كبير من العلماء والفقهاء والأدباء الذين أثّروا في الحياة الثقافية في المغرب الأوسط.

---

(1) عن شخصية سيدي الحلوي، حياته ووفاته، انظر، يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 127-128، وأيضا، اِبن مريم، المصدر السابق، ص ص 68- 70.

(2) العربي لقريز، المرجع السابق، ص 31.

(3) رشيد بورويبة، جولة عبر مساجد تلمسان،ص181، وأيضا، بورويبة وآخرون، الجزائر في التاريخ، ج3، ص 503.

(4) عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، ص 237.

1/ مدرسة أبي مدين بالعبّاد :

قام بتشبيدها السلطان أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني عندما إستولى على تلمسان سنة 737هـ/1337م بقرية العبّاد(1)، فوق ربوة مطلّة على تلمسان إلى جانب روضة أبي مدين الغوث سنة 747هـ/1347م أي بعد إنشائه للمسجد بثماني سنوات، و قد أشار إلى ذلك اِبن مرزوق بقوله: «...و بالعبّاد ظاهر تلمسان وحذاء الجامع...أنشأ مدرسة و بالجزائر مدارس مختلفة الأوضاع بحسب إختلاف البلدان...» (2).

وقد سميت هذه المدرسة أيضا باسم المدرسة الخلدونية، حيث أطلقت عليها هذه التسمية في وقت متأخر، ربّما بسبب ما أنجبته من فطاحل العلماء كعبد الرحمن بن خلدون الذي درس بين جدرانها. وقد ظلت هذه المدرسة قائمة تصارع عوادي الزمن بالرّغم من أنّ كثيرًا من زينتها و زخرفتها الأصلية قد اِندثرت بفعل الترميم و الإصلاحات التي أدخلت عليها على مرّ العصور فأفقدتها كثيرًا من أصالتها(3).

وتعدّ هذه المدرسة أجمل مدرسة عرفت بالمغرب الأوسط(4)، تمتاز بزخرفتها وفنّها المعماري ذي الأقواس المنكسرة و الآجر المدهون باللّون الأخضر، و يوجد في فنائها صهريج مزخرف و فيه صحن دائري من الرّخام مخصّص للشرب و الوضوء شيّد أمام قاعة كبيرة للمحاضرات و إلقاء الدروس(5)، و هي تضم طابقين : الطابق السفلي يحتوي على عشر حجرات و الطابق العلوي يتضمن ثماني حجرات، كانت مخصصة لطلاّب العلم الدّاخليين (الغرباء والفقراء)، كما كانت توجد بالمدرسة حجرات أخرى عند المدخل يتضح أنّها كانت مخصصة لتخزين المواد الغذائية و أدوات التنظيف وتحضير الطعام(6).

---

(1) العبّاد قرية عتيقة تقع في الجنوب الشرقي من تلمسان، و هي كثيرة الازدهار، وافرة السّكان و الضياع...بها دفن ولي كبير ذو صيت شهير، و هناك مدرسة جميلة جدًا...أسّسها بعض ملوك فاس من بني مرين، انظر، الحسن الوزّان المصدر السابق، ج2، ص 24.

(2) عن مجموعة منشآت أبي الحسن بالعبّاد، انظر، ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 401 وما بعدها، وأيضا، عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، ص ص 233- 235.

(3)عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، ص 317- 318.

(4) عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص 65.

(5)عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 143.

(6) نفسه، نفس الصفحة.

2/ مدرسة سيدي الحلوي :

أسست هذه المدرسة من قبل السلطان المريني أبو عنان فارس بعد خمس سنوات من بناء أبي الحسن لمدرسة العبّاد، و الذي لم يكن أقل من والده في مجال البناء و التعمير حيث حذا حذوه بعد استيلائه على تلمسان سنة 754هـ/1454م فاختار لها موقعا منحدرًا يشغله حي سكني، بالقرب من ضريح الولي الصالح أبي عبد الله الشوذي الإشبيلي الملقب بالحلوي[1]، الذي يقع شمال المدينة، حيث يوجد المسجد.

وبهذا الحي شيد أبو عنان مجموعة مبان تخليدًا لذكرى العالم الجليل سيدي الحلوي وتتكوّن هذه المجموعة من مسجد و مدرسة و زاوية و ضريح[2].

وكانت الزاوية و المدرسة قائمتين حتى أوائل القرن 10هـ/16م فقد ذكرهما ابن مريم في ترجمته للفقيهين سيدي أحمد بن عيسى الورنيدي المعروف بأبركان، و أحمد بن الحسن الغماري (ت 894هـ/1489م) [3] لكنّ هذه المدرسة لم تنل شهرة كبيرة، مقارنة بالمدارس الأخرى[4].

([1]) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 127- 128، و أيضا، ابن مريم، المصدر السابق ، ص ص 68 70، وأيضا، عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، ص ص 232- 235.

([2]) G. Marçais, l'architecture… p, 278

([3]) ابن مريم، المصدر السابق، ص 25.

([4]) يحيى بن خلدون، المصدر السابق ، ج1، ص 127، 128.

و أيضا: Dhina (A) , Royaume Abdelouadide, p 38.

خاتمة

إن المتتبع للمسار التاريخي للعلاقات الزيانية المرينية يلاحظ أنها كانت بين مد وجزر، تارة تجمعها حروب وصراعات وتارة أخرى صلح وهدنة، وقد اعتمد الطرفان في ذلك على عدة عوامل، مستغلين ظروف بعضيهما السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولعل ما خلصنا إليه من خلال تتبعنا لهذه العلاقات ما يلي:

لا شك أن الضغائن والصراعات بين بني مرين و بني عبد الواد قديمة جدا ، ناشئة عن الجوار في الموطن ثم في الملك، والمنافسة في الاستقلال برئاسة زناتة، فكثرت الحروب بينهما واستمرت سنين طويلة، كان التفوق فيها غالبا لبني مرين لأن مُلكهم كان أعظم، ثم أن دولة بني مرين الناشئة لم ترض بمجاورة قبيل بني عبد الواد المنافس، وذلك لتأكدها من المكانة التي يتبوأها هذا القبيل في ميدان السياسة والحرب في المغرب الأوسط، فنشأت عن ذلك عداوة بين القبيلين كان مبعثها المنافسة على رئاسة زناتة والتطلع إلى السلطان على المغرب الإسلامي بأكمله باعتبار أحقية كل قبيل في ميراث الموحدين.

لم تقم الدولتان على أساس حركة مذهبية إصلاحية أو فكرة دينية جديدة، كما فعل عبد الله بن ياسين المرابطي والمهدي بن تومرت الموحدي، لكن الجانب الديني استغل في فترات من تاريخ الدولتين، خاصة في عهد أبي الحسن المريني الذي كان يحاول كسب ود وعطف الأهالي بزيارة المراكز الدينية، والمقابر وأضرحة الأولياء والصالحين والتبرك بهم، غير أن بني مرين حملوا على عاتقهم العودة بالمذهب المالكي إلى سابق عهده والعمل على نشره، ومحو آثار المذهب الموحدي.

لم توظّف الدولتان في تأسيسهما و قيامهما دعوة أو حركة دينية كما ذكرنا، بل اعتمدتا على قوة قبيليهما (بني عبد الواد، و بني مرين) و على بعض القبائل البربرية والعربية، و كان الهدف سياسي بحت يكمن في إقامة دول مستقلة بذاتها عن الموحّدين، تفرض سيطرتها على كامل المغرب الإسلامي، و تتزعم قبائل زناتة و باقي القبائل البربرية، و لعلّه السبب في نشأة العداء واستمرار الصراع بين المرينيين و الزيانيين.

كان الصراع الزياني المريني قائما قبل سقوط دولة الموحّدين سنة 667هـ / 1267م في المناطق الغربية والجنوبية الغربية من تلمسان، على الحدود بين الدولتين بنواحي وجدة و تازا، و جنوبًا بسجلماسة لأهميتها التجارية، وكان بنو عبد الواد خلال ذلك يحاولون تأكيد سيادتهم على هذه المناطق و مدنها، وهم يلحظون حالة الضعف التي آلت إليها الدولة الموحّدية، والتقدم المريني السياسي و العسكري نحو الشمال والشرق وجنوبًا نحو مراكش و سجلماسة، غير أنّ محاولات بني عبد الواد كانت دون جدوى أمام إصرار خصومهم في الدفاع عنها و حمايتها، و لكن بعد قيام الدولة المرينية إتسع النطاق الجغرافي للصراع.

راحت كل دولة تستغل الصراعات الداخلية والاضطرابات الأسرية، وتنافس أفراد الأسرة المالكة على العرش، فتستقبل المنشقين والعصاة والمعارضين، وتمد لهم يد العون وتزكيهم، وتقف إلى جانبهم بالمال والرجال للنهوض ضد حاكمها، وهذا ما حدث مرات عديدة ومن الجانبين، ولعله من الأسباب التي كانت تؤدي إلى التصادم والتعارك انتقاما من الطرف الآخر، وهذا منذ نشأة الدولتين، حيث ألّبت الابن ضد والده، والوالد ضد ابنه والأخ ضد أخيه...الخ.

تميزت الفترة الأولى من تأسيس دولة بين عبد الواد بروح العصبية القوية التي منحت الدولة قوة وتماسكا عظيمين، ظهرا جليا في المقاومة الشديدة للأعداء، وفي وحدة الصف والتفاني في الدفاع عن دولتهم وفرض وجودها، لكن ظهور الخلافات الأسرية والتآمر سرعان ما تسربا إلى هذه الدولة في أواخر عهد أبي حمو موسى الأول، مما أدى بولده أبي تشافين إلى قتله وتولي الحكم، ومنذ هذا الوقت أصبحت المؤامرات تقليدا مألوفا من قبل الكثير من أمراء الدولة.

لم تكن حدود الدولتين منذ نشأتهما مستقرة وثابتة، بل كانت تتبدل وتتغير، بحيث تتقلص حينا وتتسع أحيانا حسب استعداد كل واحدة منهما وقوتها العسكرية والاقتصادية واستقرارها السياسي وأمنها، وكذا وحدة أمرائها وانسجام قبائلها وولائها الصادق، إذ حاول بنو زيان أن يجعلوا من الحدود الغربية ثابتة منذ عهد قائدهم يغمراسن بن زيان الذي ترك وصية بذلك، ورغم أن أغلب خلفائه حاولوا تنفيذ الوصية بالتوسع نحو

المناطق الشرقية إلا أنهم لم يسلموا من هجومات بني مرين المتكررة على أراضيهم، في كل مرة متذرعين بأمر ما.

كانت الصحراء وهي المنطقة النائية في الجنوب المقر الهام الذي يلجأ إليه أمراء تلمسان عندما تُحتل أراضيهم، لذلك فمن الصعب بمكان وضع حدود سياسية أو إدارية للدولة الزيانية أو لغيرها من دول المغرب الإسلامي في العصر الوسيط.

لا يمكن إغفال الدور الفعال الذي لعبته القبائل البربرية والعربية في تزكية هذا الصراع، والتي كانت تتحالف مع بني مرين تارة ومع بني زيان تارة أخرى، حسب ما تقتضيه مصالحها، إذ صارت محل إغراء واسترضاء سلاطين الدولتين، حتى أصبحت عصبا هاما يحرك سياسة هؤلاء السلاطين ، بعد أن اعتمد بعضهم اعتمادا كليا على هذه القبائل للحفاظ على ملكه، فما إن تضطرب الأحوال السياسية حتى نرى بعضهم ثائرين أو مؤيدين للحركات الخارجة عليها، مما كان يدفع سلاطين الدولتين إلى إغداقهم بالهدايا والأموال، وإقطاعهم بعض الأراضي لاسترضائهم وضمان ولائهم.

وقد انتشرت ظاهرة الإقطاع ومنح الأراضي انتشارا كبيرا في عهد بني عبد الواد، خاصة في مرحلة ضعفهم، وقد عبّر ابن خلدون عن هذه الظاهرة بقوله في العبر، ج7، ص 292: " ما شرحناه مرارا من تغلب العرب على الضواحي والكثير من الأمصار، وتقلص ظل الدولة عن القاصية وارتدادها على عقبها إلى مراكز بسيف البحر، وتضاءل قدرتها عن قدرتهم، وإعطاء اليد في مغالبتهم، ببذل رغائب الأموال، وإقطاع البلاد والنزول عن الكثير من الأمصار والقنوع بالتضريب بينهم وإغراء بعضهم لبعض "

أمّا فيما يتعلق بالتاريخ الثقافي للدولتين فهو امتداد للإزدهار الفكري و الحركة الثقافية التي كانت سائدة في العهدين المرابطي و الموحّدي، و اللّذين عرفا حركة فكرية دؤوبة، حيث نشط العديد من العلماء و في مختلف العلوم العقلية و النقلية خاصة فيما يتعلق بالعلوم الدينية، التي كانت تسير في نطاق رسمته الدعوتين المرابطية و الموحّدية على السواء، غير أنه مع سقوط الموحّدين و ظهور الدويلات المستقلة تحرّرت بعض العلوم التي كانت محظورة، فأصبحت تخوض في مجالات كانت بالأمس ممنوعة فازدهرت العلوم و تنوّعت و شملت مختلف المجالات، و نبغ العديد من العلماء الذين أثروا الحياة الثقافية في بلاد المغرب عامّة حتى بلغ صيتهم بلاد المشرق و الأندلس.

ساهمت العديد من العوامل في إزدهار الحركة الفكرية والثقافية في الدولتين الزيانية و المرينية، و لعلّ أهمّ هذه العوامل:

أ- إهتمام السلاطين الزيانيين و المرينيين و عنايتهم بالعلم و العلماء و تقريبهم منهم، و إجراء الأرزاق عليهم، و حضور مجالسهم تشجيعًا لهم على الإبداع والتأليف ورعايتهم للآداب و الفنون و تقديرهم لأصحابها، و اختيارهم لصفوة العلماء و الفقهاء الوافدين من حواضر المغرب الإسلامي.

ب- الرحلة في طلب العلم و دورها في تكوين العلماء و توسيع معارفهم و توطيد الرّوابط الثقافية و تواصلها بين الإقليمين.

ج- دور المهاجرين الأندلسيين في إثراء الحياة الثقافية ببلاد المغرب بما نقلوه من علوم و مصنفات علمية هامة، بالإضافة إلى هجرة بعض العلماء والفقهاء و الأدباء.

د- انتشار المؤسسات الثقافية و التعليمية من مدارس و مساجد و زوايا ومكتبات و كتاتيب، و حرص السلاطين على إقامتها عامل ساهم في إزدهار الحركة الثقافية في الدولتين.

هـ- كثرة الحواضر العلمية و إنتشارها عبر الإقليمين كتلمسان و فاس و مكناس ومراكش، و تنس، ...إلخ، ممّا ساعد على إنتشار العلوم و كثرة العلماء.

تغذّت الحركة الفكرية بفاس و تلمسان برافدين هامين، رافد الأندلس و رافد المشرق، فتعمّق التحصيل و شمل مجالات عدّة، و انتشرت حلقات الدّروس والمجالس العلمية المرينية و الزيانية والتي توافدت عليها المؤلفات المختلفة المشرقية و الأندلسية والمغربية، فتنوعت التيارات الفكرية و تعدّدت كتيار التصوّف، و تيار الإجتهاد في إطار المذهب و السّلف، و بَرَزَ المذهب الأشعري في المعتقدات والمذهب المالكي في الفقهيات كما ازدهرت حركة الجدل و المناظرات العلمية الشفوية والمكتوبة بين فقهاء و علماء تلمسان و فاس، و غيرهم من فقهاء الأندلس والمغرب و مصر، تناولت ألوانًا متعددة من العلوم كالفقه و التفسير و التصوّف واللّغة و المنطق و مسائل فكرية أخرى، فكان اهتمامهم بالعلوم كافة نقلية وعقلية، ممّا ساهم في نشأة طبقة هامة من العلماء أثروا الساحة الفكرية و الثقافية، و دفعوا بهذه العلوم نحو الإزدهار، و تميّزوا بعمق التفكير

وغزارة التحصيل فأقاموا نهضة علمية و حركة فكرية في حواضر المغرب و الأندلس والمشرق.

لم تؤثر الحياة السياسية المتوترة التي طبعت العلاقات السياسية بين الدولتين و لفترة طويلة من الزمن، على الحياة العلمية و الفكرية ، أو تعرقل نموّها و لعل ذلك راجع إلى بعض العوامل المستمدّة من البيئة التلمسانية و الفاسية و من واقعهما المادّي والبشري، إذ أنّ ذلك الصراع السياسي و العسكري لم يمنع من التواصل الثقافي والفكري بين بني مرين و بني زيان ، بل خلق منافسة فكرية علمية ترجمها تنافس سلاطين الدّولتين على التقرب من العلماء و إكرامهم و إجراء الأرزاق عليهم و تشجيعهم على الإبداع.

إرتُبط الإبداع الشعري أحيانا كثيرة بالأوضاع السياسية للإقليمين، فكانت بعض القصائد تنظم في وصف معارك جرت بين الفريقين، أو كانت تنظم لتحريض وتحفيز وتشجيع السلاطين على الغزو كتلك التي نظمها الشاعر العزيز الملزوزي في تشجيع السلطان المريني على غزو المغرب الأوسط و تأديب يغمراسن.

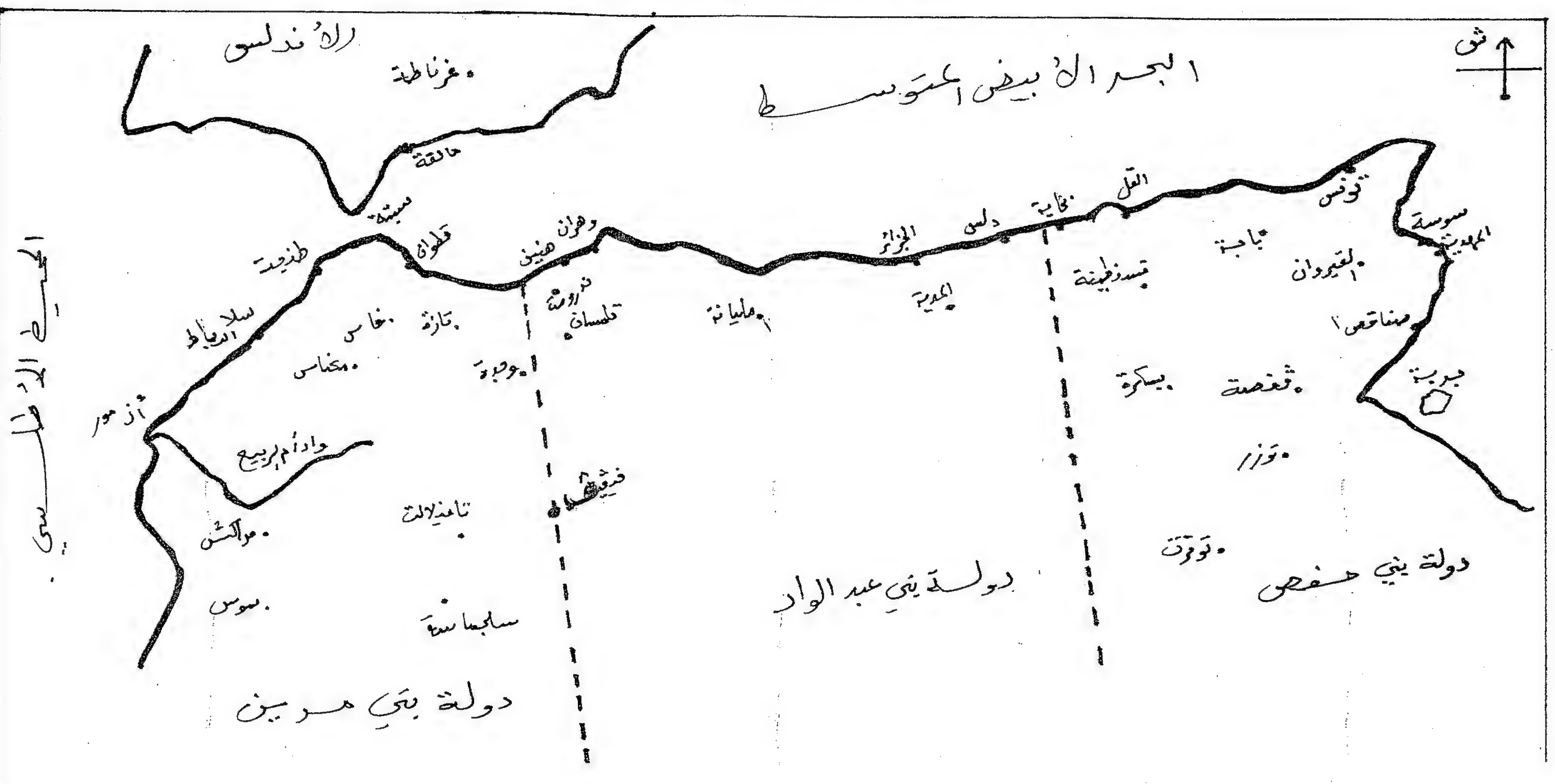
تعتبر الدولة المرينية بالمغرب الأقصى أكثر دويلات المغرب الإسلامي حيوية ونشاط في مجال التشييد العمراني بصفة عامة، و تشييد المدارس بصفة خاصة، حيث أنفق سلاطينها و أمراؤها على عمارتها و تزينها أموالا طائلة، و لعل هدفهم الرئيسي من ذلك هو إعداد نخبة من المدرّسين و الموظفين و الدّعاة القادرين على حماية مصالح الدولة، والوقوف في وجه دعاة التطرّف ، و توطيد حكمهم في المغرب كافة باعتبار أنّ المرينيين اتّخذوا من حركة بناء المدارس مظهرًا لسياستهم الدينية والعلمية، و بالتالي مظهرًا للتأثير السياسي و الإجتماعي في رعاياهم، و ذلك من حيث الرّضا بهم و القبول بمخططاتهم الهادفة إلى توحيد المغرب الإسلامي تحت رايتهم سياسيا و دينيا و إداريًّا.

تمكنت دولة بني زيان من إحياء المغرب الأوسط وتعميره، كما أتاحت الفرصة لتعريبه تعريبا كاملا بعد تحول زناتة إلى عرب، وإليها يرجع الفضل في تمدين الكثير من بلاد المغرب الأوسط مثل: مرسى هنين والمدية وندرومة ووجدة، بل مدينة الجزائر نفسها، كما أنها أعطت المغرب الأوسط حدوده التاريخية، إذ أن الأتراك العثمانيين عندما ضموا المغرب إلى ملكهم جعلوا إمارة بني زيان على وجه التقريب إيالة كاملة من إيالات المغرب في أيامهم، ونقلوا العاصمة من تلمسان إلى الجزائر التي حرروها من أيدي الإسبان.

الملاحق

الملحق رقم (01)

الخريطة السياسية للمغرب الإسلامي أوائل القرن 8 هـ- 14م



محمد بن رمضان شاوش ، المرجع السابق، ص 584، 585.

الملحق رقم (02)

سلاطين بني زيان

(633- 962هـ/ 1235- 1554م)

1- أبو يحي يغمراسن بن زيان: 633- 681هـ/ 1235- 1282م

2- أبو سعيد عثمان الأول بن يغمراسن: 681- 703هـ/ 1282- 1303م

3- أبو زيان محمد بن عثمان الأول: 703- 707هـ/ 1303- 1307م

4- أبو حمو موسى بن عثمان الأول: 707- 718هـ/ 1307- 1318م

5- أبو تاشفين الأول عبد الرحمن بن أبي حمو الأول: 718- 737هـ/ 1318- 1337م

6- أبو سعيد عثمان الثاني: 749- 753هـ/ 1348- 1352م

7- أبو حمو موسى الثاني بن أبي يعقوب يوسف: 760- 791هـ/ 1359- 1389م

8- أبو تاشفين الثاني عبد الرحمن بن أبي حمو الثاني: 791- 795هـ/ 1389- 1392م

9- أبو ثابت يوسف بن أبي تاشفين الثاني: 795- 796هـ/ 1392- 1393م

10-أبو الحجاج يوسف بن أبي حمو الثاني: 796- 797هـ/ 1393- 1394م

11-أبو زيان الثاني عبد الرحمن بن أبي حمو الثاني: 797- 801هـ/ 1394- 1399م

12-أبو محمد عبد الله الأول بني أبي حمو الثاني: 801- 804هـ/ 1399- 1402م

13-أبو عبد الله محمد الأول المعروف بابن خولة: 804- 813هـ/ 1402- 1412م

14-عبد الرحمن الثالث: 813- 814هـ/ 1411- 1411م

15-السعيد بن أبي حمو الثاني: 814- 814هـ/ 1412- 1412م

16-أبو مالك عبد الواحد بن أبي حمو الثاني (المرة الاولى): 814 – 827هـ/ 1412- 1424م

17-أبو عبد الله محمد الثاني المعروف بابن الحمراء(المرة الأولى):827-831هـ/1424- 1428م

18-أبو مالك عبد الواحد(المرة الثانية): 831- 833هـ/ 1428- 1430م

19-أبو عبد الله محمد الثاني (المرة الثانية) 833- 834هـ/ 1430- 1431م

20-أبو العباس أحمد العاقل بن أبي حمو الثاني: 834- 866هـ/ 1431-- 1462م

21-أبو عبد الله محمد الثالث المتوكل على الله: 866- 873هـ/ 1462- 1468م

22-أبو عبد الله محمد الرابع الثابتي: 873- 910هـ/ 1468- 1505م

23-أبو عبد الله محمد الخامس بن محمد الثابتي: 910- 922هـ/ 1505- 1516م

24-أبو حمو الثالث بن محمد الثابتي (المرة الأولى): 922- 923هـ/ 1516- 1517م

25-أبو زيان أحمد الثالث: 923- 924هـ/ 1520- 1521م

26-أبو حمو الثالث محمد الثابتي(المرة الثانية) 924- 934هـ/ 1521- 1528م

27-عبد الله بن أبي حمو الثالث بن محمد الثابتي: 934- 947هـ/ 1528- 1540م

28-أبو زيان أحمد الثاني بن عبد الله الثاني: 947- 949هـ/ 1540- 1542م

29-أبو عبد الله محمد بن أبي حمو: 949- 949هـ/ 1542- 1542م

30-أبو زيان أحمد الثاني بن عبد الله الثاني (المرة الثانية): 949- 957هـ/ 1542- 1550م

31-الحسن بن عبد الله الثاني الزياني: 957- 962هـ/ 1550- 1554م

عن عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج2، ص 500- 501.

الملحق رقم (03)

سلاطين بني مرين

توقيت

١ - أبو محمد عبد الحق بن أبي خالد محيو بن أبي بكر بن حمامة بن محمد المريني:	٥٩٢ - ٦١٤/١١٩٦ - ١٢١٧
٢ - أبو سعيد عثمان بن عبد الحق (أدرغال):	٦١٤ - ٦٣٧/١٢١٧ - ١٢٣٩
٣ - محمد (الأول) بن عبد الحق:	٦٣٧ - ٦٤٢/١٢٣٩ - ١٢٤٤
٤ - أبو يحيى أبو بكر بن عبد الحق:	٦٤٢ - ٦٥٦/١٢٤٤ - ١٢٥٨
٥ - أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق:	٦٥٦ - ٦٨٥/١٢٥٨ - ١٢٨٦
٦ - أبو يعقوب يوسف بن يعقوب (الناصر):	صفر ٦٨٥ - ٧٠٦/١٢٨٦ - ١٣٠٦
٧ - أبو ثابت عامر بن أبي عامر:	١٠ ذو القعدة ٧٠٦ - صفر ٧٠٨/١٣٠٦ - ١٣٠٨
٨ - أبو الربيع سليمان بن أبي عامر:	٧٠٨ - ٧١٠/١٣٠٨ - ١٣١٠
٩ - أبو سعيد عثمان (الثاني) بن يعقوب:	٧١٠ - المحرم ٧٣٢/١٣١٠ - ١٣٣١
١٠ - أبو الحسن علي بن عثمان:	المحرم ٧٣٢ - جمادي الآخرة ٧٤٩/١٣٣١ - ١٣٤٨
١١ - أبو عنان فارس المتوكل بن علي.	دو الحجة ٧٥٩/١٣٥٨
أبو زيان محمد بن فارس أبي عنان ولي وعزل في الحال:	جمادى الآخرة ٧٤٩ - ٧٥٩/ ١٣٤٨ - ١٣٥٨
١٢ - محمد السعيد بن أبي عنان (وعمره ٥ سنوات):	٢٥ ذو الحجة ٧٥٩ - ٧٦٠/ ١٣٥٨ - ١٣٥٩
١٣ - أبو سالم إبراهيم بن علي:	رمضان ٧٦٠ - ٢٩/١١/٧٦٢/ ١٣٥٩ - ١٣٦١
١٤ - أبو عامر تاشفين بن علي:	٢٩ ذو القعدة ٧٦٢ - المحرم ٧٦٢/١٣٦١ - ١٣٦١
١٥ - عبد الحليم بن أبي علي عمر (انفرد بسجلماسة منذ ٣/٧٦٢):	المحرم ٧٦٣ - ربيع الأول ٧٦٣/١٣٦١ - ١٣٦٢
١٦ - أبو زيان محمد (الثاني) المنتصر بن أبي عبد الرحمن (قتل في ٢٣/١٢/٧٦٧):	ربيع الأول ٧٦٣ - المحرم ٧٦٨/١٣٦٢ - ١٣٦٦
١٧ - أبو فارس عبد العزيز المستنصر بن علي:	المحرم ٧٦٨ - ٢٢/٤/٧٧٤/ ١٣٦٦ - ١٣٧٢
١٨ - أبو زيان محمد (الثالث) السعيد بن عبد العزيز:	٢٢/٤/٧٧٤ - المحرم ٧٧٦/١٣٧٢ - ١٣٧٤

١٩ ـ أبـو العباس أحمـد	٦ المحـرم ٧٧٦ ـ
المستنصر بن إبراهيم:	المحرم ١٣٧٤/٧٧٦ ـ ١٣٨٤
عبد الرحمن أبو يغلوسن (مراكش): انفرد أحمد بالأمر منذ رجب ٧٨٤	المحرم ٧٨٦ ربيع الثاني ١٣٧٤/٧٨٦ ـ ١٣٨٤
٢٠ ـ موسى بن أبي عنان المتوكل على الله أبو فارس:	ربيع الثاني ٧٨٦ ـ ٧٨٨/٩/٣/ ١٣٨٤ ـ ١٣٨٦
٢١ ـ أبو زيان محمد المستنصر بالله بن أحمد (٤٣ يوماً):	٧٨٨/٩/٣ ـ ١٠/١٥ /٧٨٨/ ١٣٨٦ ـ ١٣٨٦
٢٢ ـ أبو زيان محمد (الرابع) الواثق بالله بن أبي الفضل:	٧٨٨/١٠/١٥ ـ صفر ١٣٨٦/٧٩٦ ـ ١٣٩٣
المستنصر (للمرة الثانية) ٥ رمضان ١٣٨٧/٧٨٩	
٢٣ ـ أبو فارس بن أحمد:	صفر ٧٩٦ ـ ١٣٩٣/٧٩٩ ـ ١٣٩٦
٢٤ ـ عبد العزيز بن أحمد:	٧٩٩ ـ ١٣٩٦/٨٠٠ ـ ١٣٩٧
٢٥ ـ عبد الله بن أحمد:	٨٠٠ ـ ١٣٩٧/٨٠١ ـ ١٣٩٨
٢٦ ـ أبو سعيد عثمان (الثاني) بن أحمد:	٨٠١ ـ ١٣٩٨/٨٣١ ـ ١٤٢٧
لم يتول أحد من بني زيان من سنة ولي أبو مالك عبد الواحد بن موسى	
٢٧ ـ أبو محمد عبد الحق بن أبي سعيد عثمان (الثاني):	١٤٢٧/٨٣١
لم يتول أحد من بني مرين من رمضان ٨٦٩ ـ ١٤٦٤/٨٧٥ ـ ١٤٧٠	

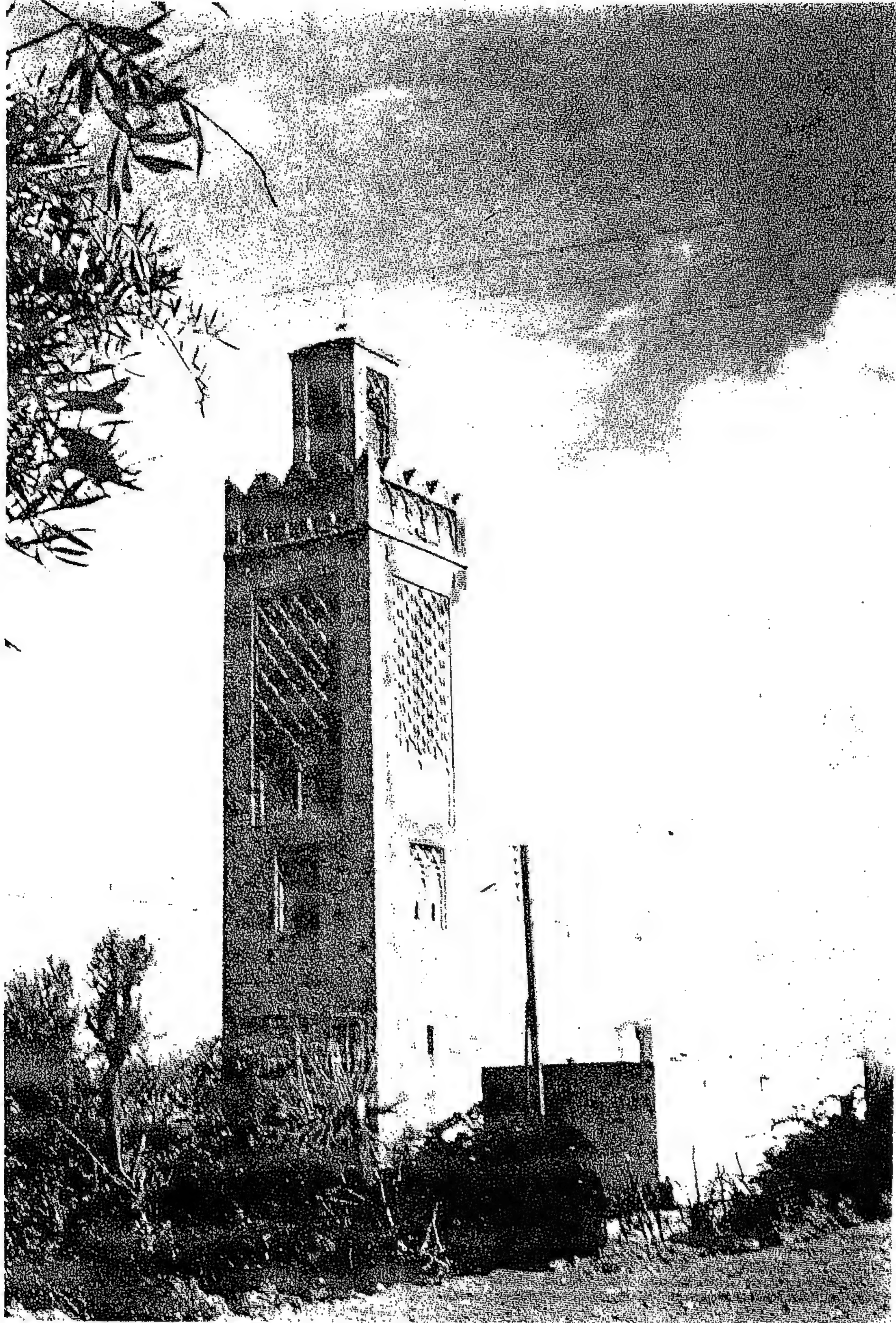
بنو وطاس[1]

١ ـ أبو زكريا يحيى بن زيان الوطاسي الوصي على عبد الحق الصغير:	٨٣١ ـ ١٤٢٧/٨٥٢ ـ ١٤٤٨
٢ ـ علي بن أبي الحجاج يوسف بن منصور بـن زيان (توفي ٨٦٣):	٨٥٢ ـ ١٤٤٨/٨٦٣ ـ ١٤٥٨
٣ ـ محمد الأول (أو أبو زكريا يحيى) بـن يحيى بن زيان:	٨٦٣ ـ ١٤٥٨/٨٧٥ ـ ١٤٧٠
٤ ـ محمد (الثاني) (الشيخ البرتقالي) ابن محمد الاول:	٨٧٥ ـ ١٤٧٠/٩٣١ ـ ١٥٢٤
٥ ـ احمد بن محمد (الثاني):	٩٣١ ـ ١٥٢٤/٩٥٧ ـ ١٥٥٠

حسين مؤنس، المرجع السابق، مج2، ج3، ص 5-6.

ملحق رقم (04)

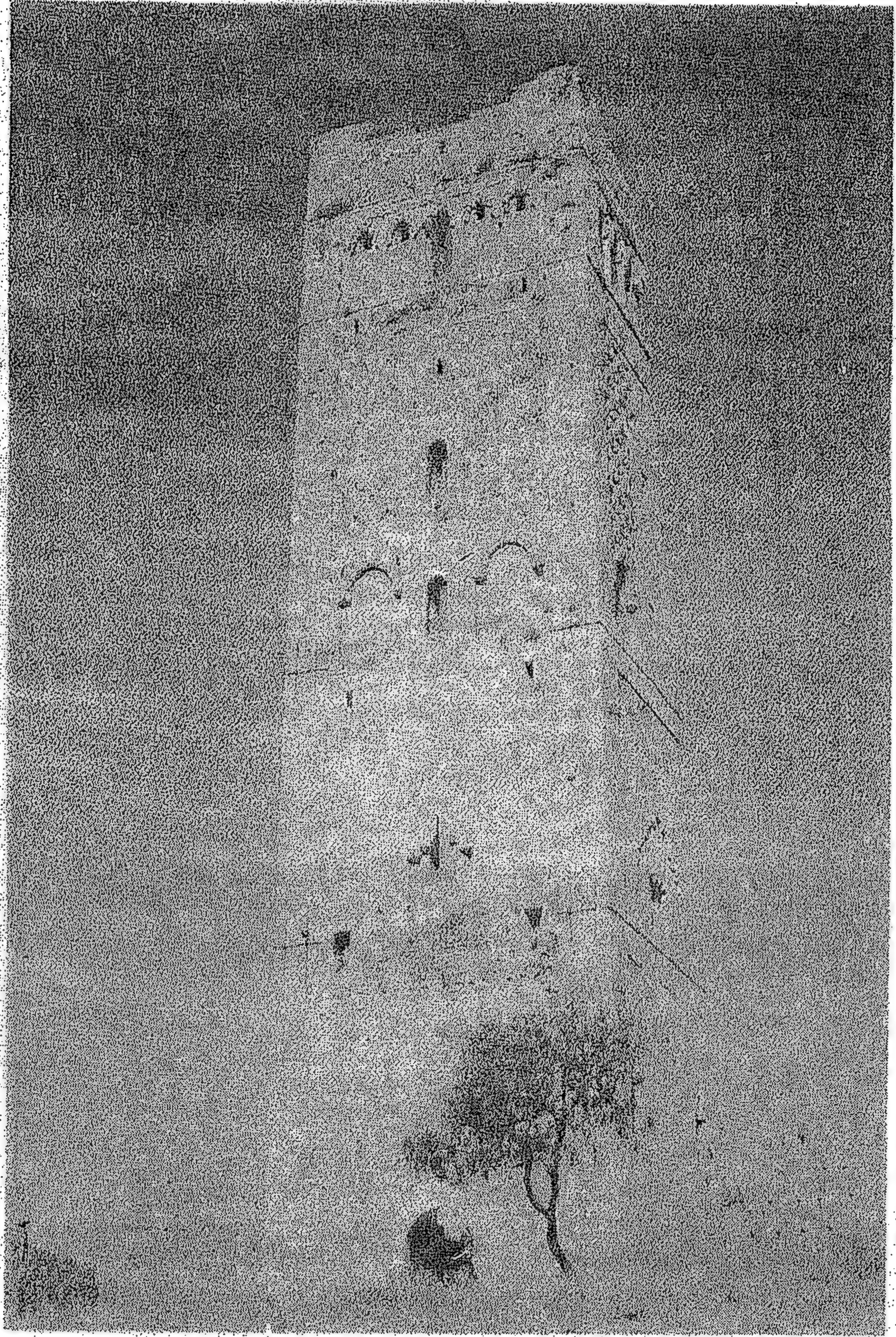
مئذنة مسجد أقادير بتلمسان



عبد الحميد حاجيات و آخرون ، الجزائر في التاريخ، ج3

ملحق رقم (05)

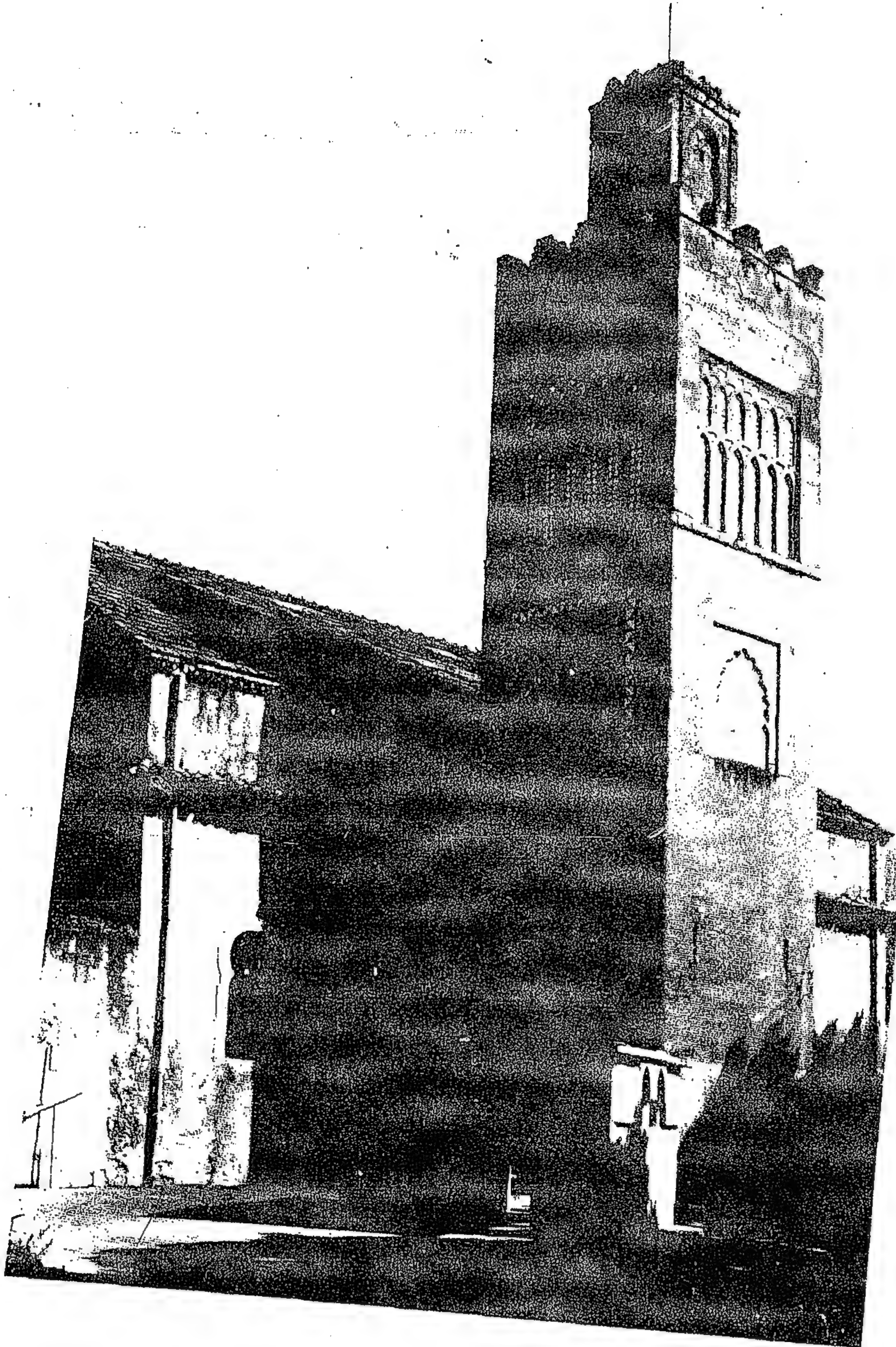
مئذنة مسجد المنصورة



عبد الحميد حاجيات و آخرون، المرجع السابق، ج3.

ملحق رقم (06)

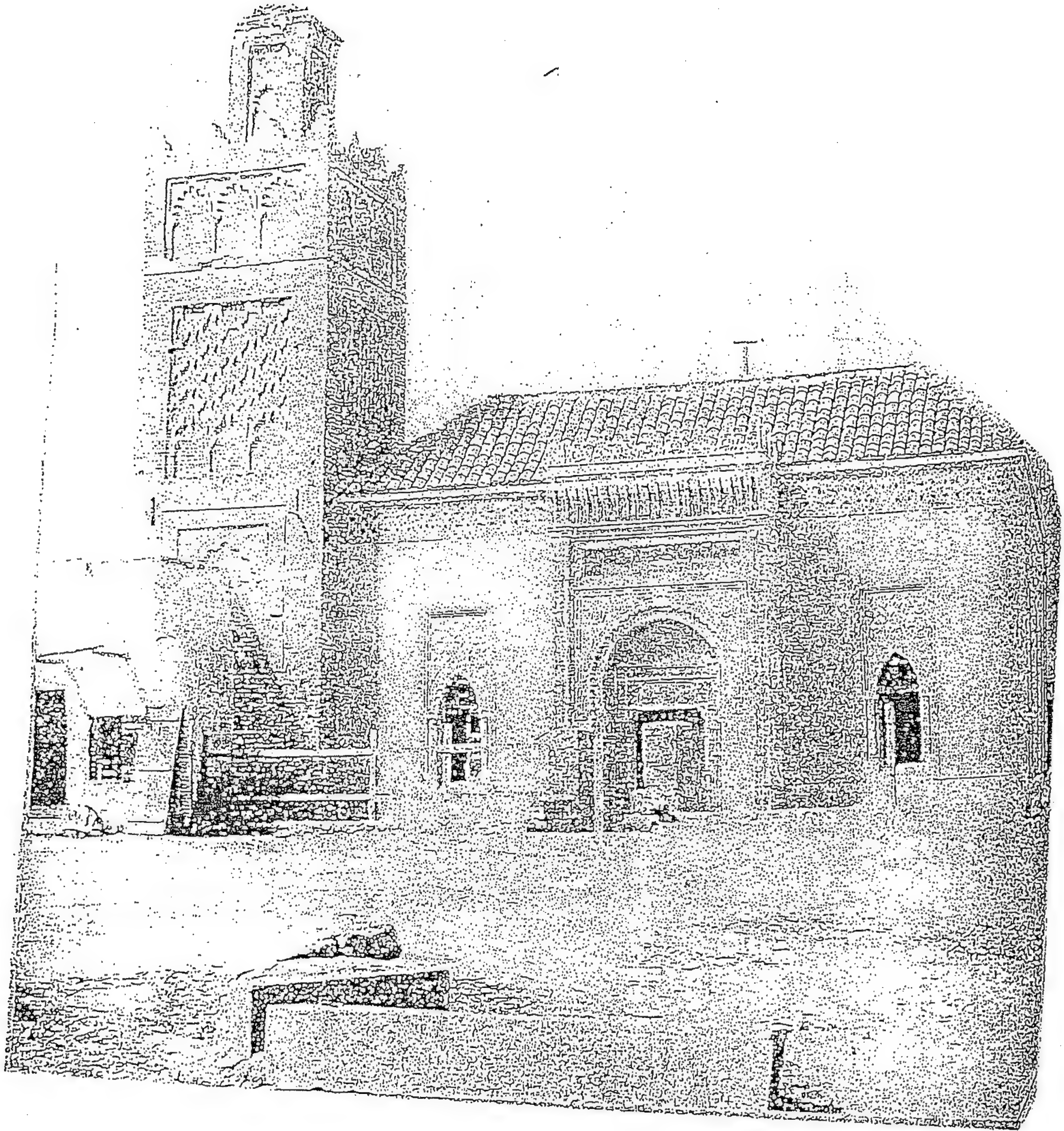
مئذنة مسجد المشور بتلمسان



عبد الحميد حاجيات و آخرون، المرجع السابق، ج3.

ملحق رقم (07)

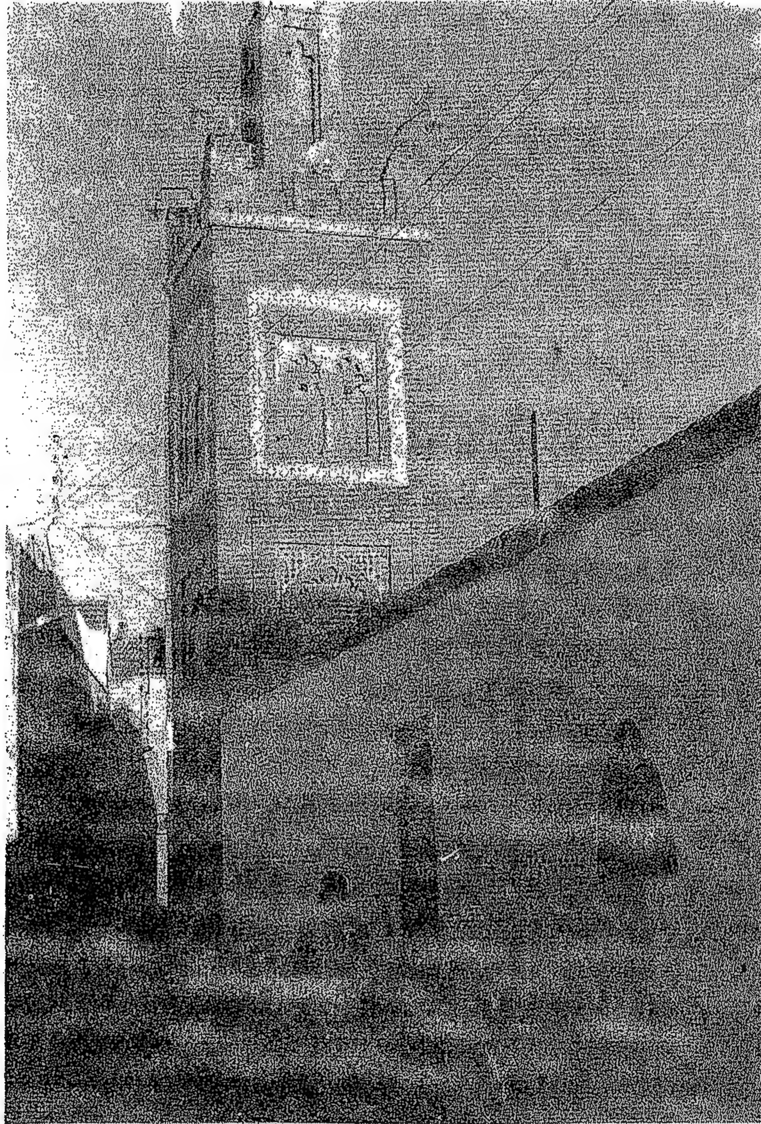
مئذنة مسجد أبي الحسن التنسي



مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص 362.

ملحق رقم (08)

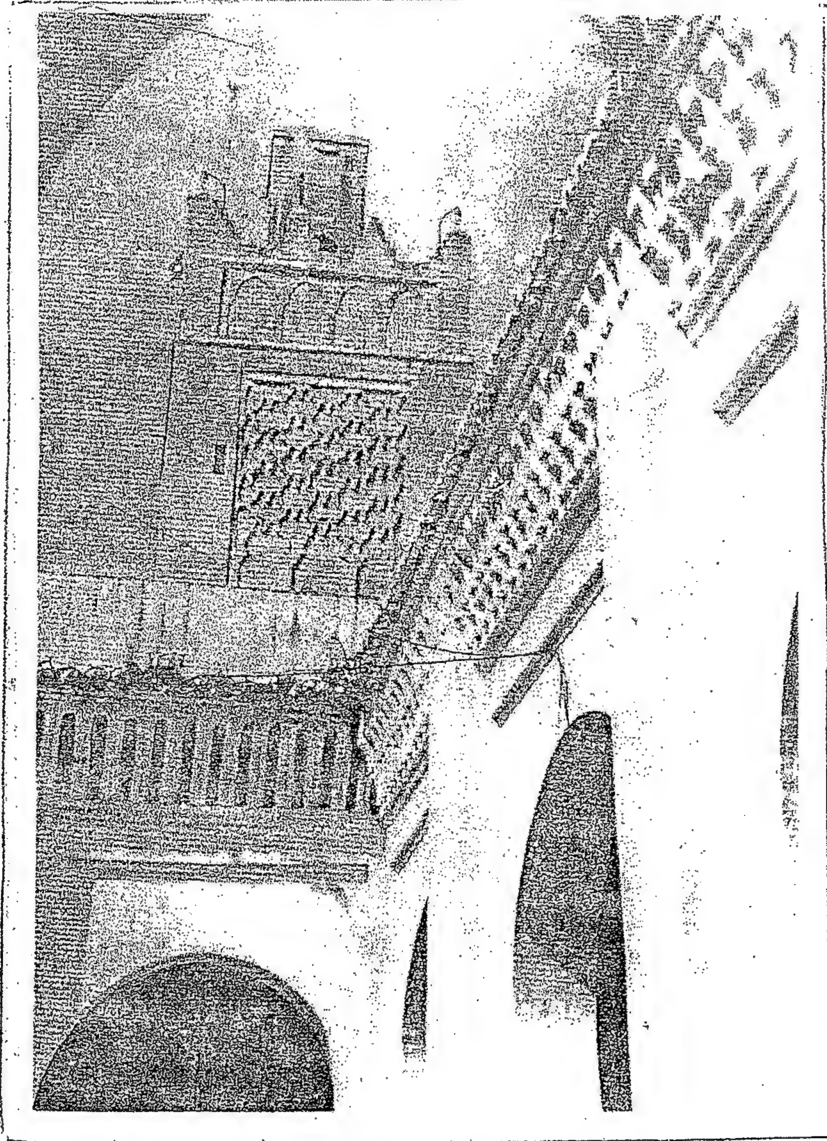
مسجد أولاد الإمام



محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص236.

ملحق رقم (09)

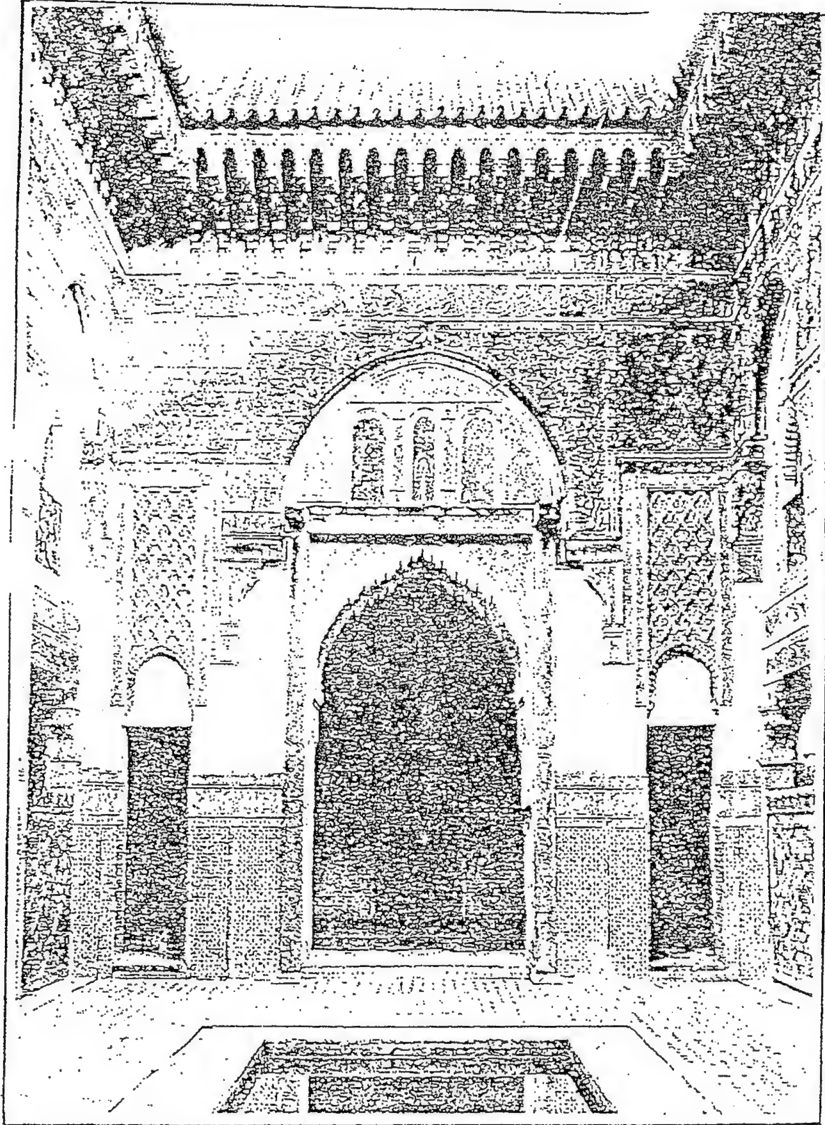
جامع سيدي إبراهيم (حواشي السطح المقرمد و المئذنة من ناحية السطح



محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص246.

ملحق رقم (10)

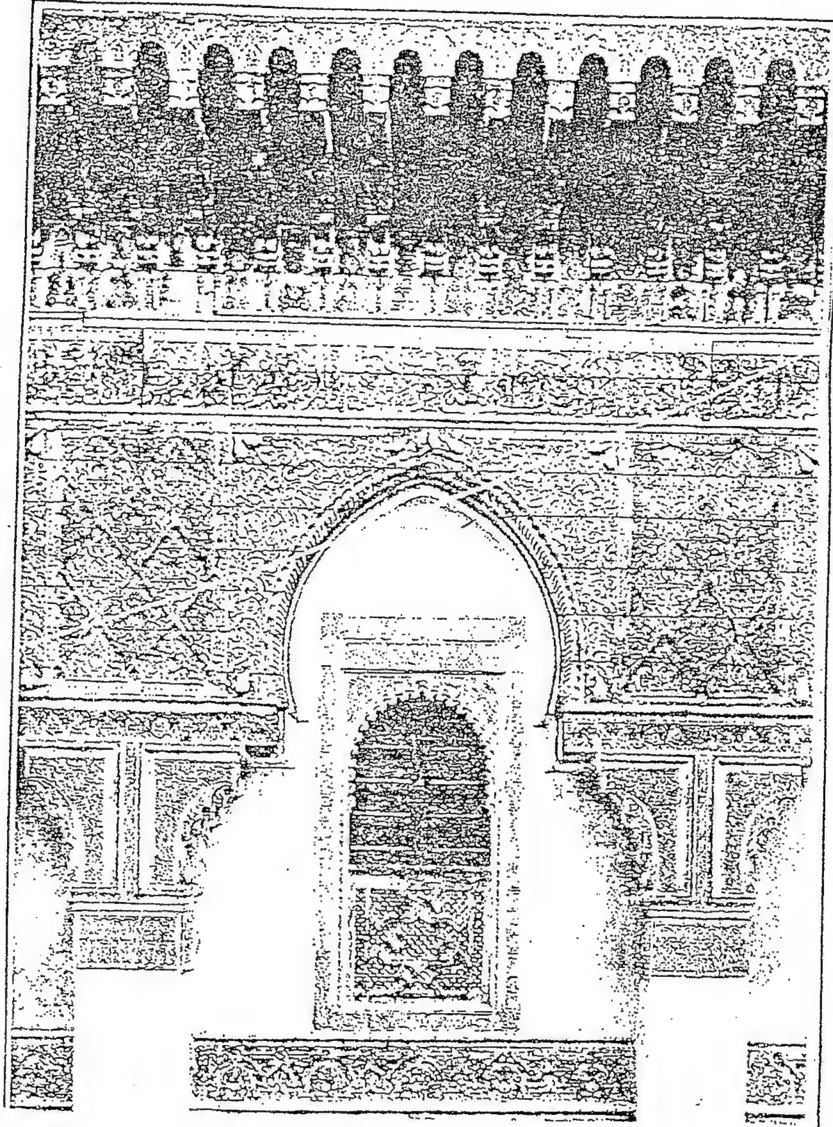
مدرسة الصهريج بفاس (الصحن و مدخل قاعة الصلاة بعد الترميم)



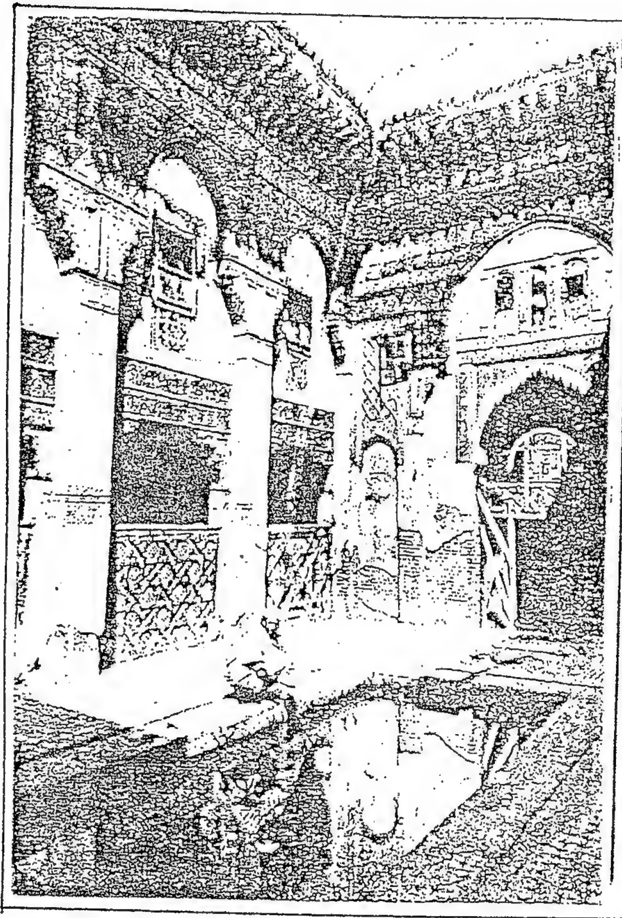
العربي لقريز: المرجع السابق، ص 170.

ملحق رقم (11)

مدرسة الصهريج بفاس (الجزء العلوي لأحد جدران الصحن)

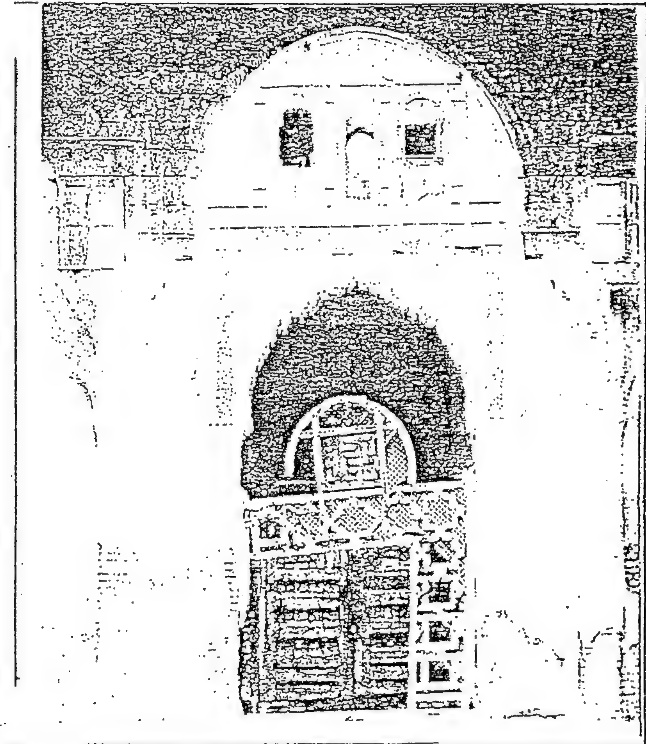


العربي لقريز: المرجع السابق، ص171.



ملحق رقم(12)

صورة للزاوية الشمالية الغربية من الصحن



ملحق رقم (13)

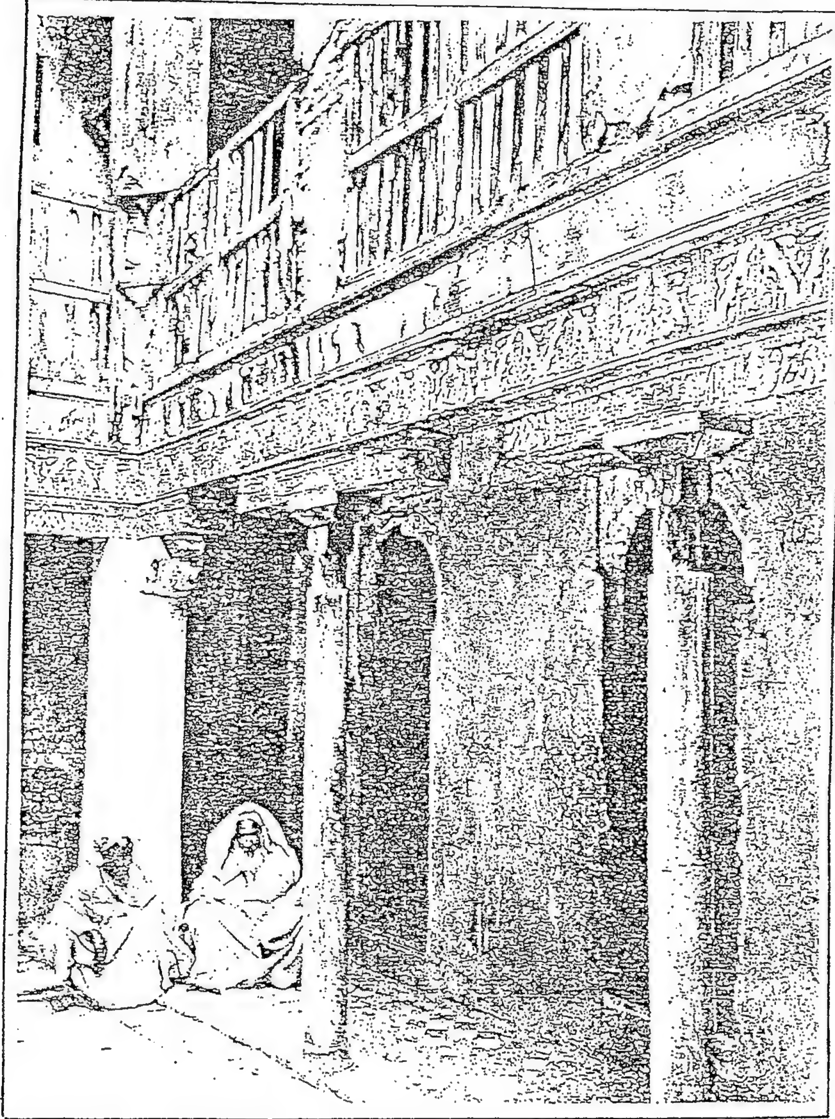
مدرسة الصهريج قبل الترميم

(واجهة مدخل قاعة الصلاة)

العربي لقريز: المرجع السابق، ص172.

ملحق رقم (14)

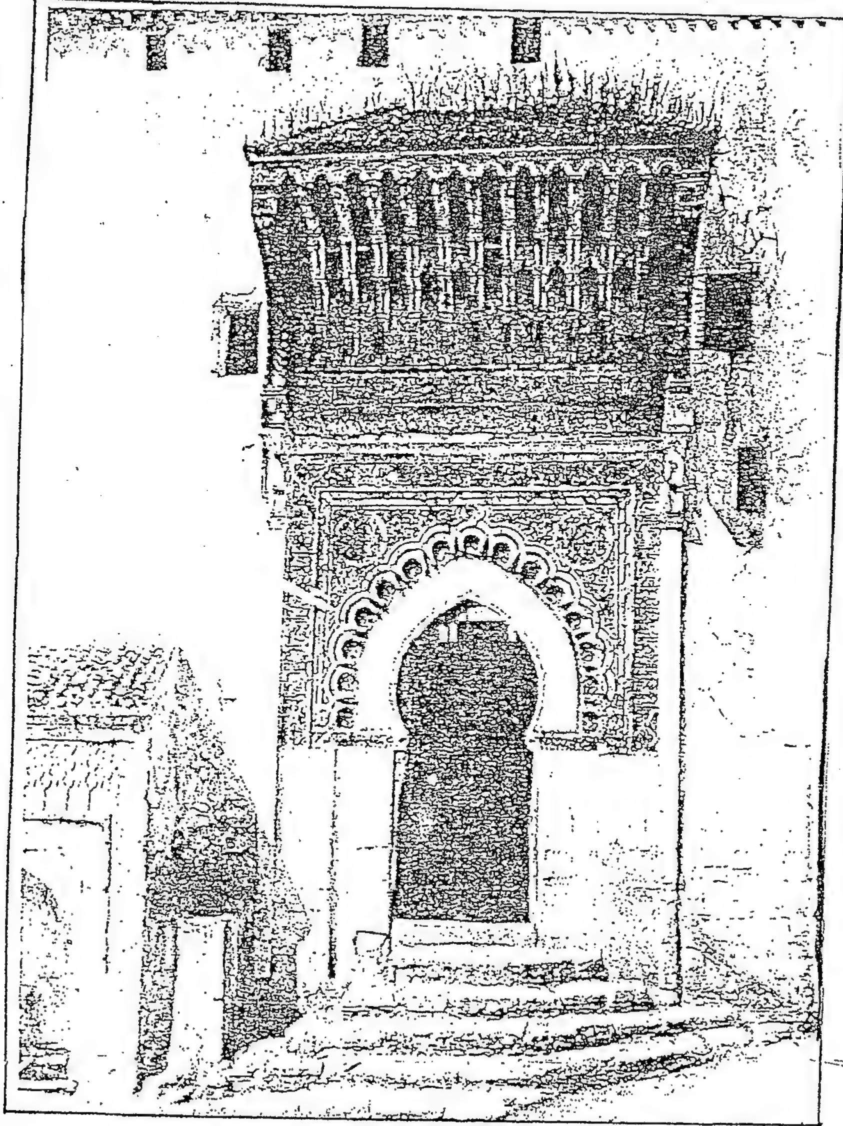
مدرسة السبعين بفاس(حالة الصحن قبل الترميم)



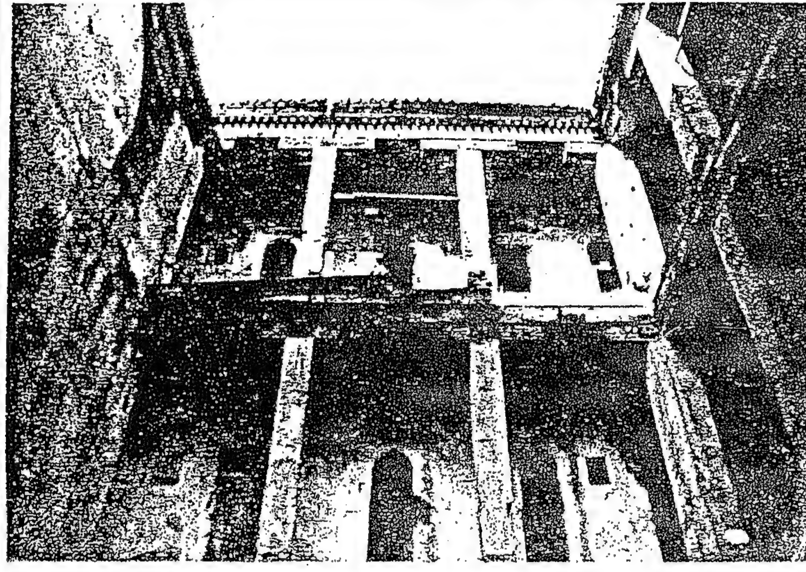
العربي لقريز: المرجع السابق، ص173.

ملحق رقم (15)

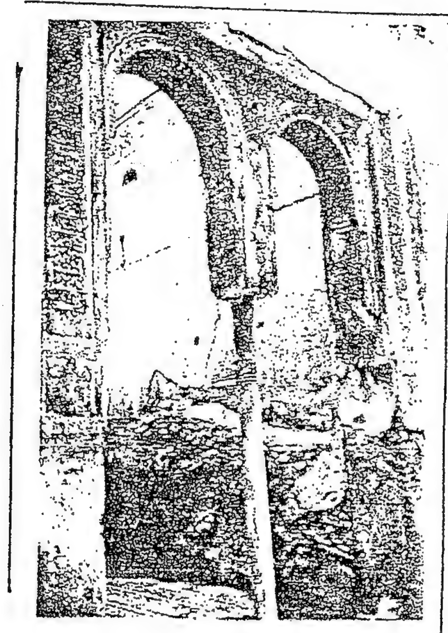
مدرسة أبو الحسن بسلا (البوابة التذكارية)



العربي لقريز: المرجع السابق، ص175.

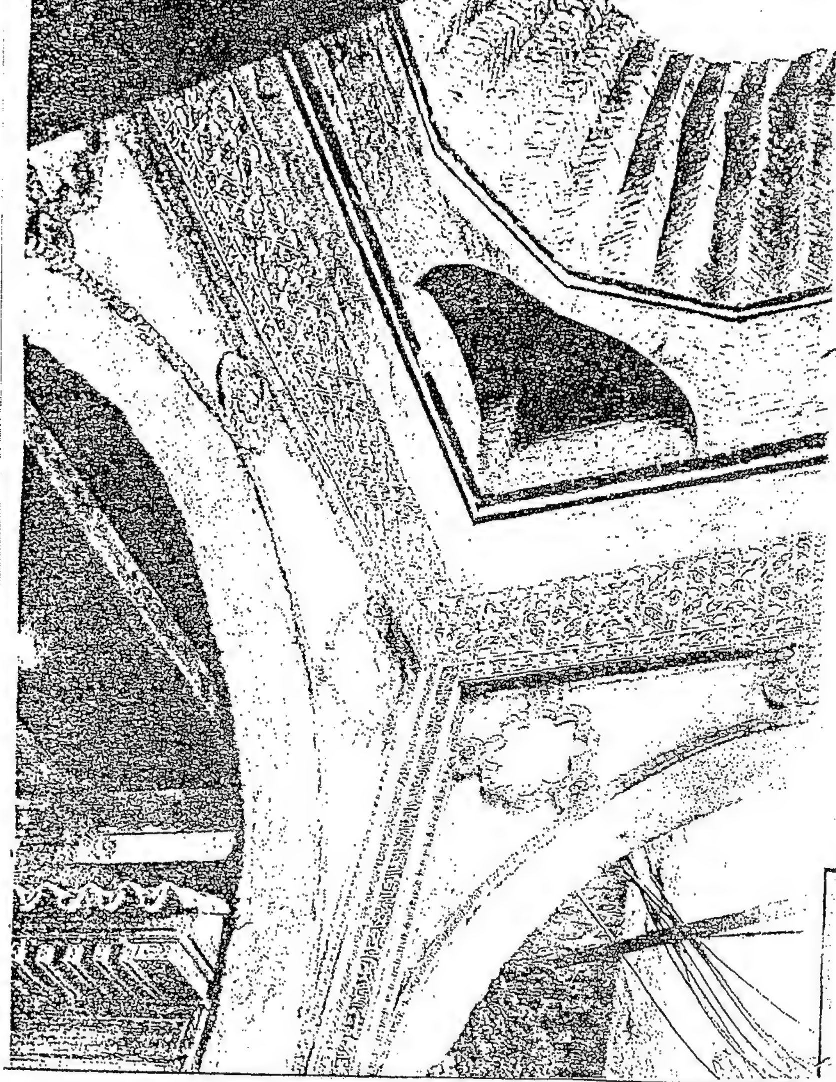


ملحق رقم(16)
المدرسة المصباحية بفاس
(صورة الصحن و غرف الطلبة)

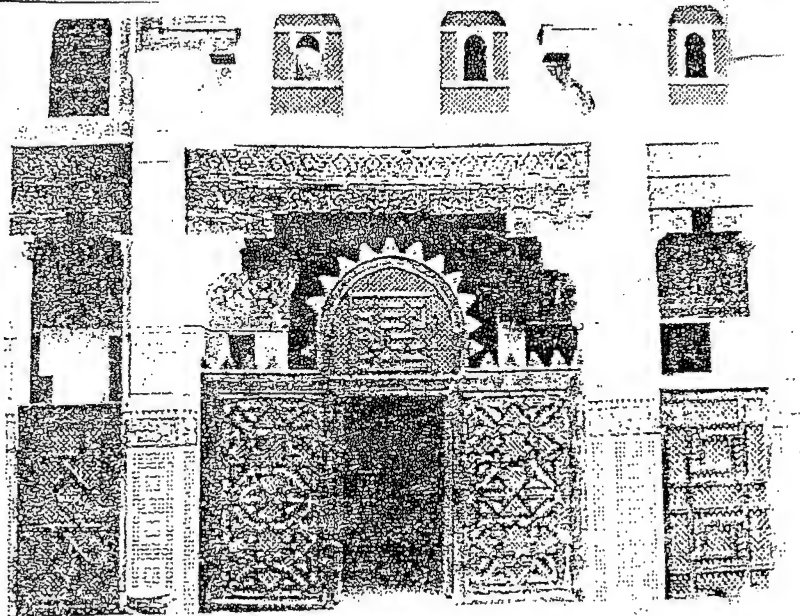


ملحق رقم (17)
المدرسة المصباحية بفاس
(باب مدخل قاعة الصلاة)

العربي لقريز: المرجع السابق، ص178.



ملحق رقم(18)
المدرسة البوعانية بمكناس
(القبة المفتوحة لمدخل المدرسة)

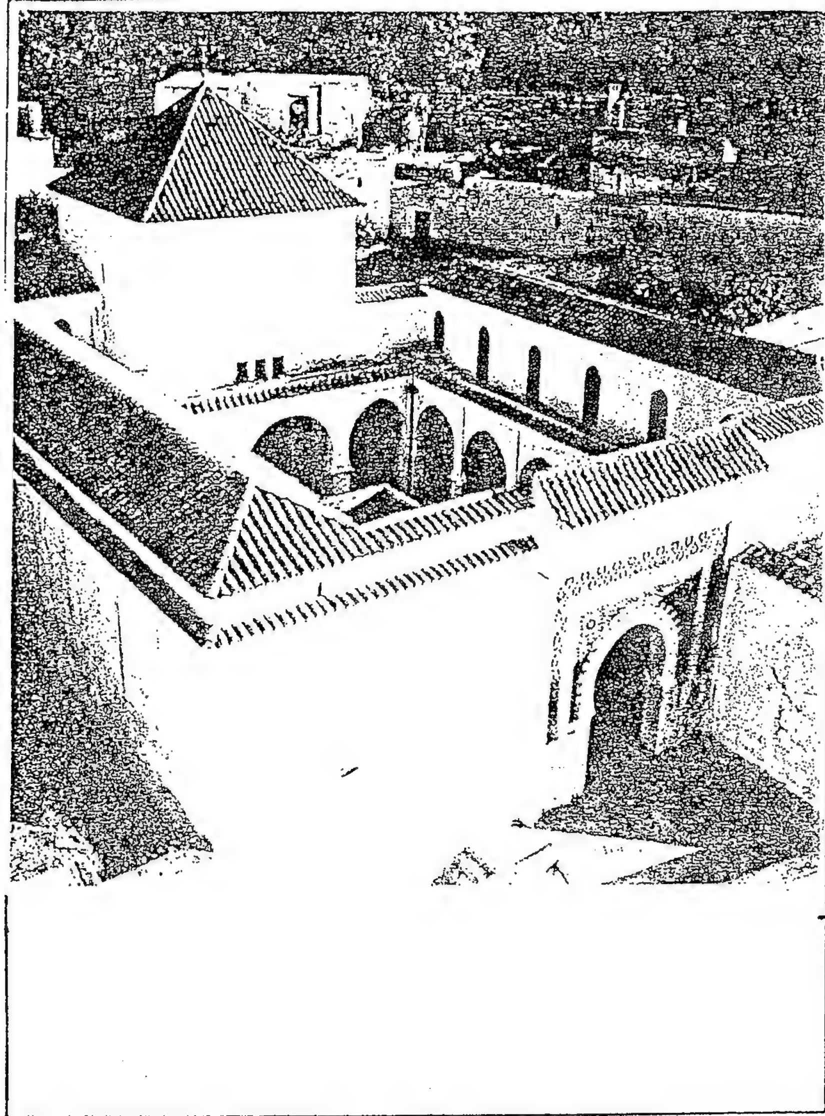


ملحق رقم (19)
المدرسة البوعانية بمكناس
(واجهة-المدخل من الصحن)

العربي لقريز: المرجع السابق، ص180.

ملحق رقم (20)

مدرسة سيدي أبي مدين بالعباد



العربي لقريز: المرجع السابق، ص181.

ملحق رقم (21)

الرحلة في طلب العلم بتلمسان الزيانية

عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص626.

المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع

1- المصادر:

- ابن أبي دينار أبو عبد الله الرعيني، المؤنس في أخبار إفريقية و تونس، تحقيق محمد شمام، تونس، 1967.
- ابن أبي زرع علي بن عبد الله الفاسي، كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972.
- ابن الأحمر أبو الوليد اسماعيل، كتاب روضة النسرين في دولة بني مرين ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، مطبوعات القصر الملكي، المطبعة الملكية الرباط، 1962.
- ابن الحاج النميري، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة وإعداد محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.
- ابن الخطيب لسان الدين، المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجول الكلام، تحقيق أحمد مختار العبادي ومحمد الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964.
- ابن الخطيب لسان الدين، كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق وتقديم، محمد عبد الله عنان، دار المعارف، القاهرة، 1956.
- ابن بطوطة محمد عبد الله اللواتي، الرحلة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق وتقديم وتعليق علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1985.
- ابن حوقل أبو القاسم محمد، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979.
- ابن خلدون عبد الرحمن ، التعريف بابن خلدون رحلته شرقا وغربا، تحقيق وتعليق محمد بن تاوية الطنجي، نشر لجنة التأليف والنشر، القاهرة، 1951.

- ابن خلدون عبد الرحمن ، العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، الجزءان السادس و السابع ، دار العلم ، بيروت ، 1968.
- ابن خلدون عبد الرحمن ، المقدمة، طبعة بيروت، 1968. وطبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2004.
- ابن خلدون أبو زكرياء يحيى بن محمد، بغية الروّاد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، جزءان تقديم وتحقيق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية،الجزائر 1980.
- ابن سحنون أحمد الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي البوعبدلي، قسنطينة، 1973.
- ابن عذارى أبو العباس أحمد المراكشي، كتاب البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب ، ج4، (جزء خاص بالموحدين)، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد ابن تاويت، محمد زنيبر و عبد القادر زمامة، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1985.
- ابن قنفذ القسنطيني، كتاب الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر و عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968.
- ابن مرزوق أبو عبد اله محمد الخطيب، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق مريا خيسوس، السركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1918.
- ابن مريم أبو عبد الله محمد بن أحمد، كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان نشره محمد بن أبي شنب، وتقدم له عبد الرحمن طالب، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1986.
- الإدريسي أبو عبد الله محمد الشريف، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق محمد حاج صادق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.
- البكري ابن عبيد الله بن عبد العزيز، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، نشر دي لان، 1965.

- البيذق أبو بكر بن علي الصنهاجي، كتاب أخبار المهدي ابن تومرت، تحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1974.
- التنبكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج،على هامش ديباج ابن فرحون، تحقيق علي عمر، جزءان ، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، 2004.
- التنسي محمد بن عبد الله ، كتاب تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدّر و العقيان في شرف بني زيان، تحقيق محمود بو عياد، الجزائر، 1985.
- الحميري محمد بن عبد المنعم السبتي، كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار (معجم جغرافي)، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، 1975.
- الحنبلي بن عماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج6، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ب ت.
- الزركشي محمد بن إبراهيم، تاريخ الدولتين الموحّدية و الحفصية، تحقيق محمد ماصور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966.
- الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966 .
- السخاوي محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، القاهرة، 1953.
- السلاّوي أحمد أبو العباس الناصري،كتاب الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدّار البيضاء، 1955.
- العبدري أبو عبد الله محمد بن محمد، رحلة العبدري المسماة الرحلة المغربية، تحقيق أحمد جدو، مطبعة البعث، قسنطينة، ب ت.
- الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد، عنوان الدراية فيمن عرف العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981.
- الغزالي أبو حامد ، إحياء علوم الدين، ج1، دار الثقافة، الجزائر، 1991.
- القلصادي علي بن محمد بن محمد القرشي الأندلسي، كتاب رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، 1978.

- القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي، كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المؤسسة المصرية العامة، ج5، القاهرة، 1963.
- المراكشي محيي الدين عبد الواحد، كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد السعيد العريان ومحمد العلمي، القاهرة، 1949 .
- المغيلي محمد بن عبد الكريم ، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، تحقيق عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1974.
- المغيلي محمد بن عبد الكريم ، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تحقيق رابح بونار، الجزائر، 1968.
- المقري أحمد بن محمد التلمساني، كتاب أزهار الرياض في أخبار عياض، ج2، القاهرة، 1940.
- المقري أحمد بن محمد التلمساني، كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، ج5، دار صادر، بيروت، 1968.
- الوزان حسن بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا، جزءان، الطبعة الثانية،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.
- الونشريسي أحمد بن يحيى، المعيار المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، إعداد محمد حجي ومحمد العرايشي وأحمد الشرقاوي إقبال، بيروت، 1981.
- مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية لمؤلف مجهول، تحقيق سهيل زكار و عبد القادر زمانة، الدّار البيضاء 1979 .
- مؤلف مجهول، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرنية، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.

2- المراجع باللغة العربية:

- أبو الأجفان محمد الهادي، الإمام أبو عبد الله محمد المقري التلمساني، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس، 1988.

- أبو ضيف مصطفى، القبائل العربية في عصري الموحدين وبني مرين، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية الجزائر، 1982.
- التازي عبد الهادي، جامع القرويين المسجد و الجامعة بمدينة فاس، ج2، دار الكتاب اللّبناني، 1973.
- الجيلالي عبد الرحمن ، تاريخ الجزائر العام، ج2، مكتبة الشركة الوطنية، الجزائر 1965.
- الحريري محمد عيسى ، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ط2، الكويت، 1987.
- الحفناوي أبو القاسم، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، الجزائر، 1906.
- الدراجي بوزياني ، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.
- الزحيلي محمد، مجمع العلوم الإسلامية، الطبعة الثانية، دار المعرفة، دمشق، 1992.
- الطمار محمد عمرو ، تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984.
- الطمار محمد عمرو، تاريخ الأدب اجزائري، الشركة الوطنية للنشر التوزيع، الجزائر، 1973.
- العبادي أحمد مختار ، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ب ت.
- ألفريد بيل ، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987.
- المطوي محمد لعروسي، السلطنة الحفصية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.
- الميلي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، تقديم وتصحيح محمد الميلي، م و ك، الجزائر، 1986.

- برونشفيك روبير، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي إلى القرن 15 م، ج1، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.
- بن منصور عبد الوهاب، المنتخب النفيس من شعر أبي عبد الله بن خميس، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، 1965.
- بورويبة رشيد ، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية ترجمة شبوح إبراهيم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.
- بورويبة رشيد وآخرون، الحياة الفنية في عهد الزيانيين والمرينيين، الجزائر في التاريخ، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- بوعزيز يحي، الموجز في تاريخ الجزائر، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
- بوعياد محمود ، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري (15م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- جوليان شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج2، ترجمة محمد مزالي وبشري سلامة، الدار التونسية للنشر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1969.
- حاجيات عبد الحميد ، أبو حمو موسى الثاني (حياته وآثاره)،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- حاجيات عبد الحميد و آخرون، الجزائر في التاريخ، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
- دهينة عطاء الله وآخرون، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، الجزائر في التاريخ، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- سالم عبد العزيز، التاريخ والمؤرخون العرب، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، مصر، 1967.
- سالم عبد العزيز، المغرب الكبير،ج2، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.
- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16م– 20م)، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

- سعد زغلول عبد الحميد، العلاقة بين صلاح الدين و أبي يوسف يعقوب المنصور، مجلّة الآداب، الإسكندرية، عدد 16 و 77، 1953.
- شاوش محمد بن رمضان ، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1995.
- عنان محمد عبد الله ، عصر المرابطين و الموحّدين، في المغرب و الأندلس، القسم الثاني، عصر الموحدّين وانهيار الأندلس، الكبرى، القاهرة، 1964.
- عنان محمد عبد الله، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، القاهرة، 1949.
- فيلالي عبد العزيز ، تلمسان في العهد الزياني، ج1، موفم للنشر والتوزيع الجزائر، 2002.
- لقبال موسى، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971.
- مؤنس حسين، تاريخ المغرب وحضارته، المجلد الثاني، ج2، ط1، دار العصر الحديث، بيروت، 1992.
- موسى محمد منير، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، القاهرة 1983.
- نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر، نشر مكتب النهار للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، 1971.

3- المجلات والدوريات:

- أبو عمران " الشيخ المغيلي "، معجم مشاهير المغاربة.
- الزواوي رشيد، التبادل العلمي بين المشرق والمغرب الإسلامي، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد الأول، 1993.
- المنوني محمد ، الشيخ إبراهيم التازي نموذج بارز للتبادل الثقافي بين المغربيين (ق9هـ/ 15م)، مجلة الثقافة، السنة السادسة، العدد 91، يناير – فبراير، 1986.
- المهدي البوعبدلي، أبو عبد الله محمد بن خميس التلمساني، مجلة الأصالة، العدد 49- 50، سبتمبر- أكتوبر، 1977.

- المهدي البوعبدلي، أهم الأحداث الفكرية بتلمسان، عبر العصور ونبذ مجهوله من تاريخ حياة بعض أعلامها، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد 26، جويلية أوت ، 1975.
- بورويبة رشيد، جولة عبر مساجد تلمسان، مجلة الأصالة، العدد 26، الجزائر، 1975.
- بوعزيز يحيى، المراحل التاريخية لدولة بني عبد الواد الزيانية(1236- 1554م)، مجلة الأصالة العدد 26، الجزائر، 1975.
- حاجيات عبد الحميد، الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد 26، جويلية- أوت، 1975.
- دهينة عطاء الله، " وصية يغمراسن "، مجلة التاريخ وحضارة المغرب العربي، العدد السادس، 27 جويلية، 1969(بالغة الفرنسية).
- دهينة عطاء الله، مساعدة الزيانيين لمسلمي الأندلس، مجلة التاريخ وحضارة المغرب، العدد 13، جانفي، 1976.
- علواش علي ، " السنوسي التلمساني "، معجم مشاهير المغاربة، إعداد فرقة البحث العلمي، جامعة الجزائر، 1995.
- عمر موسى باشا، العروبة في شعر العفيف التلمساني، مجلة الأصالة، العدد 26، جويلية ، أوت، الجزائر،1975.
- فاهر محمد الشريف، "عبد الرحمن الوغليسي"، معجم مشاهير المغاربة، تنسيق أبوعمران الشيخ، تقرير ناصر الدين سعيدوني، إعداد فرقة البحث العلمي، جامعة الجزائر، 1995.
- فرج محمد فرج، الدور الحضاري للإقليم التواتي في إفريقيا السوداء، ملتقى الدراسات الإسلامية والعربية في القارة الإفريقية، أدرار.
- مجاني بوبة ، المدارس الحفصية ، نظامها ومواردها، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، العدد 12، 1999.
- مجلة دعوة الحق، العدد 293، السنة 33، 1992.

- مفدي زكريا، النشاط العقلي والتقدم الحضاري بالجزائر في عهد الزيانيين، مجلة الأصالة، عدد 26، 1975.

4- الرسائل الجامعية:

- بلحسن إبراهيم ، العلاقات الثقافية بين المغربين الأوسط والأدنى من القرن 7 إلى القرن 9هـ/ 13 إلى 15م، رسالة ماجستير، تلمسان، 2005/2004.
- بن داود نصر الدين، أسرة المرازقة ودورها الثقافي في تلمسان من القرن 7 إلى 10 الهجري، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2004.
- عبدلي الأخضر، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (633-962)هـ (1236- 1554)م، رسالة دكتوراه دولة، قسم التاريخ تلمسان، 2004-2005.
- لعرج عبد العزيز، المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية، رسالة دكتوراه دولة، قسم الآثار، جامعة الجزائر، ص 1998- 1999 .
- لقريز العربي، مدارس السلطان أبي الحسن (مدرسة سيدي أبي مدين نموذجا، دراسة أثرية و فنية)، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، تلمسان، 2000-2001.
- مبخوت بودواية ، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ ، تلمسان، 2005-2006.
- مكيوي محمد ، الأوضاع السياسية والثقافية للدولة العبد الوادية منذ قيامه حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول (633-1236)هـ- (737- 1337)م، رسالة ماجستير ، تلمسان، 2000-2001.
- نقادي سيدي محمد، التصميم العمراني لمدينة تلمسان ودلالته الاجتماعية، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية ، تلمسان، 1991.

5- المواقع الالكترونية:

- أبو الوليد أيوب الخريبكي، " أبو الحسن الصغير "، مجلة دعوة الحق ، مطبوعات وزارة الأوقاف المغربية، على الموقع: **www.ahlalhadeeth.com**
- محمد حجي، سيدي الإمام السلاوي (788هـ/ 1376م)، مجلة أبو رقراق، جمعية أبي رقراق، سلا، العدد التاسع، سبتمبر، 1991، نقلا عن الشبكة: **www.habous.gov.ma**
- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، الفن المعماري في المساجد المغربية حسب العصور، على موقع الشبكة: **www.habous.gov.ma**
- الموقع: **wwww. Islamicfeach.com**
- الموقع: **www.isesco.org.ma/ pub/arabic/fikr/ page 39**

6- المراجع باللغة الأجنبية:

- Barges, Complément de l'histoire des Beni Zeiyan, Roi de Tlemcen, 1 vol, Paris, 1887.
- Barges, Histoire des Beni Zeiyan, Rois de Tlemcen, Paris, 1852.
- Barges, Tlemcen, Ancienne Capitale du royaume de ce nom, Paris, 1859.
- Bouali Sidi Ahmed , les deux grands siéges de Tlemcen, ENAL, Alger, 1984.
- Bourouiba (R) : les inscriptions commémoratives des mosquées d'Algérie, O.P.U, Alger,1984 .
- -Brosslard (C) , les inscriptions arabes de Tlemcen, Revue Africaine N°14, 3 eme année, 1859, Alger.
- Dhina (A): Le royaume Abdelouadide à l'époque d'Abou Hamou Moussa 1er et d'Abou Tachfin 1er, O.P.U , E.N.A.L, Alger.
- Marçais (G): Note sur l'épitaphe d'un savant Tlemcenien « Abou moussa », fils de « l'Imam », revue africaine , Alger, Jourdan, 1818.

- Marçais (G), remarques sur les medersas funéraires en berberie, le Caire, 1937.
- Marçais(G), La berberie Musulmane et l'orient au moyen âge, Paris, 1946.
- Marçais, (G) et William, Les monuments arabes de Tlemcen , librairie Thorin, Paris, 1903.
- Marçais, (G), l'architecture musulmane d'occident, Paris, 1955.
- Marçais, (G), Tlemcen (ville d'art et d'histoire) , publié par les soins de la société historique Algérienne , Tome 1, Alger, 1936.
- Marçais, (G), Tlemcen d'hier et d'aujourd'hui ; bulletin de société des amis du vieux Tlemcen, Alger, 1952.
- Meziane (Abdel Salem), Ibn Khamis, Poète Tlemcenien du XIII^eme siècle, deuxième congrès de la fédération des sociétés savantes de l'Afrique du nord, Tlemcen, T1, 1982.

فهرس المحتويات

كلمة شكر

إهداء

الفصل الأول: التاريخ السياسي للدولتين

الفصل الثاني: التاريخ الثقافي للدولتين

الفصل الثالث: العلاقات السياسية والثقافية بين الدولتين